
Bibliotheca Alexandrina
0128776

المكتبة الأهلية . بمصر

عظة الناشئين

كتاب أخلاق وآداب واجتماع

كتبه

الشيخ مصطفى الغلاييني

أستاذ الآداب العربية في الكلية الاسلامية
والمدرسة السلطانية في بيروت سابقاً

الطبعة الثانية

وهي طبعة مضبوطة بالشكل موضوعة
شروحها في ذيول الصفحات

ربيع الثاني ١٣٤٤ — نوفمبر ١٩٢٥

المطبعة الرحمانية بمصر

عظة الناشئين

نشرته إدارة المكتبه الأهلية — فى مصر

مقدمة الطبعة الأولى



الحمدُ لله ربِّ العالمينَ ، الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، مالكِ يومِ الدِّينِ [1] ، إيَّاكَ نعبُدُ وإيَّاكَ نستعينُ ، اهدِنا الصِّراطَ [2] المُستقيمَ [3] ، صراطَ الذينَ أنعمْتَ عليهمْ ، غيرِ المغضوبِ عليهم ، ولا الضالِّين .

وبعدُ فهذه شذَراتٌ [4] كنتُ أنشُرُها في جريدةِ المفيدِ تحتَ عُنوَانِ «عِظَةِ النَّاشئِين» وبامضاء « أبي الفيَّاض » ، وقد

(١) يوم الدين : يوم الحساب والجزاء على الاعمال ، وهو يوم القيامة

(٢) الصراط : الطريق (٣) المستقيم : المعتدل ، ضد المعوج (٤) الشذرات: جمع شذرة وهي اللآلىء الصغار وقطع الذهب تلقط من معدنه بدون اذابة الحجارة . وتشبه بها المواعظ الجميلة والقطع الحسنة من الكلام .

كانَ لهَا في نفُوس القرّاء جميلُ الوَقْعِ ، وعظيمُ التأثيرِ ، وكانَ كثيرٌ منهمْ يَستَحْسِنُ أَنْ تُطبَعَ هذهِ العِظاتُ في كتابٍ وتُنْشَرَ بينَ مَنْ لم يكنْ يُطالعُ تلكَ الجريدةَ ، فلمَّا قَتَلْتُ هذا الأمر يقيناً[1] عزَمْتُ على نَشْرِهَا بينَ شُبَّان الأُمّةِ لِتكونَ لهم نبْرَاساً[2] ، وهُدًى ، واللهُ الموفق م؟

الغلاييني

بيروت : سنة ١٣٣١ هـ
سنة ١٩١٣ م

---

(١) قتل الامر يقيناً : علمه علم اليقين . واليقين هو إزاحة الشك وتحقيق الامر
(٢) النبراس : المصباح يستضاء به .

١

مقدمة

إخواني النّاشئين !

هذهِ عِظَاتٌ(١) نافِعةٌ، وَلَآلِئُ لامِعةٌ، سَتَرَوْنَهَا مَنْظُومةَ(٢) العِقْدِ، فى سِلْكِ العِبْرَةِ، مَنْثُورَةَ(٣) الفائِدَةِ، بِقَلمِ الحِكْمَةِ، تُرْشِدُ إلَى المَنْهَجِ(٤) القَوِيم، بالأُسْلوبِ(٥) الحَكِيمِ(٦)، وتَهْدِى مَنْ عَملَ بِهَا إلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

أَنْشَأْتُهَا ورَائدِى(٧) فِيهَا الإخْلاصُ، وَصُوَاىَ(٨) صِدْقُ النِّيَّةِ، وَهِيَ تحْملُ بينَ جَوانحِهَا(٩) مَوْضوعاتٍ شَتّى، منَ الاجْتماع وَالأَخلاقِ، وتَنطَوِى(١٠) أَضَالِعُهَا(١١) عَلَى مَضَامِينَ(١٢) مُتنَوِّعَةٍ مِنَ الآدَابِ وَالحِكَمِ.

---

(١) العظات : جمع عظة وهى النصح والتذكير بالعواقب (٢) منظومة : مجموعة مؤلفة (٣) منثورة : مفرقة (٤) المنهج : الطريق الواضح (٥) الاسلوب : الطريق، والفن من الكلام (٦) الحكيم : ذو الحكمة، وهى الكلام الموافق للحق، ووضع الشىء فى موضعه (٧) الرائد : الدليل، وأصل معناه : الرسول الذى يرسله القوم ليرى لهم مكاناً ينزلون فيه (٨) الصوى : حجارة تنصب فى الطريق ليهتدى بها المارون. وهى جمع مفرده صوة (٩) الجوانح : الاضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر كالضلوع مما يلى الظهر. والترائب : عظام الصدر. ومفردها تريبة (١٠) تنطوى : تشتمل (١١) الاضالع : عظام صغيرة من عظام الجنب، وهى جمع أضلع، ومفرد الاضلع ضلع (١٢) المضامين : جمع مضمون، ومضمون الكلام : فحواه وموضوعه

فهيَ جَعْبَةُ عِبَرٍ، وَكِنَانَةُ[١] عِظَاتٍ، يَدْرَأُ بِهَا[٢] النَّاشِئُ عَنْ نَفْسِهِ جُيُوشَ الْخُمولِ، وكَتَائِبَ[٣] الضَّعَةِ[٤]، ويَدْفَعُ مايَنْتابُهَا[٥] مِنْ عَوَادِي[٦] الْأَمْرَاضِ الْاَجْتِماعِيَّةِ، وَطَوَارِئِ[٧] الْأَسْقامِ الزَّمَنِيَّةِ

فَعَضُّوا عَلَيْهَا أَيُّهَا النَّاشِئُونَ بِالنَّوَاجِذِ[٨]؛ تَكُنْ لَكُمْ دَرِيئَةً[٩] يَوْمَ تَكُونُونَ شُبَّانًا، وذُخْرًا[١٠] حِينَ تَصِيرُونَ شِيبًا[١١].

وَسلامٌ على مَنْ سَمِعَ عِظَتِي فَوَعَاهَا[١٢]، وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا

---

(١) الجعبة والكنانة : الوعاء ، وأصل معناها : وعاء السهام والنشاب (٢) يدرأ : يدفع (٣) الكتائب : الجيوش ، ومفردها كتيبة (٤) الضعة : الانحطاط والخسة (٥) ينتابها : يصيبها ويأتيها مرة بعد أخرى (٦) العوادى : النوازل (٧) الطوارئ : الحوادث والدواهى (٨) النواجذ : أقاصي الاضراس ، وهى أربعة ، ويقال عض على الامر بنواجذه وبناجذيه اذا حرص عليه (٩) الدريئة : مايستتر به الصائد ليختل الصيد ويخدعه حتى اذا أمكنه الصيد رمى . وهذا الامر دريئة لى أى وقاية وحفظ (١٠) الذخر : الذخيرة . وجمعه أذخار (١١) الشيب : جمع أشيب ، وهو من أدركه الشيب (١٢) وعاها : حفظها وتدبرها وقبلها .

٢

الاقدام[1]

خَلَقَ اللهُ الإنْسَانَ لِيَكُونَ عَامِلاً لِمَا يُحْيِيهِ ، سَاعِياً فِي مَنَاكِبِ الأَرْضِ[2] ، مُنْتَفِعاً بِخَيْرَاتِهَا ، دَائِباً[3] فِيمَا يَعُودُ عَلَيْهِ وَعَلَى مَجْمُوعِ الأُمَّةِ بِالخَيْرِ الجَمِّ[4] ، وَلاَ يَكُونُ ذَلِكَ إلاَّ بِالإِقْدَامِ وَبَذْلِ الجُهْدِ[5] .

إنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ لَمْ يَبْلُغْ تِلْكَ العَظَمَةَ الهَائِلَةَ[6] ، وَلَمْ يُذَلِّلْ[7] تِلْكَ العَقَبَاتِ[8] الصَّعْبَةَ المُرْتَقَى ، وَلَمْ يَصِلْ إلَى مَا يُطَأْطَأُ[9] عِنْدَ ذِكْرِهِ كُلُّ رَأْسٍ ، إلاَّ بِالإِقْدَامِ وَإِثَارَةِ الهِمَّةِ[10]

وَإنَّ الخَلَفَ لَمْ يَتَأَخَّرْ عَنْ هَذِهِ المَرْتَبَةِ ، وَلَمْ يُقَصِّرْ عَنْ تِلْكَ الغَايَةِ[11] ، إلاَّ بَعْدَ أَنْ تَقَاعَسَ[12] عَنِ العَمَلِ النَّافِعِ ،

(١) الاقدام : مصدر اقدم على الامر بمعنى جرؤ عليه (٢) مناكب الارض : نواحيها وجوانبها وطرقها . ومفردها منكب (٣) دائباً : جاداً مستمراً (٤) الجم : الكثير الغزير (٥) الجهد : المشقة والطاقة (٦) الهائلة : العظيمة . والهائل من الامور : ماعظم عليك وافزعك (٧) يذلل : يخضع ويهون (٨) العقبات : الصعوبات ، ومفردها عقبة ، وأصل معناها : المرتقى الصعب فى الجبل ، والطريق فى الجبل (٩) يطأطأ : يخفض وينكس (١٠) اثارة الهمة : تحريكها وتهييجها (١١) الغاية : المدى ، ونهاية الامر ، والفائدة المطلوبة والنسبة اليها غائى ، وجمعها غاى وغايات ، كما تقول : ساعة وساع وساعات (١٢) تقاعس : تأخر ولم يقدم ، والتقاعس: التأخر

وَأَحْجَمَ[١] عَنِ الأَخْذِ بِشَتَاتِ[٢] الحَزْمِ .

إِنَّ الأُمَمَ كُلَّهَا قَدْ نَهَضَتْ ، وَبَلَغَتْ مِنْ مُخْتَلِفِ المُنَى[٣] مَا بَلَغَتْ ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ هَبَاءً[٤] مَنْثُورًا ، وَطِمْرًا[٥] مَحْقُورًا[٦] ، وَعُضْوًا مَبْتُورًا[٧] ، وَنَحْنُ لَمْ نَزَلْ فِي سُبَاتٍ[٨] عَمِيقٍ ، ومكانٍ مِنَ التَّقَاعُسِ سَحِيق[٩] ، وقَدْ كُنَّا السَّابِقِينَ الأَوَّلِينَ ، وَالهَادِينَ المَهْدِيِّينَ !

فأَحْيُوا ، يَا رَعَاكُمُ اللهُ ، هَذَا المَجْدَ الدَّاثِرَ[١٠] ، وَأَقِيلُوا ذَلِكَ الشَّرَفَ العَاثِرَ[١١] ، وأَنْشِرُوا[١٢] مَا كَانَ مِنْ عِزِّكُمْ مَقْبُورًا ، وَلَا تَجْعَلُوهُ شَيْئًا مَهْجُورًا ، فإِنِّي أَرَى إِنْ لَمْ تَسْتَيْقِظُوا كَفَنًا مَنْشُورًا ، وَقَبْرًا مَحْفُورًا ، وَهُنَالِكَ نَدْعُو ثُبُورًا[١٣] ، فلا نَجِدُ نَصِيرًا ، ولا نُلْفِي[١٤] ظَهِيرًا[١٥] .

(١) احجم : كف وتأخر (٢) الشتات : المختلف المتفرق (٣) المنى : جمع منية وهي البغية والمراد ومايتمناه الانسان (٤) الهباء : الغبار ، أوشيء يشبه الدخان ينبث في ضوء الشمس ، منثوراً : متفرقا (٥) الطمر : الثوب الخلق البالى ، وجمعه أطمار (٦) المحقور : المحتقر المرذول (٧) المبتور : المقطوع (٨) السبات : النوم ، والراحة ، ومنه يوم السبت لانه يوم راحة لليهود ينقطعون فيه عن الاعمال (٩) سحيق : بعيد (١٠) الداثر : البالى الممحى (١١) اقيلوا الشرف : انهضوا به وارفعوه . يقال عثر فلان فأقلته عثرته ، أى كبا فرفعته من كبوته (١٢) انشروا : أحيوا ، والانشار : الاحياء بعد الموت (١٣) الثبور : الهلاك والخسار والخيبة (١٤) نلفى : نجد (١٥) ظهيراً : معيناً .

فَانْهَضُوا نَهْضَةً تَمِيدُ[1] لَهَا الرَّاسِيَاتُ[2]، وَتَسْكُنُ عِنْدَهَا الجَامِحَاتُ[3]، قَبْلَ أَنْ تَقْرَعَنَا القَارِعَاتُ[4]، وَتَصُخَّنَا الصَّاخَّاتُ[5]، فَنَلْتَمِسَ المَمَاتَ، فَلاَ نَجِدُ إِلاَّ الوَيْلاَتِ[6].

إِنَّ فِي يَدِكُمْ أَمْرَ الأُمَّةِ، وَفِي إِقْدَامِكُمْ حَيَاتَهَا.

فَأَقْدِمُوا إِقْدَامَ الأَسَدِ البَاسِلِ[7]، وَانْهَضُوا نُهُوضَ الرَّوَايَا[8] تَحْتَ ذَاتِ الصَّلاَصِلِ[9]، تَحْيَ بِكُمُ الأُمَّةُ.

وَاللهُ لَكُمْ مُعِينٌ، وهوَ يَجْزِي المُقْدِمِينَ.

---

(١) تميد : تضطرب وتتحرك وتزيغ (٢) الراسيات : الجبال (٣) الجامحات : الخيول تجمح براكبها حتى تلقيه عن ظهرها (٤) تقرعنا تصيبنا وتفاجئنا . والقارعات: المصائب والدواهى (٥) تصخنا : تضربنا ، أو تصم آذاننا . والصاخة : صيحة تصم الآذان لشدتها ، والداهية . وأصل معنى الصخ : ضرب الحديد على الحديد (٦) الويلات : الفضائح والبليات ، ومفردها ويلة (٧) الباسل : الشجاع الكريه اللقاء (٨) الروايا : الدواب التى تحمل مزادات الماء ، ومفردها راوية (٩) الصلاصل : الاصوات والرعود . والمراد بذات الصلاصل ; المزادات التى تحمل على الروايا لانها تكون من جلد فتصوت عند قيام الدابة بها وعند مشيها . والمراد انهضوا نهوضاً شديداً .

٣
الصبر

إنّ الرَّجُلَ العَاقِل مَنْ يَصبِرُ على الخُطُوب[١]، وَيُقَابِلُها رَابِطَ الجأْشِ[٢]، مَنْ يُقَابِلها مَشْدُوهاً[٣]، لا يَستَقِرُّ على حالٍ مِنَ القَلَق.

إنّ النّفسَ العاقِلة فِيهَا مَلَكَةُ[٤] التؤدَة[٥] وَالتأنى. وَهِيَ تَسعَى هَادِئَةً لِتُزِيلَ ما أَلَمَّ بِهَا[٦] مِنَ الخَطْبِ، وَتَدْفَعَ عنها عادِيَةَ المحَنِ[٧].

أمَّا النَّفسُ الجَاهِلةُ فهِيَ دَائِمةُ الاضْطِرَابِ لِكُلِّ خَطْبٍ يَنزِلُ، وَإِنْ كانَ يَسِيرًا[٨]. لأَنَّها تعتقد أَنْ لا قِبَلَ لَهَا[٩] بتَلقِّيهِ، وَلا طَاقَةَ لهَا بِدَفعِهِ. فَهِيَ لا تَستَطِيعُ التَّملُّصَ مِنهُ[١٠] وَلاَ تَقْدِرُ على التَّفَصِّى[١١] مِنْ عادِيَتِه.

---

(١) الخطوب : الامور ، شديدة كانت أو غير شديدة . والمراد بها هنا الامور العظيمة ، ومفردها خطب (٢) الجأش : النفس . وفلان رابط الجأش أى يربط نفسه عن الفرار ويمنعها لشجاعته . وجمعها جؤوش (٣) شده فلان : دهش وشغل وحير فهو مشدوه (٤) الملكة : الصفة الراسخة فى النفس (٥) التؤدة : الرزانة والتأنى (٦) ألم بها : نزل بها (٧) العادية : النازلة والمصيبة (٨) يسيراً قليلا هيناً (٩) لا قبل له بالامر : لا طاقة له به (١٠) التملص : التخلص (١١) التفصى : التخلص والتملص والتفلت

وهذَا هُوَ الفرْقُ بيْنَ النَّفسيْنِ .

فَـكُنْ أَيُّهَا النَّاشِىءُ ، ذَا نَفْسٍ عَاقلةٍ صابِرة . وَذَلِكَ بِتَعْوِيدِهَا اكتسَابَ الْفضَائِلِ ، وَنَبْذَ (١) الرَّذَائِلِ ، وَالتَّحلىَ بالـكمالاتِ الإِنْسَانيَّةِ ، وَالتَّجَمُّلَ (٢) بحِلَى (٣) الرُّجوليَّة (٤) . وَذَلكَ يَسيرٌ على مَنْ هدَاهُ اللهُ النزوعَ (٥) إلى الفضيلة ، فَنَزَعَ عنهُ رِدَاءَ الرَّذِيلة . فلم يعطِ النَّفْسَ الصَّامِتَةَ (٦) هواهَا ، وَلم يَسلُبِ النّفسَ النَّاطِقَةَ (٧) مُناهَا . فَخَرَجَ بذَلِكَ منْ مَرْتَعِ الحَيَوانِيَّة إلى بِيئَةِ (٨) الإِنْسَانيَّةِ .

وَاللهُ يَجزِى الصَّابِرِينَ ، على تَهْذِيبِ النَّفْس ، وَيَرفَعهُم إلى مقام المهْتَدِين ، عَنْ مَنْزِلِ اللَّبْسِ (٩) .

فإِلَى الصَّبْرِ عَلَى تَهْذِيب نفُوسِكُمْ أَدْعُوكُمْ . فإِنَّ عاقبةَ ذَلِكَ نجَاحُ الدَّارَيْنِ . وَسَعَادَةُ الحَيَاتَيْنِ ، وَالْفَوْزُ بالحُسنَيَيْنِ .

---

(١) النبذ : الطرح (٢) التجمل : التزين (٣) الحلى : بكسر الحاء : جمع حلية ، وهى مايتحلى به (٤) الرجولية ، صفة الرجال ، ومثلها الرجولة (٥) نزع الى الامر نزوعاً : ذهب اليه ومال اليه (٦) النفس الصامتة : هى النفس الجاهلة الامارة بالسوء (٧) النفس الناطقة : هى النفس العاقلة المرشدة الى الفضائل (٨) البيئة الحالة ، والمنزل (٩) اللبس : بفتح اللام : الحيرة ، والتباس الامور ، واختلاط الظلام .

٤

النفاق [١]

لَمْ أَرَ بَيْنَ الخِلاَلِ [٢] القَبِيحَةِ ، وَالصِّفَاتِ الضارَّةِ ، الَّتي سَرَتْ فِي جِسْمِ الأُمَّةِ سَرَيَانَ الْكَهْرَبَاءِ فِي الأَجْسَامِ ، خَلَّةً أَقْبَحَ ، وَلاَ صِفَةً أَشْنَعَ ، مِنْ دَاءِ النِّفَاقِ .

ذَلِكَ الداءُ الوَبِيلُ [٣] ، وَالمَرَضُ الفَتَّاكُ [٤] ، أَكْثَرُ ضَرَرًا بِالأُمَّةِ مِنْ أَلَدِّ أَعْدَائِهَا [٥] ، الَّذِينَ يَتَحَيَّنُونَ [٦] الفُرَصَ للانْتِقَاضِ عَلَيْهَا [٧] ، وَانْتِقَاصِ بِلاَدِهَا مِنْ أَطْرَافِهَا

إِنَّ العَدُوَّ المُهَاجِمَ إِذَا رَأَتْهُ الأُمَّةُ تَهَيَّأَتْ لِدَفْعِ أَذَاهُ ، وَصَدِّ غَارَاتِهِ ، بِمَا هُوَ عَتِيدٌ [٨] لَدَيْهَا مِنْ وَسَائِلِ الدِّفَاعِ ، وأَسْبَابِ المُصَادَمَةِ . فَإِنْ لَمْ تَتَّقِ [٩] شَرَّهُ كُلَّهُ . فَإِنَّهَا تَدْرَأُ [١٠] عَنْهَا مَا تَسْتَطِيعُ دَرْأَهُ مِنْ أَوَاذِيِّ [١١] عُدْوَانِهِ .

---

(١) النفاق : ان يظهر المرء خلاف ما يبطن (٢) الخلال : الخصال ، ومفردها خلة (٣) الوبيل : الشديد (٤) الفتاك : الشديد الفتك . والفتك : البطش أو القتل على حين غفلة (٥) ألد الاعداء هو الخصم الذى لا يميل الى الحق (٦) يتحينون : يترقبون (٧) انتفض عليه : تغير عليه (٨) عتيد : مهيأ حاضر (٩) اتقى الشر : تحفظ منه (١٠) تدرأ : تدفع (١١) الاواذى : الامواج ، ومفردها آذىّ .

أَمَّا المُنَافِقُ ، عَـدُوُّ الْأُمَّةِ الرَّابِضُ[١] فِي قَلْبِهَا ، فَهِيَ لاَ تَدْرِي كَيْفَ تُحَارِبُهُ ، وَلاَ تَعْرِفُ مَنْ هُوَ لِتُقَاوِمَهُ ، فَهُوَ يُضْعِفُ قُوَّتَهَا الْمَعْنَوِيَّةَ ، وَيُخَدِّرُ[٢] أَنْبَاضَ[٣] نَهْضَتِهَا الْمُبَارَكَةِ وَهِيَ حَيْرَى مِمَّا يُصِيبُهَا ، وَلْهَى[٤] مِنْ دَاءٍ لاَ تَعْرِفُ كُنْهَهُ[٥] وَلاَ مَصْدَرَهُ .

فَإِنْ دَامَتِ الْأُمَّةُ عَلَى ذَلِكَ حِيناً مِنَ الدَّهْرِ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَبْحَثَ بَحْثاً دَقِيقاً ، وَتَفْحَصَ فَحْصاً حَكِيماً ، لِتَعْرِفَ تِلْكَ الْجُرْثُومَةَ[٦] الْمَوْبُوءَةَ[٧] ، فَتَسْعَى لِإِبَادَتِهَا[٨] ، وَتَعْلَمَ كُنْهَ مَرَضِهَا ، فَتُدَاوِيَهُ بِالدَّوَاءِ النَّاجِعِ[٩] ، كَانَتْ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا انْحِلاَلَ الرَّوَابِطِ ، وَفَسَادَ الأَخْلاَقِ ، وَهُنَاكَ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ ، الَّذِي يَمْحُو الْأُمَّةَ مِنْ لَوْحِ الْوُجُودِ ، فَتَكُونُ مَعَ الْهَالِكِينَ .

فَأُعِيذُكُمْ مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُنَافِقِينَ

---

(١) الرابض الجالس المستقر (٢) يخدر: يضعف (٣) الانباض : جمع نبض وهو حركة القلب والعروق (٤) ولهى : ذاهلة متحيرة فاقدة الشعور مما أصابها (٥) كنه الشيء : حقيقته (٦) جرثومة الشيء وجرثومه : أصله ، ويطلقان اليوم على الاحياء التي يسمونها المكروب ، والجمع جراثيم (٧) الموبوءة : التي فيها الوباء أو التي أصابها الوباء (٨) الابادة : الاهلاك (٩) الناجع : المفيد النافع

، وَاحذَرُوا أَنْ يَدِبَّ[١] فِي قُلُوبِكُمْ دَبِيبُ[٢] هؤُلاءِ الأَشْرَارِ، فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ، وَمَا هِيَ إِلاَّ نَارٌ تَحرِقُ الأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ، فَتَجْعَلُ رُبُوعَ[٣] الأُمَّةِ دَوَارِسَ[٤].

إِعمَلُوا، رَعَاكُمُ اللهُ، عَلَى تَعْرِيفِ الأُمَّةِ بِهِمْ، وَتَحْذِيرِهَا مِنْ كَيْدِهِمْ[٥]، تَكُونُوا مِنَ الْمُصْلِحِينَ، وَتَكُنْ أُمَّتُكُمْ مِنَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ

وَاللهُ مَعَ السَّاعِينَ لِرَدِّ كَيْدِ الْمُنَافِقِينَ، لِتَكُونَ الأُمَّةُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ[٦].

---

(١) يدب : يمشي ويسرى (٢) الدبيب : هو هنا بمعنى الأفكار الفاسدة التى تسرى فى الانسان من حيث لا يشعر ، شبهت بالدبيب وهى الهوام (الحيوانات الصغيرة) التى تسري فى الماء وتنسل فيه انسلالا (٣) الربوع : الديار . (٤) دوارس : ممحية الآثار (٥) الكيد : الخداع والمكر (٦) أعلى عليين : أرفع الدرجات ، وعليون هو اسم لأعلى الجنة ، ويعرب اعراب جمع المذكر السالم : بالواو رفعاً والياء نصباً وجراً ، لأنه ملحق به .

٥
الاخلاص

العَمَلُ جِسْمٌ رُوحُهُ الإِخْلاَصُ :

فَكَمَا أَنَّ الجِسْمَ مَتَى فَارَقَتْهُ رُوحُهُ التى بها قِوَامُهُ[١]، كانَ جُثَّةً[٢] هَامِدَةً[٣] لاَ حِرَاكَ فِيهَا، وَلا فَائِدَةَ تُرْجَى منهَا فَكَذَلِكَ العَمَلُ إذا زَايَلَهُ[٤] الإِخْلاَصُ.

كَمْ رَأَيْنَا قَوْماً يعْمَلونَ، غيرَ أَنَّنَا لم نَرَ أَثَرًا صَالِحاً لِعَمَلِهِمْ. وكَثِيرٌ مِنْهم لم يُوَفَّقْ فيما قَصَدَ إِلَيْهِ، فَظَلَّ فى شَاطِئِهِ، أَوْ خَاضَ مِنْهُ ضَحْضَاحاً[٥]، وَلم يَسْتَطِعْ أَنْ يَصِلَ إلى الغَمْرِ[٦]، فَنَكَصَ عَلى عَقِبَيْهِ[٧]، خَسِرَ[٨] النَّصَبِ[٩] وَالذَّهَبِ

وَلَيْسَ لِهَذَا الأَمْرِ مِنْ سَبَبٍ إلاَّ أَنَّ الإِخْلاَصَ لم يَكُنْ

---

(١) قوام الأمر بكسر القاف : نظامه وعماده وملاكه الذى به يقوم (٢) الجثة : شخص الانسان (٣) هامدة : ميتة . وأصلها من همود النار وهو انطفاؤها
(٤) زايله : فارقه (٥) الضحضاح : الماء القريب القعر (٦) الغمر : الماء الكثير البعيد القعر ، والجمع غمار (٧) نكص على عقبيه : رجع (٨) خسر : شديد الخسران وهو صفة مبالغة (٩) النصب : التعب

رَائِدَ[١] هَذِهِ الفِئَةِ ، لِأَنَّهَا لم تعملْ إلاَّ لِجَرِّ مَغْنَمٍ مَذْمُومٍ ، أَوْ كَسْبِ شَرَفٍ مَوْهُوم .

وَالسِرُّ فى ذَلِكَ أَنَّ مَنْ يَعمَلُ مُخْلِصاً فى عَمَلِهِ لِأُمته ووطنِهِ ، تَهْوِى[٢] نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ النّاسِ ، وَيحوطُونَهُ[٣] ، بالتشجيعِ والتَّحْبِيذِ[٤] ، أَو بالمَعُونَةِ وَالتَّنْفِيذِ . فَيَزْدَادُ بذلكَ همّةً وَنَشَاطاً ، وَتَنْمُو[٥] فيهِ رُوحُ الجِدِّ وَالمُثَابَرَةِ على العمَل

أَمَّا مَنْ يَعمَلُ غيرَ مُخْلِصٍ ، فإنَّهُ ، وإنْ كَتَمَ مَا يُضمِرُهُ حيناً مِنَ الدَّهْرِ ، لابُدَّ أَنْ يَنْكَشِفَ عِوَارُهُ[٦] ، وَيفتَضِحَ أَمْرُهُ ، فَيَنْفِرَ مِنْهُ مَنْ كانَ لهُ مُعيناً ، وَيُهْمِلَهُ مَنْ شَجَّعَهُ وَحبَّذَ عَمَلَهُ . فَتَضعُفَ هِمّتُهُ ، وَتفتُرَ عَزِيمَتُهُ ، فَيَدَعْ[٧] ، ما كانَ يَعمَلهُ مُضطرًّا ، وتكون عاقبَةُ أَمرِهِ خَسارَةَ المادةِ وَالأَدبِ ، وَيَعيش عيشةً غير راضيةٍ .

وَالأَمثال على ذلك كثيرة

فكم رَأَيْنا جمعيات قامت ، فما لبثت[٨] أَنْ قعدت .

---

(١) الرائد : الدليل والمرشد (٢) تهوى نحوه : تميل اليه . وأصل معناها تسقط (٣) يحوطونه : يحفظونه ويتعهدونه (٤) التحبيذ : أن تقول للرجل « حبذا » مادحاً عمله (٥) تنمو : تزيد (٦) العوار مثلثة الاول : العيب ، والخرق فى الثوب . (٧) يدع : يترك (٨) لبثت : مكثت

وكَمْ شاهدْنَا مَشْرُوعاتٍ نَهضَتْ ، فما مكَثَتْ أن سقَطَتْ

وتَعْدادُ هذهِ الحوادثِ يحْتاجُ إلى صفَحاتٍ ، لاَ يتّسعُ لها صدرُ هذهِ العظَات .

فكُنْ أيُّها النّاشِئُ ، مُخْلِصاً فى عَملِكَ ، تَبلُغْ أقْصَى [١] أملِكَ ، واحْذَرْ أَنْ تَبيعَ الْوِجْدَانَ ، بالأَصفَرِ الرّنانِ [٢] فذَلِكَ دَأْبُ الْمُنافِقِين [٣] ، الّذِينَ يَستبْدِلُونَ الدُّنْيا بالدِّين ، وَالضّلاَلَ بالْيقِين وَأُعيذُكَ باللهِ أَنْ لاَ تكُونَ مِنَ الْمُخْلِصِين.

٦

أليأس [٤]

مَا اسْتَوْلَى اليَأْسُ على أُمّةٍ إلاَّ أخْمَلَهَا ، وَلاَ خَامَرَ [٥] قُلُوبَ قَوْمٍ إلاَّ أَضْعَفَهَا .

وَنَاهِيكَ [٦] بِضَعْفِ القُلُوبِ مُخْمِلاً ، فإنّهُ أَشَدُّ أَلمَاً مِنْ

(١) أقصى : أبعد (٢) الاصفر الرنان : الذهب (٣) الدأب : العادة (٤) اليأس : القنوط وقطع الأمل (٥) خامر : خالط (٦) ناهيك كلمة تعجب واستعظام كما يقال « حسبك » وتأويلها أنه غاية فيما تطلبه ينهاك عن طلب غيره . وهى تذكر وتؤنث

مَرَضِ الأَجْسَامِ ، وَشَرٌّ أَثَرًا مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ [١].

أَمَّا الْخُمُولُ ، وهُوَ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الْيَأْسِ ، فَقَدْ يَجْعَلُ الْمَرْءَ كَالْحَيَوَانِ الأَعْجَمِ ، لاَ يَعْرِفُ مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ إِلاَّ مَا تَهْتَدِي إِلَيْهِ الْبَهَائِمُ بِالشَّوْقِ الطَّبِيعِيِّ : مِنَ التَّمَتُّعِ بِالْمَطَاعِمِ وَالْمَشَارِبِ وَالْمَلَذَّاتِ .

قَدْ قَرَنَ اللهُ الْيَأْسَ بِالْكُفْرِ بِهِ ، فَانْظُرْ مَا أَعْظَمَ ذَنْبَ الْيَائِسِ !

وَلَيْسَ هَذَا الذَّنْبُ رَائِنًا [٢] عَلَى قَلْبِ مُرْتَكِبِهِ فِي الْحَيَاةِ الْكُبْرَى [٣] فَقَطْ ، بَلْ هُوَ يُغَشِّي [٤] مُجْتَرِمَهُ [٥] فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الصُّغْرَى أَيْضًا ، إِذْ لَوْ عَرَضَتْ لَهُ أُمُورٌ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ بِأَعْبَائِهَا [٦] اسْتَبْطَأَ [٧] نَتَائِجَهَا ، أَوِ اسْتَكْبَرَ أَنْ تَكُونَ ، فَتَرَاهُ مُعْرِضًا عَنْهَا

وتثنى وتجمع لأنها اسم فاعل . تقول : هذا رجل ناهيك من رجل ، وهذه امرأة ناهيتك من امرأة ، وهؤلاء رجال ناهوك من رجال ، ونساء نواهيك أو ناهياتك من نساء ، وهذان رجلان ناهياك ، وهاتان امرأتان ناهيتاك ، وان وقعت بعد النكرة كانت صفة لها كالامثلة السابقة ، وان وقعت بعد المعرفة كانت حالا منها ، مثل : هذا عبد الله ناهيك من رجل ، واعرابها في نحو « ناهيك بعمر عادلا » أن ناهيك خبر مقدم ، والكاف مضاف اليه ، وعمر مبتدأ مؤخر دخلت عليه الباء الجارة الزائدة ، وعادلا حال

(١) وقع الحسام : شدة ضربته ، والحسام : السيف القاطع (٢) رائناً : مغطيا

(٣) الحياة الكبرى : هي الحياة بعد الحياة الدنيا التي هي الحياة الصغرى (٤) يغشى : يغطي (٥) مجترمه : مكتسبه (٦) الاعباء : الاحمال الثقيلة ، ومفردها عبء

(٧) استبطأ الشيء : وجده بطيئاً

إعْرَاضَ الجبَانِ ، عَنْ مُنَازَلَةِ الشُّجعَانِ ، مَعَ أَنَّهُ لوْ ثابَرَ على الْقيَامِ بِهَا ، وَوَاظَبَ على مُصَادَمَةِ مَا يَعْتَورُهُ[1] منَ الْعَوَامل في سَبيلِ تحْقيقهَا ، وَثبَتَ أَمامَ الْعَقبَاتِ[2] الَّتي دُونَها ، فَذَلَّلهَا بجدٍّ جَادٍّ ، وَعَزْمٍ وَقَّادٍ ، وَنفُوذِ نظَرٍ حَادٍّ ، لأتتهُ مُنْقَادَةً[3] إِلَيْهِ ، ونَالَ منْ نتَائجهَا مَا يَرُومُ .

وَلَـكِنْ هُوَ الْيَأْسُ ، مُهَدِّمُ الآمالِ ، ومُقَوِّضُ[4] أَرْكانِ الأَعمَالِ .

لوْ رَغبْتَ إلى كَثيرٍ منَ النَّاسِ عِنْدَنا ، مِمَّنْ يَسْتَطيعُونَ الْقيَامَ بعظَائِمِ الأَعمَالِ الَّتي يَعُودُ نَفْعُهَا على الْوَطَنِ وَأَبْنائِهِ ، أَنْ يَقُومُوا بأَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ النَّافِعَةِ ، لاعْتَذَرَ عَنْ ذَلِكَ بِمَا لا يُقْبَلُ مِنْ حُجَّةٍ ، ولاَ يُوْبَهُ لهُ[5] مِن اعْتِذَارٍ .

مَا عُذْرُ مَنْ حُجَّتُهُ الْيَأْسُ مِنْ نجَاحِ المَشْرُوعاتِ، وَبُرْهَانُه صُعُوبَةُ نجَاحِ الأَعمَالِ !

مَا ذَلِكَ لعَمْرُ الحقِّ بِحُجَّةٍ ، وَمَا على قَوْلِهِمْ أَثَارَةٌ[6] منْ بُرْهَانٍ صَحِيحٍ .

---

(١) يعتوره : يصيبه وينزل به مرة بعد أخرى (٢) العقبات : جمع عقبة ، وهى الصعوبة ، وأصلها الطريق الصعب فى الجبال (٣) منقادة : طائعة (٤) مقوض : مهدم (٥) لايؤبه له : لا يعبأ به ولا يلتفت اليه (٦) اثارة : قليل وأصلها : البقية من العلم تؤثر

وَلَـكِنْ هُوَ الْيأْسُ ، قَاتَلَ اللهُ الْيأْسَ ، وَأَقَالَ الْيائِسِينَ عَثَرَاتِهِمْ[١] ، وَأَنَافَ بِهِمْ[٢] عَلَى يَفَاعِ[٣] الْأَمَلِ ، وَأَخَذَ بِأَيْدِيهِمْ إِلَى صَالِحِ الْعَمَلِ .

إِنَّ الْيأْسَ قَدْ تَمَكَّنَ مِنَ الْقُلُوبِ إِلاَّ أَقَلَّهَا ، وَاسْتَحْكَمَتْ[٤] حَلَقَاتُهُ فِي النُّفُوسِ ، غَيْرَ نَفْسٍ قَدْ تَدَارَكَهَا اللهُ بِبَصِيصٍ[٥] مِنْ نُورِ الْآمَالِ ، فَأَدْرَكَتْ مَغَبَّةَ[٦] الْمَآلِ[٧] ، وَسَعَتْ إِلَى تَحْسِينِ الْحَالِ ، لِتَجْنِيَ ثَمَرَاتِ الْاسْتِقْبَالِ .

فَلَا تَكُونُوا ، أَيُّهَا النَّاشِئُونَ ، مِنَ الْيَائِسِينَ ، الْكُسَالَى الْخَامِلِينَ .

فَمَا الْيأْسُ إِلاَّ مَوْتٌ فِي الْحَيَاةِ ، وَشَقَاءٌ بَعْدَ الْمَوْتِ .

فَاذْبَحُوا الْيأْسَ ، وَقَوُّوا الْبَأْسَ[٨] ، تَكُونُوا مِنَ الْمُفْلِحِينَ .

---

(١) اقاله عثرته : نهض به منها (٢) اناف بهم : رفعهم (٣) اليفاع : التل المشرف أو ما ارتفع من الارض (٤) استحكمت : تمكنت (٥) البصيص : اللمعان والبريق (٦) المغبة : العاقبة (٧) المآل : المرجع والمصير (٨) البأس : القوة والشدة .

٧

الرجاء[١]

لَوْلاَ الرَّجَاءُ لَمَا سَعَى سَاعٍ نَحْوَ أُمْنِيَّةٍ[٢] ، ولاَ دَعا دَاعٍ إِلَى وَطَنِيَّةٍ ، وَلَكَانَتْ الْحَيَاةُ أَضْيَقَ مِنْ جُحْرِ الضَّبِّ[٣] ، وَأَثْقَلَ على الْعَاتِقِ[٤] مِنَ الْقُيُودِ وَالأغلاَلِ[٥] .

مَا رَأَيْتُ أَحَدًا يَعْمَلُ إِلاَّ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ لِعَمَلِهِ أَثَرًا تُحْمَدُ مَغَبَّتُهُ[٦] ، وتُرْجَى فَائِدَتُهُ ، ولاَ فَرْقَ بَيْنَ أَنْ تَكُونَ الْفَائِدَةُ خَاصَّةً بِالْعَامِلِ ، أَوْ عامةً شَامِلَةً ، يَعودُ خيرُهَا على مجْمُوعِ الأُمَّةِ الَّتِي يَنتَفِعُ بِخيرَاتِها ، وَيَحْيَا فِي بِيئَتِهَا[٧] .

غيرَ أَنَّ هُنَاكَ أَمْرًا هُوَ كُلُّ الأَمْرِ :

ذَلِكَ أَنَّ قَوْمًا لاَ يَعْمَلُونَ إِلاَّ إِذَا اعْتَقَدُوا جِدَّ الاَعْتِقَادِ أَنَّ عملَهمْ مُثْمِرٌ لاَ مَحَالَةَ ، فَإِنْ لَمَحُوا شُبْهَةً فِي نَجَاحِ الْعَمَلِ ، وَلَوْ كَانَتْ أَوْهَى مِنْ بَيْتِ الْعَنْكَبُوتِ ، أَحْجَمُوا[٨] عَن

(١) الرجاء : الامل (٢) الامنية : مايتمناه الانسان ، وجمعها أماني (٣) جحر الضب : مأواه ، والضب : حيوان يرى كفرخ التمساح الصغير (٤) العاتق : موضع حمالة السيف من الكتف (٥) الاغلال : القيود ، والمفرد غل (٦) المغبة : العاقبة (٧) البيئة المنزل (٨) احجموا : تأخروا

الإقْدَامِ ، وَادَّرَعُوا[١] بِالأَوْهَامِ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ دَأْبِ[٢] الحَازِمِينَ[٣] ، ولاَ مِنْ خُلُقِ العَامِلِينَ .

وَما الدَّاعِي إلى إحْجَامِهِمْ إلاَّ ضَعْفُ الرَّجَاءِ فِي نُفُوسِهِمْ ، وَهُوَ مَرَضٌ مِنْ أَمْرَاضِ النَّفْسِ ، الَّتِي يَجِبُ مُدَاوَاتُهَا بِإِمَاتَةِ اليْأْسِ ، فَإِنَّهُ دَاءُ الأَجِمَاعِ ، وَجُرْثُومَةُ العُمْرَانِ المَوْبُوءَةُ[٤]

فَقْدُ الرَّجَاءِ دَاءٌ سَارٍ فِي جِسْمِ مُجْتَمَعِنَا ، لِذَلِكَ نَرَى العَامِلِينَ قَلِيلِينَ ، والسُّعَدَاءَ فِي حَيَاتِهِمْ نَادِرِينَ ، وقدْ شَمِلَتْهِمُ الحَسَرَاتُ ، وَحَاطَتْهِمْ مِنْ شَقَاءِ الحَيَاةِ النَّكَبَاتُ[٥] ، وَلَوْ عَقَلُوا لَطَرَحُوا بِهَذَا الخُلُقِ الشَّائِنِ[٦] الأَرْضَ ، وَاسْتَمْسَكُوا بِعُرَى[٧] الرَّجَاءِ ، وأَقْدَمُوا على العَمَلِ إقْدَامَ الأَشِدَّاءِ ، الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّ فِي اليْأْسِ الدَّاءَ ، وَفِي الرَّجَاءِ الشِّفَاءَ

وَبَعْدُ : فَإِنَّ هُنَاكَ قَوْمًا لاَ يُثَبِّطُ[٨] هِمَمَهُمْ بُعْدُ الغَايَةِ الَّتِي يَقْصِدُونَ إِلَيْهَا ، ولاَ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَرْجُونَ ما يَعْتَرِضُ

---

(١) ادرع الدرع وادرع بها : لبسها (٢) الدأب : العادة (٣) الحازم : من يضبط أموره ويأخذ منها بالثقة (٤) الجرثومة : النسمة التي يسمونها بالمكروب . والموبوءة : التي فيها الوباء والداء (٥) النكبات : المصائب (٦) الشائن : العائب (٧) العرى : جمع عروة . وهي كل ما يوثق به ويعول عليه وأصلها مقبض الدلو والكوز ونحوهما ، وما يدخل فيه الزر من القميص وغيره (٨) لا يثبط : لا يعوق ولا يؤخر

رَجَاءَهمْ ، ويُصَادِمُ آمالَهمْ ، بلْ يَنْدَفِعُونَ اندفاعَ القَضَاء المُنْزَلِ ، ويُقْدِمُونَ إقْدَامَ الأتيِّ[1] المُرْسَلِ ، لاَ يَلْوِيهِمْ[2] عَنْ أَمَانِيِّهِمْ لاَوٍ ، ولاَ يُثْنيِهِمْ ثانٍ ، وَأُولئِكَ هُمُ القَوْمُ حقًّا، وَبِهِمْ تحيَا الأُمةُ.

هذِهِ الفِئَةُ النَّاهِضَةُ ، تَعلمُ حقَّ العِلمِ أَنّ رَجَاءَ الأعمَالِ دَاعِيَةُ الإقْدَامِ عَلَيها ، وَسَبَبُ تَحقِيقِ حُصُولِهَا ، فلاَ يُقعِدُهُمْ عنها ضَعْفُ الأمَلِ، ولاَ ضآلةُ نُورِهِ[3].

وَهِيَ تَعتَقِدُ اعتِقَادًا لاَ يَشُوبُهُ[4] شَكٌّ ، ولاَ يُخالِطُهُ رَيْبٌ ، أَنّ الحَيَاةَ مَعَ اليأسِ مَوْتٌ ، وتقولُ معَ القَائل :

« مَا أَضْيَقَ العَيْشَ لوْلاَ فُسْحَةُ الأَمَلِ » .

فاجْعلُوا أَيُّها النَّاشِئُونَ، الرَّجَاءَ شِعارَكُمْ[5] ، والأَمَلَ دِثارَكُمْ[6] .

وَاتْرُكوا تَثْبيطَ المُثَبِّطِينَ، وَلَيَّ اللاَّوِينَ،وثَنْيَ الثَّانِينَ[7] .

وكونوا منَ الرَّاجِينَ الآمِلِينَ ، السَّاعِينَ العَامِلِينَ ، واللهُ لكمْ مُعِينٌ .

---

(١) الأتيّ : السيل يأتي من بعيد (٢) لايلويهم : لايثنيهم ولا يصرفهم ، وماضيه لوى ، ومصدره اللي واسم الفاعل لاو (٣) ضآلة النور: ضعفه وقلته (٤) لايشوبه : لايخالطه (٥) الشعار : العلامة ، وثوب يلبس تحت الدثار (٦) الدثار: ثوب يلبس فوق الشعار (٧) الثني : مصدر ثناه عن الأمر يثنيه أي صرفه عنه .

٨

الجبن

بَحَثْتُ فِى طَبَائِعِ الْبَشَرِ، فَلَمْ أَجِدْ خُلُقًا مِنَ الأَخْلاَقِ الدنِيئَةِ أَدْنَى[١] الى الصَّغَارِ[٢]، وَأَقْرَبَ إلى الموْتِ فى الْحياةِ، مِنَ الْجُبْنِ .

ذَلِكَ الخُلُقُ، مَا تَأَصَّلَ[٣] فِى نُفُوسِ قَوْمٍ إلاَّ ضَرَبَ عَلَيهِمُ الذِّلَّةَ وَالمَسْكَنَةَ[٤]، فَبَاءُوا[٥] بالوَضَاعَةِ[٦] والخُمُولِ، ثمّ بالاَنحِلالِ فالموْتِ .

يُدَاهِمُ[٧] الأُمّةَ الْعَدُوُّ، فَتجبُنُ عَنْ صَدِّ غارَتِهِ، وتَفَرَّقُ[٨] مِنْ مُنَازَلَتِهِ، بِمَا تَرَبَّتْ عَلَيْهِ نُفُوسُ أَفْرَادِهَا مِنَ الْجُبْنِ، فَيَجُوسُ خِلاَلَ الدِّيَارِ[٩] وَيَكْتَسِحُ[١٠] البِلاَدَ، وَيَسْتَعْبِدُ

(١) أدنى : أقرب (٢) الصغار . الذل والضيم (٣) تأصل : تمكنت أصوله وثبت (٤) المسكنة : الضعف والذل والفقر (٥) باؤوا : رجعوا (٦) الوضاعة : الخسة والانحطاط (٧) يداهم : يأتى على حين غفلة (٨) تفرق : تخاف (٩) يجوس خلال الديار : يدور فيها بالعيث والفساد (١٠) يكتسح البلاد : يستولى عليها ويأخذها

الجماعاتِ والأفرَادَ ، فلاَ يُرَى لهُ مِنْ صَادٍّ ، ولاَ لِافَاعِيلِهِ [١] مِنْ رَادٍّ

وَيَقُومُ فِيها رَهْطٌ [٢] أُولُو فَسَادٍ ، فلاَ يَجِدُونَ لهمْ أَحَدًا بالمِرْصَادِ [٣] ، فيُهْلِكُونَ الحَرْثَ [٤] والنَّسْلَ [٥] ، وَيَجْعَلونَ الأُمَّةَ كالحَيوانَاتِ العُجْمِ ، ولوْلاَ دَاءُ الجُبْنِ لرَدَّتْهمْ على أعقابِهِمْ خَاسِرِينَ ، وضَرَبَتْهمْ ضَرْبَةً لاَ تَقُومُ لهمْ بَعْدَهَا قَائِمَةٌ .

فالسُّكُوتُ على عَمَلِ مَنْ يُرِيدُ بالأُمَّةِ السُّوءَ خَلَّةُ [٦] الجُبَنَاءِ ، ومُنَاهَضَةُ [٧] الظَّالِمِ مِنْ دَلاَئِلِ حَيَاةِ الأُمَّةِ ، فإنَّ حَيَاتَها بمَا يَنْبغ فيهَا مِنَ الشُّجْعانِ .

قَبِيحٌ ، ورَبِّ الكَعْبَةِ ، أنْ يَقُومَ بَيْنَنا الجاهلُ بِزِيِّ العُلَمَاءِ ، وَالفَاجِرُ بمظهَرِ الأَتْقِيَاءِ ، والخَامِلُ بِصُورَةِ النُّبَهَاءِ ، والعَاجِزُ بهَيْئَةِ القُدَرَاءِ [٨] ، والمَيْتُ بلِبَاسِ الأَحْيَاءِ .

وَأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ نُسَلِّمَ لهمْ هٰذِهِ الدَّعْوَى رِئَاءً [٩]

---

(١) الافاعيل : جمع افعال ، ومفرد الافعال فعل ، وأكثرما تطلق الافاعيل على الافعال المنكرة (٢) الرهط : القوم (٣) المرصاد : الطريق ، والمكان يرصد فيه العدو (٤) الحرث : الزرع (٥) النسل : الخلق والولد والذرية (٦) الخلة : الخصلة والخلق وجمعها خلال (٧) المناهضة : المقاومة (٨) القدراء : جمع قادر (٩) الرئاء التظاهر بخلاف ماقى الباطن

وَنِفَاقاً ، طَمَعاً فِي جَرِّ مَغْنَمٍ . أَوْ لِخَوَرٍ[١] فِي النَّفْسِ ، وَضَعْفٍ فِي الأَخْلاَقِ .

وَأَشَدُّ قُبْحاً أَنْ نُدَافِعَ عَنِ الظَّالِمِ وَمَنْ يُرِيدُ بِالأُمَّةِ الشَّرَّ ، وَنَصِفَهُ بِالخِلاَلِ الطَّيِّبَةِ ، وَحُسْنِ النِّيَّةِ ، وَصِدْقِ العَمَلِ .

إِنَّ مِثْلَ هٰذَا الخُلُقِ الشَّائِنِ[٢] ، الذِي مَصْدَرُهُ الجُبْنُ ، غِشٌّ لِلأُمَّةِ ، وَتَغْرِيرٌ[٣] بِهَا ، لِأَنَّهَا تَسْتَسْلِمُ إِلَى مَنْ يَكُونُ القَاضِيَ عَلَى حَيَاتِهَا ، وَالهَادِمَ لِمَبَانِي اجْتِمَاعِهَا ، وَالمُقَوِّضَ[٤] لِأَرْكَانِ أَخْلاَقِهَا .

فَأُعِيذُكُمْ بِاللهِ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَنْ تَكُونُوا مِنَ الجُبَنَاءِ ، السُّفَهَاءِ الأَدْنِيَاءِ ، فَإِنَّ الجُبْنَ دَاءٌ أَيُّ دَاءٍ .

عَوِّدُوا أَنْفُسَكُمُ الشَّجَاعَةَ ، تَعْتَادُوا الإِبَاءَ[٥] وَالشَّمَمَ[٦] وَالصِّدْقَ فِي القَوْلِ ، وَالنَّجَاحَ فِي العَمَلِ .

إِنَّ الجُبْنَ قَدْ ضَرَّ بِالأُمَّةِ ، حَتَّى جَعَلَهَا فِي أَسْفَلِ الدَّرَكَاتِ[٧]

---

(١) الخور : الضعف ، والفتور ، والجبن (٢) الشائن : العائب (٣) غرر به تغريراً : عرضه للهلكة (٤) المقوض : المهدم (٥) الاباء : الامتناع من كل مايشين (٦) الشمم : الانفة وعزة النفس (٧) الدركات : جمع دركة وهى المنزلة السافلة وهى فى الاصل للنازل كالدرجة للصاعد

فَسَطَا[١] عليْها الجائرُ[٢]، واسْتَبَدَّ بأمرِها الجاهلُ، وَغَرَّرَ بها الْفَاجِرُ، فإنْ دَامَتِ الحالُ، ساءَ المآلُ[٣].

فلاَ تأْخُذْكُمْ في الحقِّ لَوْمَةُ لاَئِمٍ، ولاَ تُرْهِبْكُمْ سَطْوَةُ ظَالِمٍ، فإنَّ فِي الْجُبْنِ الموْتَ، وَفِي الشَّجَاعَةِ الحَيَاةَ.

إنكُمْ ستَكُونونَ غداً آباءَ، فَكُونُوا لِأَبْنَائِكُمْ قُدْوَةً صَالحةً، تحْيَي بكُمْ الأُمَّةُ حيَاةَ السُّعَدَاءِ.

٩

التهور[٤]

إذَا كانَ الْجُبْنُ خُلقاً سافِلاً، ومَثْلَبَةً[٥] لِلْجَبانِ عظيمةً، فالتَّهَوُّرُ لاَ يَقِلُّ عنْهُ مَنقَصَةً، لِأنَّ فِي كِلاَ الْخُلُقَيْنِ ضَرَراً لاحِقاً بالإنْسَانِ.

الْجُبْنُ فِي الأَعْمالِ دَاعيةُ الإخْفَاقِ[٦] فِيهَا، والتَّهَوُّرُ

(١) سطا: صال ووثب وقهر. (٢) الجائر: الظالم (٣) المآل: المرجع والمصير.
(٤) التهور: الوقوع في الامر بلا مبالاة (٥) المثلبة: العيب والمنقصة والمسبة.
(٦) الاخفاق: عدم الظفر بالمطلوب

فِي الإقْدَامِ عَلَيْها قبلَ التَّرَوِّي سَبَبٌ لِعَدَمِ التَّوْفِيقِ أَيْضاً

رَأَيْنا جَمَاهِيرَ المتَحَمِّسينَ يَنْدَفِعُونَ فِي أَمْرٍ مِن الأُمُورِ ، ثمّ لاَ يَلْبَثونَ[1] أَنْ يَرْجِعُوا بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ[2] ، فلاَ يُوَفَّقُونَ فِيمَا اندَفعوا فِيهِ ، وَإِنّ هِمَمَهُمْ لَتَبْرُدُ بَعْدَ قَلِيلٍ مِنْ تَحَمُّسِهِمْ .

مَا سِرُّ ذَلِكَ ؟

إنَّ السِّرَّ وَاضِحٌ لِكلِّ مُفَكِّرٍ : وذَلِكَ أَنَّ كلَّ عَمَلٍ مِنَ الأَعمَالِ ، مِنْهُ ما يكونُ ومِنْهُ مالاَ يَكُونُ ، فالعَاقِلُ مَنْ يَتَرَوَّى فِي الأَمْرِ قَبْلَ الإقدَامِ عليْهِ ، فإِنْ رَأَى أَنهُ مِمَّا يكونُ ، وجَّهَ عَزِيمَتَهُ إِلَيْهِ ، وانْدَفَعَ نَحْوَهُ ، وإِنْ رَأَى أَنّهُ مِمَّا لاَ يكونُ لَمْ يُضِعِ الْوَقْتَ عَبَثاً فِي مُحَاوَلَةِ إِيجَادِهِ

التَّهَوُّرُ ضَارٌّ كالْجُبْنِ فِي عدَمِ حُصُولِ الْفَائِدَةِ مِنْهُ :

فإِنْ رَأَيْتَ رَجلاً جَارَ عَنِ الْقَصْدِ[3] ، واتَّبَعَ غيرَ سَبِيلِ الرُّشْدِ ، فأَحجَمْتَ[4] عَنْ إِرْشَادِهِ ، وَجَبُنْتَ عنْ إِبدَاءِ النَّصِيحَةِ لهُ ، ظَلَّ سَائِرًا فِي طَرِيقِ ضلاَلِهِ ، فكَذَلِكَ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ

---

(١) لايلبثون : لا يمكثون (٢) رجع بخفى حنين : مثل يضرب لمن رجع خائباً

(٣) جار عن القصد : عدل عنه ومال . والقصد استقامة الطريق ، والتوسط فى الامور وهو نقيض الافراط فيها (٤) احجمت : تأخرت

تَصرِفهُ بالشِّدَّةِ ، وتَمنعهُ بالجَبْهِ[1] وَالقَسْوَةِ ، فلاَ يُعيرُ زَجْرَكَ[2] أُذُنًا صَغْوَاءَ[3] ، بلْ رُبَّمَا تَمادَى فِى عِنَادِهِ[4] ، وَازْدَادَ فِى طُغْيَانِهِ[5] فَتضيعُ بِذَلِكَ الفَائِدَةُ التِى كُنْتَ تَتَوَخَّاهَا[6] وَالنَّتِيجَةُ التِى تَنْشُدُهَا[7] .

التَّهَوُّرُ سِرٌّ عَظِيمٌ مِنْ أَسْرَارِ الفَشَلِ فِى الأَعمَالِ ، وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ مُعظَمُ الأَسْبَابِ فِى ضِيَاعِ ثَمَرَاتِ مَجهُودَاتِنَا وَإِفْلاَتِ الصَّيْدِ مِنْ يَدِنَا .

فَاتَّقِ ، أَيُّهَا النَّاشِئُ ، التَّهَوُّرَ ، فإِنهُ مَدْعَاةُ الخَيْبَةِ[8] ، وَتَجَنَّبِ التَّسَرُّعَ ، فإِنَّ مَغبَّتَهُ[9] الزَّلَلُ[10] .

وكُنْ أُمَّةً[11] وَسَطًا[12] تَكُنْ مِنَ المُفْلِحِينَ .

---

(١) الجبه : الشدة ، وأصل معناه : ضرب الجبهة (٢) الزجر : المنع والانتهار (٣) صغواء : مصغية (٤) تمادى فى عناده : لج فيه ودام عليه (٥) الطغيان : مجاوزة الحد (٦) تتوخاها : تتحراها (٧) تنشدها : تطلبها (٨) مدعاة الخيبة : السبب فيها (٩) المغبة : العاقبة (١٠) الزلل : السقوط (١١) الامة : الجماعة تجمعها حال واحدة . وانما وصف به الناشىء هنا رجاء أن يكون أمة بنفسه ان شاء الله (١٢) وسطا : معتدلا فى الامور .

١٠
الشجاعة

مِلاَكُ[١] النَّجَاحِ فِي الأَعْمَالِ أَنْ يَكُونَ فِي نَفْسِ العَامِلِ شَجَاعَةٌ تَدْفَعُهُ إِلَى العَمَلِ ، فلاَ يَرْجِعُ عَنْهُ حَتَّى يَنَالَ ما يُرِيدُ ، وَما أَفْلَحَ الْعامِلونَ إلاَّ بِهذا الخُلُقِ الشَّرِيفِ ، الَّذِي يُمَكِّنُ المُتَخَلِّقَ بِهِ مِنْ نَاصِيَةِ[٢] خَطِيرِ[٣] الأُمورِ ، حَتَّى تُلْقِيَ إِلَيْهِ صِعَابُها بالمَقَالِيدِ[٤] .

الشَّجَاعَةُ هِيَ الحَدُّ الْوَسَطُ بينَ رَذِيلَتَيِ الْجُبْنِ والتَّهَوُّرِ ، فَفِي الْجُبْنِ تَفْرِيطٌ[٥] ، وَفِي التَّهَوُّرِ إِفْرَاطٌ[٦] ، وَفِي الشَّجَاعَةِ السَّلاَمَةُ .

الشَّجَاعَةُ أَنْ تُقْدِمَ حَيْثُ تَرَى الإِقْدَامَ عَزْماً ، وتُحْجِمَ[٧] حَيْثُ تَرَى الإِحْجَامَ حَزْماً[٨] .

---

(١) ملاك الشيء : نظامه وقوامه الذى به يقوم (٢) الناصية : مقدم الرأس ، والتمكن من ناصية الامر : كناية عن الاستيلاء عليه .(٣) الخطير : العظيم (٤) المقاليد : المفاتيح ، ومفردها مقلاد (٥) التفريط : التضييع والتقصير (٦) الافراط : مجاوزة الحد (٧) تحجم : تتأخر (٨) الحزم : ضبط الامر والاخذ منه بالثقة

وَهِيَ قِسْمَانِ : شجَاعَةٌ أَدَبِيَّةٌ وَشجَاعَةٌ مادِّيَّةٌ ، وَكِلاَهما مِنْ ضَرُورِيَّاتِ الْحيَاةِ .

فالثَّانيةُ يَدْفَعُ بِهَا الْمَرْءُ عَنْ وَطَنِهِ وعَنْ نَفْسِهِ عوَادِيَ [١] مَنْ يُرِيدُ بِهِمَا السُّوءَ ، ويُكافِحُ الأَعْدَاءَ [٢] فى سَبِيلِ تَعْزِيزِ الأُمَّةِ ، إلى أَنْ يَقْضِيَ اللهُ أَمْرًا كانَ مَفْعُولاً ، فإِنِ انْتَصَرَ أَلْبَسَ الوَطَنَ مَطَارِفَ [٣] الشَّرَفِ ، وَحلَّى جِيدَهُ [٤] بعُقُودِ الْفَخْرِ ، وإنْ لمْ يُوَفَّقْ فِيما قَصَدَ إليهِ كانَ لهُ أَجْرُ الْعَامِلِ الْمُخْلِصِ .

وَالأُولَى يَرُدُّ بِهَا الظَّالِمَ عنْ ظُلْمِهِ ، والْغَاوِيَ [٥] عَنْ غَيِّهِ ، وَيُرْشِدُ الأُمَّةَ بالْعِظَةِ النَّاجِعَةِ [٦] إلى السَّبِيلِ الْقَوِيمَةِ لِتَسْلُكَهَا ، والطَّرِيقِ اللاَّحِبِ [٧] لِتَمْشِيَ فيهِ .

فإِنْ فُقِدَتْ هذِهِ الشَّجَاعَةُ تَمَادَى الْجائِرُ [٨] ، وَازْدَادَ ضَلاَلُ الضَّالِّ ، ومَشَتْ الأُمَّةُ فِي غيرِ مَنْهَجِ [٩] الصَّوَابِ ، فَكَانَتِ الْعَاقِبَةُ شَرًّا .

---

(١) العوادى : النوازل (٢) يكافح : يقاتل ، والمكافحة استقبالك العدو فى الحرب وجهاً لوجه ليس دونكما ترس أو غيره . (٣) المطارف : جمع مطرف بكسر الميم وفتح الراء ومطرف بضم الميم وفتح الراء ، وهو رداء من الحرير مربع ذو اعلام (٤) الجيد : العنق (٥) الغاوى : الضار (٦) الناجعه : النافعه (٧) اللاحب : الطريق الواضح المسلوك (٨) الجائر : الظالم (٩) المنهج : الطريق الواضح .

وَإِنِ اضْمَحلَّتْ تِلْكَ[1] كانَتِ الْبِلادُ نَهْباً مُقَسَّماً ، يُصَاحُ فِي حَجَرَاتِهَا[2] ، فلا يُلْفَى لِلصَّائِحِ مُسْكِتٌ ، وَيُعَاثُ[3] فِي أَكْنَافِهَا[4] ، فلا يُرَى لِلْعَائِثِ مِنْ رَادٍّ ، وَهنَاكَ الطَّامَّةُ[5] الْكُبْرَى ، الّتي تَجْعَلُ أفْرَادَ الأُمّةِ عَبِيدَ الْعَصَا ، والْبَلِيّةُ الْعُظْمَى الّتي تَجْتَاحُ[6] مُمَيِّزَاتِ تِلْكَ الأُمّةِ ، وَتَقْضِي على حَيَاتِهَا الاُسْتِقلالِيَّةِ ، حَتّى تَجْعَلَهَا كَأَمْسِ الدَّابِرِ .

هٰذا إِنْ جَبُنَتِ الأُمّةُ جُبناً مَعْنَوِيًّا أَوْ مَادِيًّا .

وَإِنْ تَهَوَّرَتْ فِي الدِّفَاعِ ، فَفِي الْغَالِبِ أَنْ يُصِيبَهَا مَا أَصَابَهَا فِي حالِ جُبْنِهَا ، لِأَنَّها إِنْ أَقْدَمَتْ عَلى الْمُصَادَمَةِ قَبْلَ أَنْ تأْخُذَ لِلأَمْرِ أُهْبَتَهُ[7] ، وللْكِفَاحِ عُدَّتَهُ ، كانَتِ النَّتِيجَةُ شَرًّا أَيْضاً .

فَإِنْ قِيلَ : إِنْ كانَ لَا بُدَّ مِنْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ : التَّهَوُّرِ ، أَوِ الْجُبْنِ ، فَأَيُّهُمَا خَيْرٌ لِلأُمَّةِ ؟

الْجَوَابُ عَلَى هٰذا أَنْ لَيْسَ وَرَاءَ الْجُبْنِ خَيْرٌ قَطُّ ، وَأَمَّا

---

(١) اضمحلت : ذهبت وانحلت وتلاشت . والإشارة بتلك الى الشجاعة المادية .
(٢) الحجرات : بفتح الحاء والجيم : النواحى . والمفرد حجرة بفتح الحاء وسكون الجيم . وقولهم : « دع عنك نهباً صيح فى حجراته » هو مثل يضرب لمن ذهب من ماله شىء ثم ذهب ما هو أجل منه وأعظم (٣) يعاث : يفسد . والعائث : المفسد .
(٤) الاكناف : الجوانب والنواحى . والمفرد كنف (٥) الطامة : المصيبة التى تطم (٦) تجتاح : تستاصل وتمحو (٧) الاهبة : العدة .

التَّهَوُّرُ فقَدْ يَنالُ صاحِبُهُ مايُرِيدُ ، والسَّلامَةُ منْ ذلِكَ أَنْ ترَبَّى فى الأُمَّةِ رُوحُ الشَّجاعَةِ ، فهِىَ الحِصْنُ الحَصِينُ[1] وَالمَعْقِلُ[2] الأَمِينُ .

فَبِالشَّجاعَةِ مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، تخَلَّقُوا ، وَبِحَبْلِها اعْتَصِمُوا ، وَلاَ تَدَعُوا لِمَرَضِ الْجُبْنِ ، وَإِبْلِيسِ التَّهَوُّرِ إلى قُلُوبِكُمْ سَبِيلاً ، فإِنَّ الْجُبْنَ مِنَ الْبَلادَةِ ، والتَّهوُّرَ منَ الحمَقِ ، والشَّجاعَةَ مِنْ أَخْلاقِ المُؤْمِنِينَ .

١١

المصلحة المرسلة[3]

دَخَلَ أَعْرَابِىٌّ على هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ فقالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَتَتْ علَيْنا ثلاثَةُ أَعْوَامٍ : فَعامٌ أَذَابَ الشَّحْمَ ، وَعامٌ أَكلَ اللَّحْمَ ، وَعامٌ انْتَقَى الْعَظْمَ[4] ، وَعِنْدَكُمْ فُضُولُ أَمْوَالٍ ،

---

(١) الحصين : المنيع (٢) المعقل : الملجأ (٣) المصلحة المرسلة : هى التى يقصد بها النفع العام (٤) انتقى العظم : اخرج نقيه أى مخه وهو مافى داخل العظم من الدسم

فإنْ تكنْ للهِ فبثُّوها[1] في عبادِ اللهِ ، وإنْ تكنْ للنّاسِ فلِمَ تُحجَبُ[2] عنهم ! وإنْ كانتْ لكمْ فتصدّقوا بها ، إنّ اللهَ يحبُّ المتصدّقينَ . »قالَ هشامٌ : «هلْ منْ حاجةٍ غيرِ هذهِ يا أعرابيُّ ؟ » قالَ : « ما ضربْتُ إليكَ أكبادَ الإبلِ[3] ، ادّرعُ الهجيرَ[4] ، وأخوضَ الدّجَى[5] ، لِخاصٍّ دونَ عامٍّ » .

فأمرَ لهُ هشامٌ بأموالٍ فُرّقتْ في النّاسِ ، وأمرَ للأعرابيِّ بمالٍ فرّقهُ في قومِهِ .

إنّ لهذا الأعرابيِّ أيُّها النّاشئُ ، نفساً كبيرةً ، ووجداناً صحيحاً ، وغيرةً على قومِهِ وغيرِ قومِهِ عظيمةً ، وذلكَ ما دعاهُ ألاّ تكونَ لهُ الأثرةُ[6] بالخيرِ دونَ سواهُ ، لأنّهُ علِمَ علمَ اليقينِ أنَ حياةَ الفردِ حياةَ السّعادةِ ، وقومُهُ في الشّقاءِ ، لهيَ حياةُ الذّلِّ ، وعيشةُ البؤسِ[7] .

كيفَ يرضَى العاقلُ أنْ يكونَ في بحبوحةٍ[8] منَ الخيرِ ،

---

(١) بثوها : فرقوها (٢) تحجب : تمنع (٣) ضربت أليك أكباد الابل : رحلت اليك من مكان بعيد (٤) ادرع الهجير : البسه كالدرع . والهجيرة شدة الحر
(٥) الدجى : سواد الليل . وادراع الهجير وخوض الدجى مجاز عن السير فيهما
(٦) الاثرة : الاستئثار والاستبداد (٧) البؤس : الشقاء والشدة (٨) البحبوحة : لسعة ، ووسط الشيء .

وَمَنْ يُحِيطُ بِهِ مِنَ النَّاسِ فِي ضَنْكِ[1] الْعَيْشِ !

بَلْ كَيْفَ لَا يَأْنَفُ[2] أَنْ يَرَى الشَّقَاءَ قَدْ عَمَّ الْأُمَّةَ ، وهُوَ لَا يَعْبَأُ[3] بِمَا يَعْتَرِيهَا مِنَ الْآلَامِ ، وَلَا يَأْلَمُ لِمَا فِي أَفْئِدَتِهَا مِنَ السِّهَامِ[4] !

إِنَّ ذَلِكَ مِنْ ضَعْفِ الشُّعُورِ ، وَمَوْتِ الْوِجْدَانِ وَفَسَادِ الْأَخْلَاقِ !

وَإِنَّ مَنْ يَرْضَى بِذَلِكَ ، وَلَا يَشْعُرُ بِمَا يُصِيبُ الْمَجْمُوعَ ، لَهُوَ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَعْرِفُ مِنَ الْحَيَاةِ إِلَّا الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ ، وَاللَّهْوَ وَالضِّرَابَ[5] .

وَأَكْثَرُ بَهِيمِيَّةً مِنْهُ ، وَأَشَدُّ وَطْأَةً[6] عَلَى الْحَيَاةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ ، مَنْ يَسْعَى لِمَصْلَحَتِهِ الشَّخْصِيَّةِ سَعْيَهَا ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهَا السَّهْمُ النَّافِذُ فِي صَمِيمِ[7] الْمَصْلَحَةِ الْعَامَّةِ ، وَالْقَضَاءُ الْمُبْرَمُ[8] عَلَى حَيَاةِ الْمَجْمُوعِ !

إِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ النَّاسِ عِبْءٌ[9] ثَقِيلٌ عَلَى الْمُجْتَمَعِ ، وَمَرَضٌ وَبِيلٌ[10] فِي جِسْمِ الِاجْتِمَاعِ .

---

(١) ضنك العيش : ضيقه (٢) لا يأنف : لا يستنكف (٣) لا يعبأ : لا يبالى (٤) السهام : النبال ، والمفرد سهم (٥) الضراب : بكسر الضاد ، النكاح والجماع (٦) الوطأة : الضغطة والدوسة ويراد بها الشدة (٧) الصميم : العظم الذى به قوام العضو (٨) القضاء المبرم : الذى لا مرد له (٩) عبء : حمل (١٠) وبيل : شديد

أَلاَ يَدْرِى مَنْ كانَ على هٰذِهِ الشَّاكلَةِ أَنّ عَمَلَهُ يَعُودُ عليْهِ بالْخسْرَان !

أَلاَ يَعلَمُ أَنَّهُ فَرْدٌ منْ أَفرَادِ الأُمّةِ الّتى سَعَى لِلضّرَرِ بِهَا !

أَلاَ يَفهمُ أَنّ ضَرَرَ المَجْمُوعِ يَعُودُ على الْفَرْدِ !

أَمْ يَظُنُّ أَنّهُ نَاجٍ منْ سُوءِ عمَلِهِ ، مُتَفَصٍّ(١) منْ عاقبَةِ شَرِّهِ !

إنْ ظَنَّ ذَلِكَ فقَدْ ظَنَّ باطِلاً ، لِأَنّنَا لمْ نَرَ أَحَداً يَضُرُّ الأُمّةَ لِمَنْفَعَةِ نَفْسِهِ إلاّ عَادَ عليْهِ عمَلُهُ بالضّرَرِ المُبِينِ ، والأَمْثِلَةُ على ذَلِكَ أَكْثرُ مَنْ أَنْ تُحصَى .

أَلاَ إنّ هُنَاكَ قَوْماً قَدْ ضَرَبَ اللهُ بَيْنهمْ وَبَينَ الحَقِّ بِسُورٍ ، ظَاهِرُهُ فيهِ الرّحمَةُ ، وَبَاطِنُهُ منْ قِبَلِهِ(٢) الْعَذابُ ، فهمْ يَعْملونَ على خَضْدِ شَوْكَةِ(٣) الأُمّةِ ، وَإِضْعَافِ بَأْسِهَا(٤) ، وإِضَاعَةِ حَقِّهَا ، وَإِبْقَائِهَا فِى بِيئَةِ(٥) الخُمُولِ والاَسْتِكَانَةِ(٦) ، وَمَا لَهمْ فى ذَلِكَ منْ فائِدَةٍ . وَليْسَ لَهمْ منْ عَائِدَةٍ(٧) إلاّ مَا يَنَالُهمْ

---

(١) متفص : متخلص متملص (٢) من قبله : من جهته (٣) خضد الشوكة : كسرها وقطعها (٤) البأس : القوة والشدة (٥) البيئة : المنزل (٦) الاستكانة : المسكنة والذل (٧) العائدة : المنفعة وما يوصل به الانسان من معروف

مِنْ ثَنَاءِ حَاكِمٍ، أَوْ بَشَاشَةٍ فِي وَجْهِهِ! وَإِنْ نَالَتْهُمْ فَائِدَةٌ مَادِيَّةٌ، فَهِيَ لاَ تُسْمِنُ وَلاَ تُغْنِي مِنْ جُوعٍ، وَإِنَّمَا هُوَ النِّفَاقُ وَالرِّيَاءُ، يَدْفَعَانِ بِمِثْلِ هَؤُلاَءِ النَّاسِ إِلَى تَحْبِيذِ أَعْمَالِ أَهْلِ الأَثَرَةِ! وَلَيْتَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً، بَلْ هُمْ يَعْلَمُونَ كُلَّ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ وَرَاءَ إِسْقَاطِ الأُمَّةِ سَاعُونَ، وَنَحْوَ مَا يُخْمِلُ ذِكْرَهَا سَائِرُونَ، وَعَلَى مَا يُمِيتُهَا عَامِلُونَ، فَهُمُ الضَّالُّونَ المُضِلُّونَ، وَأُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ[1].

فَتَجَنَّبُوا، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ أَعْمَالَهُمْ، وَقُوا[2] أَنْفُسَكُمْ مَعَرَّةَ[3] أَفْعَالِهِمْ، وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْفِرَاسِيِّينَ[4] الْقَائِلِينَ:

مُعَلِّلَتِي بِالوَصْلِ، وَالمَوْتُ دُونَهُ إِذَا مِتُّ ظَمْآناً فَلاَ نَزَلَ الْقَطْرُ

بَلْ كُونُوا مِنَ الْمَعَرِّيِّينَ[5] الْمُنَادِينَ:

فَلاَ هَطَلَتْ عَلَيَّ وَلاَ بِأَرْضِي سَحَائِبُ[6] لَيْسَ تَنْتَظِمُ الْبِلاَدَا[7]

تَكُونُوا مِمَّنْ هُدِيَ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ[8].

---

(١) البرية: المخلوقات (٢) قوا: احفظوا (٣) المعرة: السوء، والاثم، والجناية (٤) المراد بالفراسيين دعاة المنفعة الشخصية، نسبة الى أبي فراس الحمداني الشاعر المشهور ابن عم سيف الدولة قائل البيت (٥) المراد بالمعريين دعاة المنفعة العامة، نسبة الى أبي العلاء المعري الشاعر الفيلسوف العربي الشهير قائل هذا البيت (٦) السحائب: الغمام الممطر والمفرد سحابة (٧) تنتظم البلاد: تعمها وتنفذ في جميع أقطارها

(٨) الصراط المستقيم: الطريق المعتدل الذي لا عوج فيه.

١٢

الشرف

نظرتُ في أخلاقِ النَّاسِ ، وتقبَّبتُ عن نفوسهم ، فلم أرَ نفساً لم تدَّعِ الشَّرفَ .

سَلِ العالمَ والجاهلَ ، والصَّالحَ والطَّالحَ ، والمخلِصَ والمنافقَ ، وكلَّ مَنِ اتَّصفَ بخلَّةٍ[١] حميدةٍ أو ذميمةٍ ، يجبْكَ أنَّهُ شريفُ النفسِ .

لِكلِّ إنسانٍ أنْ يدَّعيَ هذهِ الدَّعوى ، غيرَ أنهُ ليسَ لِكلِّ إنسانٍ أنْ يصدِّقَها ، ما لمْ يحقِّقِ الخبرَ الخُبْرُ[٢] ، وإلاَّ اختلطَ الحابلُ بالنَّابلِ[٣] ، والفارسُ بالرَّاجلِ[٤] .

يزعمُ كثيرٌ منَ النَّاسِ أنَّ الشَّرفَ إنَّما هوَ بما عندَ الإنسانِ منَ الثَّروةِ ، وبقدرِ ما لديهِ منها يختالُ[٥] عُجْباً ، ويميسُ[٦] فخاراً ، فهوَ يحتقرُ الضُّعفاءَ ، ويزدري الفقراءَ .

---

(١) الخلة : الخصلة والخلة (٢) الخبر بضم الخاء : الاختبار (٣) الحابل : الصائد بالحبالة وهي الشبكة ، والنابل : الرامي بالنبل (٤) الفارس : الراكب الفرس ، والراجل : الماشي على رجليه (٥) يختال : يتكبر ويتبختر (٦) يميس : يتمايل عجباً

وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنْ يَجِدَ هذَا الشَّرِيفُ الْوَاهِمُ نُصَرَاءَ يَرْفَعُونَ مِنْ مَقامِهِ وأَذِلاَّءَ يَسجُدُونَ أَمَامَ قَدَمَيْهِ ، وَقَدْ لاَ يَنالُهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ عَلَى سَدِّ عَوَزِهِمْ[1] ، وإِصْلاَحِ مَعَايِشِهِمْ ، وإِنما هُوَ النِّفَاقُ أَو الذُّلُّ ، وَما ذَلِكَ إِلاّ مِنْ فَسَادٍ فِي تَرْبِيَتِهِمْ وَمَرَضٍ فِي أَخْلاَقِهِمْ .

وَلَوْ يَعْلَمُ مَنْ يَدَّعِي الشَّرَفَ لِوُفُورِ[2] ثَرْوَتِهِ أَنهُ إِنْ يَقْلِبِ لهُ الدَّهْرُ ظَهْرَ المِجَنِّ[3] ، وَيُكَشِّرْ لهُ الزَّمانُ عَنْ نَابِهِ ، فَيُصْبِحْ فَقِيراً بَعْدَ الْغِنَى ، مُحْتاجاً بَعْدَ الثَّرْوَةِ ، يَخْفِضْهُ مَنْ كانَ لهُ رَافِعاً ، وَيَنْأَ[4] عَنْهُ مَنْ كانَ مِنْهُ دَانياً[5] ، لأَقْلَعَ عَنِ الْفَخَارِ ، ولَبِسَ غيرَ هذَا الدِّثَارِ[6] .

وَيَظُنُّ آخَرُونَ أَن الشَّرَفَ هُوَ مَا أُوتِيَ[7] الإِنْسَانُ مِنْ قُوَّةٍ فِي بدَنِهِ ، فَهوَ يَحْتَقِرُ الضُّعَفَاءَ ، ولَوْ كانَ لَدَيْهِمْ مِنَ الْعَقْلِ ما يَطُولُونَ بِهِ الْجَوْزَاءَ[8] .

ولوْ عَلِمَ أَنَّ الأَسَدَ أَجْرَأُ مِنْهُ وأَقْوَى ، وأَنَّ الجَمَلَ

(١) العوز : الحاجة (٢) الوفور : الكثرة (٣) قلب له الدهر ظهر المجن : تغير عليه أو أساء اليه . والمجن الترس ، وهذا مثل يضرب لمن ساءت حاله بعد الصلاح
(٤) ينأ : يبعد (٥) دانياً : قريباً (٦) الدثار : الثوب (٧) أوتى : أعطى
(٨) الجوزاء : برج فى السماء

أَصْلَبُ عُودًا، وَأَضْخَمُ جِسْمًا، وَأَرْوَعُ[1] هَيْئَةً، فَهُمَا أَوْلَى مِنْهُ بِذَلِكَ، لَرَجَعَ عَمَّا يَدَّعِيهِ صَاغِرًا، وَتَرَكَ الْفَخَارَ بِالْقُوَّةِ وَالْبَطْشِ.

وَيَخَالُ قَوْمٌ أَنَّ الشَّرَفَ فِي أَنْ يَشْقَى الْمَرْءُ بِمَرَضِ الأُمَّةِ، وَيَحْيَا بِمَوْتِهَا، وَيَقْوَى بِضَعْفِهَا، وَيَرْتَفِعَ بِانْحِطَاطِهَا، وَيَعِزَّ بِذُلِّهَا، وَيَمْجُدَ[2] بِسَفَالَتِهَا.

وَلَوْ فَكَّرُوا قَلِيلًا لَعَلِمُوا أَنَّهُمْ مُخْطِئُونَ، وَفِي غُرُورِهِمْ[3] يَعْمَهُونَ[4]، فَالشَّرِيفُ إِنَّمَا يَشْرُفُ بِشَرَفِ الأُمَّةِ، وَيَحْيَا بِحَيَاتِهَا فَإِنْ هَانَتْ هَانَ، وَإِنْ مَاتَتْ مَاتَ.

إِنَّ الشَّرَفَ الصَّحِيحَ، وَالْمَجْدَ الرَّجِيحَ[5]، لَا يَكُونَانِ إِلَّا لِمَنْ تَوَفَّرَتْ[6] فِيهِ الْمُرُوءَةُ[7] وَالشَّهَامَةُ[8] وَطَهَارَةُ الْوِجْدَانِ، وَنَالَ قِسْطًا مِنَ الْعِلْمِ، وَنَشَّطَ الدَّاعِينَ إِلَيْهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ،

(١) أروع: أعجب وأفزع (٢) يمجد: يشرف (٣) الغرور: الباطل، وتزيين الخطأ بما يوهم انه صواب (٤) يعمهون: يتحيرون ويترددون في الضلال (٥) الرجيح: الرزين (٦) توفرت: كثرت واتسعت (٧) المروءة: النخوة، وكمال الرجولية وهي مجموعة آداب نفسانية تحمل مراعاتها الانسان على الوقوف عند محاسن الاخلاق وجميل العادات (٨) الشهامة: الحرص على مباشرة أمور عظيمة تستتبع الذكر الجميل.

فَهُوَ مِمَّنْ طَابَتْ سَرِيرَتُهُمْ[(١)] وَزَكَتْ[(٢)] بَيْنَ النَّاسِ سِيرَتُهُمْ[(٣)].

هَيْهَاتَ[(٤)] أَنْ يَكُونَ شَرِيفاً مَاجِداً، مَنْ كَانَ جَاهِلاً سَفِيهاً، يَزْدَرِى النُّبَهَاءَ، وَلاَ يُبَالِى الْعُقَلاَءَ، وَلاَ يَأْبَهُ لِلْعُلَمَاءِ[(٥)]، وَيَكْرَهُ لِأُمَّتِهِ الْأَرْتِقَاءَ.

لَيْسَ مِنَ الشَّرَفِ وَالْوَجَاهَةِ فِى شَيْءٍ مَنْ يَسْتَبِدُّ بِمَرَافِقِ[(٦)] الْأُمَّةِ، وَيَسْتَأْثِرُ بِمَنَافِعِهَا[(٧)]، وَيَحْقِرُ[(٨)] مَجْمُوعَهَا، وَيَهْدِمُ كِيَانَهَا[(٩)].

الشَّرِيفُ مَنْ يَخْدِمُ الْوَطَنَ خِدْمَةً صَحِيحَةً تُعْلِى شَأْنَهُ، وَتَرْفَعُ مِنْ مَكَانَتِهِ، وَيَهُونُ[(١٠)] فِى سَبِيلِ إِعْزَازِهِ، وَيَمُوتُ بُغْيَةَ إِحْيَائِهِ.

هٰذَا هُوَ الشَّرَفُ الْحَقُّ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ، فَاعْتَصِمُوا[(١١)] بِحَبْلِهِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ، وَالْجَأُوا إِلَى حِصْنِهِ، فَإِنَّهُ حِصْنُ اللهِ الْحَصِينُ.

---

(١) السريرة : مايسره الانسان ويكتمه خيراً كان أو شراً . وفلان طيب السريرة : سليم القلب صافى النية . والجمع سرائر (٢) زكت : طابت وصلحت (٣) السيرة : ما يسير عليه الانسان من الاعمال (٤) هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد . وهى مثلثة الآخر (٥) لا يأبه : لا يكترث ولا يبالى (٦) المرافق : المنافع (٧) يستأثر بمنافعها : يستبد بها ويخص بها نفسه دون غيره (٨) يحقر : يحتقر (٩) كيان الامر : ما يكون عليه (١٠) يهون : يذل (١١) اعتصموا : تمسكوا .

إنَّ الوَطَنَ يَدْعُوكُمْ إلَى خِدْمَتِهِ فأجيبُوهُ ، والأُمَّةَ بَاسِطَةٌ إلَيْكُمْ أَيْدِيَها ، فَمُدُّوا إلَيْها أَسْبَابَ[1] النُّهُوض ، وَأَعينُوهَا مِنْكُمْ بِقُوَّةٍ ، تَحْيَ بِكُمْ حَيَاةً طَيِّبَةً ، وَتَرْقَ إلَى أَعْلَى عِلِّيِّينَ[2].

١٣

الهجعة واليقظة[3]

لِلامم ، كَمَا لِلأَفْرَادِ ، هَجَعَاتٌ وَيَقَظَاتٌ :

فتَارَةً تَتَغَلَّبُ عليها الأُولَى فتخملها ، وَطَوْرًا تَهيجُهَا[4] الثَّانيةُ فتُنَبِّهُهَا ، وقَدْ كانَ هذَانِ العامِلاَنِ ، وَلَمْ يَزَالاَ ، فِي تنَازُعٍ وَخِصَامٍ ، وَلَمْ يكُنْ ولاَ يكُونُ بَيْنَهُمَا سكِينَةٌ وَسلاَمٌ ، ذَلكَ لِأَنَّهمَا ضِدَّانِ ، والضِّدَّانِ لاَ يَجْتَمِعَانِ .

وَإِنَّ لهَذهِ الغَلَبَةِ أَسْبَابًا وَعِلَلاً رُبَّمَا اخْتَلَفَتْ فِي الظَّاهِرِ ، ولـكِنَّها مُتَّفِقَةٌ مِنْ حَيْثُ الحَقِيقَةُ ، إذْ إنَّها تُنْتِجُ نَتِيجَةً

(١) الاسباب : الحبال . والمفرد سبب (٢) أعلى عليين : أعلى المراتب . وعليون هو اسم لاعلى الجنة (٣) الهجعة : الغفلة . واليقظة التنبه (٤) تهيجها : تحركها .

وَاحِدَةً ، هُوَ تَنْبِيهُ الأُمّةِ أَوْ إِخْمَالُها ، وَيَخْتَلِفُ التَّنَبُّهُ أَو الْخُمولُ قُوَّةً وَضَعْفاً ، بِاخْتِلاَفِ أَسْبابِهَا الْمُؤَثِّرَةِ فِي نُفُوسِ الأُمَمِ الّتِي انْتَشَرَتْ فِيهَا تِلْكَ الْعِلَلُ أَو الأَسْبابُ .

أَمَّا الأَسْبَابُ الّتِي تَجْعَلُ الأُمّةَ خَامِلَةً مُتَقَهْقِرَةً[1] سَاقِطَةً فَهِيَ كَثِيرَةٌ :

مِنْهَا جُمُودُ كَثِيرٍ مِنْ عُلَمَاءِ الأَدْيَانِ ، وَوُقُوفُهُمْ سَدًّا مَنِيعاً أَمامَ تَيَّارِ الأُمّةِ الْمُنْدَفِعَةِ إِلَى التَّقَدُّمِ ، لِتَكُونَ مِنْ كُبْرَيَاتِ الأُمَمِ الْحَيَّةِ ، وَمِنهُمْ مَنْ يَتَّخِذُونَ الدِّينَ وَسِيلَةً لِمآرِبِهِمْ ، وَشَرَكاً[2] يَصْطَادُونَ بِهِ عُقُولَ الْعَامّةِ ، لِيُرْجِعُوهُمْ عَنْ نُصْرَةِ الْمُصْلِحِينَ ، وَمُتَابَعَةِ عُلَمَاءِ الْكَوْنِ والاجْتِمَاعِ ، فَيُكَفِّرُونَ وَيُفَسِّقُونَ ، وَيُحَلِّلُونَ وَيُحَرِّمُونَ ، وَرُبَّمَا دِمَاءَ الأَبْرَارِ[3] يُبِيحُونَ ، وما ذَلِكَ إِلّا نَتِيجَةٌ مِنْ نَتَائِجِ جَهْلِهِمْ أَوْ غُرُورِهِمْ أَوْ ضَعْفِ أَخْلاَقِهِمْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ .

وَمِنْهَا اسْتِبْدَادُ الرُّؤَسَاءِ وأَرْبَابِ النُّفُوذِ ، وَظُلْمُ الْحُكَّامِ وَاضْطِهَادُهُمْ[4] مَنْ يُرِيدُ أَنْ يَنْهَضَ بِالأُمّةِ مِنْ دَرَكَاتِ[5]

---

(١) متقهقرة : متأخرة راجعة الى الخلف (٢) الشرك : المصيدة (٣) الابرار : الاخيار المحسنون (٤) الاضطهاد : القهر والايذاء (٥) الدركات جمع دركة وهي المنزلة السافلة ، وهي في الاصل للنازل كالدرجة للصاعد

السفَالَةِ وهُوَى[١] الجهْلِ وأَخَادِيدِ[٢] الخمولِ ، إلَى مُسْتَوَى[٣] الفَضِيلَةِ والعِلمِ والتّنَبُّهِ .

وَهُنَالكَ أَسْبابٌ أُخَرُ لاَ يسَعُ المَقَامُ ذِكْرَها ، وَهِيَ مَعَ ما تَقَدَّمَ منَ الأَسْبَابِ ، تُخْمِلُ الأُمةَ ، وَتَسُوقُها إلَى مجَازِرِ[٤] الهَوَانِ والتّأَخُّرِ .

فَتِلكَ هيَ حالةُ الأُمةِ فِي هَجَعاتِها ، والأَسْبابُ الّتِي تجْعلُها قَيْدَ[٥] سُلْطَانِها[٦] .

وأمَّا حالَتُها في يَقظَاتِها ، فَهِيَ على غيرِ مَا تَقَدَّمَ ، لِأَنها تَكُونُ إذْ ذَاكَ أُمةً رَفِيعةَ الشأْنِ ، سَامِيَةَ المَقامِ ، عَزِيزَةَ الجانِبِ ، مَنيعةَ الحِمَى[٧] ، جَهُورِيَّةَ الصَّوْتِ[٨] ، مُمْتَدَّةَ السُّلْطةِ.

ولاَ تَكُونُ على هٰذِهِ الحَالةِ إلاَّ إذَا تَقَدَّمَهَا أَسْبَابٌ تُوصِلُها إلى الغايةِ التِي ذَكَرْناهَا .

وإنَّ هذِهِ الأَسْبابَ كَثِيرَةٌ أَيضاً :

---

(١) الهوى : جمع هوة وهى الحفرة العميقة ، وما بين الجبلين (٢) الاخاديد : جمع أخدود وهى الحفرة المستطيلة فى الارض (٣) المستوى : المستقر (٤) المجازر : جمع مجزر وهو مكان الجزر اى الذبح (٥) القيد : حبل ونحوه يجعل فى رجل الدابة يمسكها . وفلان قيد فلان أى هو فى قبضته (٦) السلطان : السلطة والتسلط (٧) الحمى : مايحميه الانسان من شىء (٨) جهورية الصوت : مرتفعته ، نسبة الى الجهورة . والجهور : العالى الصوت كالجهورى

مِنها نُبُوغُ[1] أَفْرَادٍ فِى الأُمَّةِ يُؤَمِّلُهم بقاء أُمَّتهم فى حالِ الجهلِ والخمولِ والسقوطِ، فيبثُّون[2] فى الأمةِ روحَ الهمةِ والنُّفْرَةِ مِمّا يَضُرُّ بها، ويوقِدُونَ فيها نارَ العزيمةِ والاستعدادِ لمعالى الأُمُورِ، حتى إذا تهيأ لهم ما يريدون، حملوا الحكومةَ ورجالَ الاستبدادِ بالأمرِ من العظماءِ والرؤساءِ وأربابِ النفوذِ على تغييرِ الحالةِ الاجتماعيةِ الفاسدةِ، واستبدالِ غيرِها بها، وبذلكَ تزالُ البرازخُ[3] التى تحولُ دونَ ترقّى الأمةِ.

وَمَتى تمَّ لهم ذلكَ أدركوا أنهم قدِ اجتازوا[4] فى سبيلِ الإصلاحِ عقبةً ليستْ بشىءٍ بالنسبةِ إلى ما سيعترضهم من العقباتِ، لأنَّ إزالةَ الظلمِ والاستبدادِ وتغييرَ نظامِ الاجتماعِ لا يكفيانِ لرفعِ الأمةِ إنْ بقيتْ جاهلةً خاملةً، فإنَّ جهلَ الأمةِ أشدُّ وطأةً[5] من ظلمِ الحكومةِ، وإنَّ خمولَها عقبةٌ كؤودٌ[6] فى سبيلِ جعلِها أمةً حيةً يشارُ إليها بالبنانِ[7]،

---

(١) النبوغ : الخروج والظهور فى عظمة وشأن . والنابغ : العظيم الشأن (٢) يبثون: ينشرون . والبث النشر (٣) البرازخ : الحواجز ، والمفرد برزخ (٤) اجتازوا: قطعوا (٥) الوطأة : الشدة . والضغطة والدوسة (٦) العقبة : الطريق فى الجبل . والعقبة الكؤود : الشاقة الصعبة المرتقى (٧) البنان : الاصابع أو أطرافها . والمفرد بنانة

وهَذِهِ العَقبةُ أشَدُّ اعتراضاً منْ عَقَباتِ المستَبِدِّينَ ، ورجَالِ الدِّينِ الجامِدِين .

وَمتى أدْرَكَ النَّابغونَ منَ الأُمةِ ذلكَ فكَّرُوا في الوَسائلِ التي تُزيلُ حِجابَ الخُمُولِ والجَهْلِ عنْها ، ومَا هِيَ إلّا إيقَادُ نيرَانِ الثَّوْرَةِ الأدَبيةِ[1] ، حتى تلْتَهِمَ[2] أخلاقَها الفاسِدَةَ ، وَعادَاتِها الضارَّةَ .

وَلاَ دَوَاءَ أنجَعُ[3] فِي هذِهِ الثَّوْرَةِ من انتِشار الجَرَائِدِ الحُرَّةِ الصادِقَةِ ، التي لاَ تَبيعُ الشرَفَ وَالوجْدَانَ تِلقاءَ دُرَيْهِماتٍ يأكُلها أصحَابُها ظُلماً وسُحْتاً[4] ، وَمِنْ ذلِكَ أيْضاً انتِشَارُ الكُتُبِ النافِعَةِ بَيْنَ طَبقَاتِ الأُمَّةِ ، ورُبما كانَ لَها في بَعْضِ الأحَايِينِ تأثيرٌ عَظيمٌ أشَدُّ مِنْ تأثِيرِ الجَرَائدِ .

فَعلَى المُفَكِّرِينَ أنْ يُكثِرُوا مِنْ نَشْرِ الكُتُبِ النافِعَةِ التي تُوقِظُ شعُورَ الأُمةِ ، وَتُنَبِّهُهَا منْ هجَعاتِها ، وأنْ يَعْضِدُوا الصحَائِفَ الوَطَنيةَ الصَّادِقَةَ ، والمَجلاَّتِ المُفيدَةَ النافِعةَ ، وَذَلِكَ بترْغيبِ الأُمَّةِ فِيهَا ، وَالسَّعْيِ لِتكثيرِ سَوَادِ[5] مَنْ

(١) اقرأ العظة الآتيه (٢) تلتهم : تبتلع (٣) انجع : انفع (٤) السحت : الحرام أوماخبث وقبح من المكاسب فلزم عنه العار كالذى يؤخذ رشوة أو خداعا أو نحوهما .
(٥) السواد : الجماعة ، والعدد الكثير

يَبْتاعُها[1] ، لِتَسِيرَ الأُمَّةُ في سَبِيلِ المَجدِ ، وَتَسْلُكَ طَرِيقَ السَّعَادَةِ .

فَتَنَبَّهُوا ، رَعَاكُمُ اللهُ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، ولاَ تَكُونوا مِنَ الخَامِلِينَ ، واقْرَأُوا مِنَ الصُّحُفِ أَشَدَّها وطَنِيَّةً ، ومِنَ الكُتُبِ أسْماهَا مَوْضُوعًا وأُسلوبًا ، تكُونُوا ناجِحِينَ في الدَّارَيْنِ سُعَدَاءَ في الحَيَاتين .

١٤

الثورة الادبية

الأُمَمُ فِي حَالِ مَرَضِها الاجْتِماعِيِّ تَكُونُ حَاجَتُها إلى إصلاَحِ مَا فَسَدَ فِيهَا منَ الأَخلاَقِ ، وتَقْوِيمِ مَا اعْوَجَّ مِنْ فُرُوعِ الاجْتِماعِ ، أَكْثرَ مِنْ حَاجَةِ المَرِيضِ إلى الدَّوَاءِ .

يَمْرَضُ إنْسَانٌ فَيلْجأُ أَهلهُ وَذَوُوهُ إلى طَبِيبٍ يَثِقُونَ بِهِ لِمُدَاوَاتِهِ ، فَيَصِفُ لهُ منَ الأَدْوِيَةِ مَا يَرَاهُ مُفِيدًا لهُ .

---

(١) يبتاعها : يشتريها .

وَتَمْرَضُ الأمّةُ جَمْعاءُ ، إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ، فلاَ تَلْجأُ إِلَى طَبيبِ الأَجتماعِ لِيُدَاوِىَ أمْرَاضَها ، وَيُخَفِّفَ أَوْصابَهَا [1] وَيُخَلِّصَهَا مِمَّا أَصَابَها .

وذَلِكَ نَاشِئٌ منْ أَحَدِ أَمْرَيْنِ : إمَّا جَهلِها بدائِها ، فَتظُنُّ وَهِىَ على وَشْكِ الموْتِ بِمَا يَفْتِكُ فِيهَا منَ الدَّاءِ ، أَنَّها سَلِيمَةٌ منَ الأَمْرَاضِ ، نَقِيّةٌ منَ الأَوْصَابِ ، وإِمَّا أَنّها تَدْرى كلَّ الدِّرَايَةِ مَا هِىَ فِيهِ منَ الآلاَمِ ، وَمَا يَعتَورُها [2] منَ الأدْوَاءِ [3] غيرَ أَنّها لاثِقَةَ لهَا بِمَا يُحيطُ بها منَ الاطبَّاءِ ، أوْ أَنها اعترَاهَا [4] مَا مَنعَهَا منَ التَّفَكُّرِ فِى طَلَبِ الطبيبِ .

وَتُرْسِلُ الأُمةُ كَثِيراً منْ أبنَائِهَا إِلَى مَدَارِسِ الطِّبِّ ، لِيُدَاوُوا بَعْدَ تعلُّمِهِمْ أمْرَاضَ أَجْسَامِها ، وَلا تَبْعَثُ بأَحَدٍ مِنهمْ ، إلا القَليلَ النَّادِرَ ، إِلى مَدَارِسِ الأَخلاَقِ والأجتماعِ ، لِيَطِبُّوا بَعْدَ تَرْبِيتِهِمْ أخلاَقَها ، وَيُهَذِّبُوا نِظامَ اجْتِمَاعِهَا ، ومَا ذلِكَ إلاَّ مِنْ فسَادِ النُّفُوسِ ، الّتى تُقَدِّمُ المادِّيَاتِ على الأَدَبِيَّاتِ .

---

(١) الاوصاب : الامراض . والمفرد وصب (٢) يعتورها : ينزل بها مرة بعد أخرى
(٣) الادواء : جمع داء (٤) اعتراها : أصابها .

الأمةُ في حاجةٍ إلى القسمين من هؤلاء المتعلمين ، ولكنَّ حاجتها إلى أطباء الاجتماع ، وحكماء الأخلاق ، أكثرُ من حاجتها إلى من يداوي أجسامها .

إن مرضت الأمةُ مرضاً جسيماً فتاكاً فلا يقضي إلا على حياة عشرةٍ في الألف من مجموعها ، ثم يكون الداءُ دواءً ، وإن مرضت مرضاً اجتماعياً قضى مرضها على تسعةٍ وتسعين في المئة ، وأنتم ترون ، معشر الناشئين ، أن القضاء على حياة الأفراد أسهلُ من القضاء على حياة المجموع .

وبعدُ ، فلا يمكنُ شعباً من الشعوب أن ينهض إلا إذا كان بين ظهرانيه[1] من يداوي أخلاقه ، ويدفعه إلى الترقي ، ويهيج[2] فيه عاطفة التنبه ، ويثير[3] كامن[4] المعالي .

وبقدر ما لديه من هؤلاء المداوين يكون مقدار تنبهه أو خموله .

الأممُ لا تنهضُ إلا بترقية الأخلاق الفاضلة ،

(١) بين ظهرانيه : في وسطه (٢) يهيج : يحرك (٣) يثير : يحرك (٤) كامن : مختبئ .

واستئصال[١] كل خلق فاسد من نفوسها، وتهذيب نظام اجتماعها، ومتى تم لها ذلك هان عليها كل شيء بعده: كتغيير أنظمتها[٢] السياسية[٣] والاقتصادية[٤] والعمرانية.

ولا يمكنها تنمية الأخلاق[٥] العالية، وإصلاح ما اختل من قواعد الاجتماع، إلا بالثورة الأدبية، التي يهيجها في نفوس الأمة أولئك المصلحون من أطباء الاجتماع والأخلاق رويدا رويدا، حتى تستأصل شأفات[٦] الأخلاق الفاسدة، فيحل محلها صالح العادات.

الثورة الأدبية: قيام أفراد من الأمة حسنت أخلاقهم، وصفت سرائرهم، وزكت أعراقهم[٧] ليغيروا فيها حالتها الاجتماعية والخلقية، فيهيبون[٨] بها لتنهض، ويثيرونها لتترك ما ألفته من العادات الضارة، والأخلاق المنحطة، ولا يزالون يهيجون ويتعبون، ويسعون وينصبون[٩] حتى ينالوا ما يريدون.

---

(١) الاستئصال: قلع الشيء من أصله (٢) الانظمة جمع نظام، ويجمع أيضاً على أناظيم ونظم (٣) السياسة: علم تدبير أمور الدولة والرعية (٤) الاقتصاد: علم تنمية الثروة (٥) تنمية الاخلاق: تربيتها لتنمو اغاءحسنا (٦) الشأفات: الاصول. والمفرد شأفة (٧) زكت: طابت. والاعراق: الاصول. والمفرد عرق
(٨) يهيبون بها: يصرخون بها ويزجرونها (٩) ينصبون: يتعبون

وَالشرْطُ كلُّ الشَّرْطِ ، أنْ تَكُونَ الْبَدَاءَةُ[1] بذَلِكَ حَسَبَ مُقتَضى الحَالِ ، حَتَى إذَا اسْتَعَدّتِ الأُمةُ لِمَا هُوَ أَرْقى أَفرَغُوا مَا لَدَيْهِمْ منَ جعَبَاتِ الأفكار الصَّحِيحَةِ، وَكِنَانات[2] الآرَاءِ الصَّائبَةِ ، وَإلا كَانَت إثَارَتُها شرًّا منْ بَقَائِهَا عَلَى حَالتِهَا القديمةِ .

وَلِيَكُنْ إقدَامُهُمْ علَى العَمَلِ كَإقدَامِ الطبيبِ علي مُدَوَاةِ المرِيضِ : لا يَصِفُ له الطعَامَ إلاَّ بَعدَ أنْ يَنالَ منَ الصِّحَّةِ مَنَالاً يُمكِنهُ منْ تَنَاوُلِه ، حتى إذا بَلَغَ أَشُدَّهُ منَ الصِّحَّةِ جعَلَهُ حُرًّا فِي تَنَاوُلِ مالاَ يَضرُّ بالأَصِحَّاءِ ، فَلْيَتَنَبَّهْ إلَى ذَلِكَ المُرْشِدُونَ المُصلِحُونَ .

الأمةُ فِي حَاجَةٍ شَدِيدَةٍ إلَى الثَّوْرَةِ الأَدَبيَّةِ ، لإِصْلاَحِ حَالِهَا ، وإنْهَاضِهَا منْ وَهْدَةِ[3] الانحِطَاطِ ، وَأَنتمْ ، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أُولَئِكَ الأَطِبَّاءُ الاجتماعيُّونَ ، وَسَيَكُونُ بِيَدِكُمْ أَمْرُ الأُمَّةِ ، وَسَتُوكَلُ إلَيكُمْ إثَارَةُ أَفْكَارِهَا ، وَبَثُّ[4] الأَخْلاَقِ الصَّحِيحَةِ فِيهَا .

---

(١) البداءة : الابتداء (٢) الجعبة والكنانة الوعاء . وأصلهما الوعاء الذى تكون فيه السهام (٣) الوهدة : الحفرة (٤) البث : النشر .

فَكُونُوا مُنْذُ الآنَ، رِجَالاً حَازِمِينَ، وَضَعُوا نُصْبَ[1] أَعْيُنِكُمْ أَنكُمْ سَتَكُونُونَ أَطِبَّاءَهَا النَّاصِحِينَ، ومُرْشِدِيهَا المُخْلِصِينَ، وَوُعَّاظَهَا الْعَامِلِينَ، تَكُنْ لكُمْ مِنَ الشَّاكِرِين.

١٥

الامة والحكومة

شأْنُ الأُمَمِ شأْنُ الأَفْرَادِ: فَالفَرْدُ المُعْتَمِدُ على غَيرِهِ لِيَكْفِيَهُ ما يَحْتَاجُ إِليْهِ، هُوَ فَرْدٌ سَاقِطٌ سَافِلٌ ضَعِيفٌ، فَكَذَلِكَ الأُمَّةُ الّتي لاَ تُعْنَى[2] بِشُؤُونِ نَفْسِهَا، ولاَ تَسْعَى فِي سَبِيلِ الجِدِّ لِتَنَالَ قَصَبَ السَّبْقِ، هِيَ أُمَّةٌ مُنْحَطَّةٌ سَافِلَةٌ، لَيْسَتْ مِنَ الحُرِّيَّةِ فِي شَيْءٍ، بَلْ هِيَ مُقَيَّدَةٌ بِسَلاَسِلِ الْعُبُودِيَّةِ.

الحُكُومَةُ تُرِيدُ مِنَ الأُمَّةِ أَنْ تَكُونَ قَيْدَ أَوَامِرِهَا، لاَ تَحِيدُ عَنْ خُطَّتِهَا التِي تَرْسُمُهَا لهَا قَدْرَ شِبْرٍ، فَإِنْ لَجَأَتِ الأُمَّةُ إِلَى الحُكُومَةِ وَطَلَبَتْ مَعُونَتَهَا فِي كلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهَا،

(١) نصب أعينكم: أمامها. والنصب: الشيء المنصوب. وهذا الشيء نصب عيني أي القائم في نظرى (٢) لا تعنى: لا تعتنى.

فلاَ بُدَّ أَنْ تقيِّدَ نفْسَها بقيُودِها ، وتجْرِى فى حَياتِها الاجتماعيةِ وَالعِلميةِ حَسَبَ رَغائبِها ، ولاَ رَيْبَ أَنَّ الحُكومةَ لاَ تُكوِّنُ إلاَّ رجالاً يَصلحُونَ لخِدمَتِها ، لاَ رجالاً يَصلحُونَ لأَنْ يَقومُوا بمَا تحتَاجُ إليهِ الأُمّة ، وإنْ نبَغ فى مَدارسِها أَوْ مَصالِحِها رجالٌ شَعْبيُّونَ[1] ، وَذلِكَ قَليلٌ نادِرٌ ، فَهُمْ مِمَّنْ تَعلَّمُوا الحَيَاةَ الاجتماعيّةَ الوَطَنيّةَ منْ بِيئَتِهِمْ[2] ، لاَ منْ أَساتِذَتِهِمْ ، وَلاَ منَ الْكتُبِ الّتى وُضِعَتْ لِتَعْلِيمِهِمْ .

فإِذَا أَرَدْنا أَنْ نكُونَ أُمّةً صالِحَةً رَاقيةً ، فعَلينا أَنْ نَسعَى الترْقيَةِ الأُمّةِ منْ طَريقِ الأُمّةِ ، لاَ منْ طَريقِ الحُكُومَةِ ، بمَا نَبْذُلهُ منَ الهِمّةِ فى تِلْكَ السّبيلِ ، كمَا هِيَ الحَالُ فِى الأُمَمِ المُتَمَدِّنَةِ اليَوْمَ ، فإِنّ هٰذِهِ الأُمَمَ تُؤَسِّسُ المَدَارسَ ، وَتُنْشِئُ المَعامِلَ وَالمَصَانِعَ[3] ، منْ غيرِ أَنْ تَطْلُبَ منْ حُكومَاتِها أَنْ تمُدّ إلَيْها يَدَ المَعُونَةِ ، وَلوْ فعلَتْ ذلِكَ لظلّتْ مُتأَخِّرَةً ، كمَا ظَلِلْنَا .

أَيّةُ أُمّةٍ اعتَمَدَتْ فِى إنجَاحِ مَقاصِدِهَا عَلى الحُكومَةِ

---

(١) شعبيون : يعملون لحياة الشعب (٢) من بيئتهم : من محيطهم الذى فيه يعيشون

(٣) المصانع : جمع مصنع وهو دار الصناعة

فَهِيَ عَالَةٌ[1] عَلَيْهَا، مَغْلُولَةٌ بِأَغْلَالِهَا[2]، وَمَتَى كَانَتِ الأُمَّةُ مُقَيَّدَةً مُحْتَاجَةً إلى غيرِهَا فَلَيْسَتْ بِأُمَّةٍ حُرَّةٍ، وَإِذَا كَانَتْ غيرَ حُرَّةٍ فَمِنْ أَيْنَ لهَا أَنْ تَرْقَى! وَأَنَّى لهَا أَنْ تَنْهَضَ!

الحُكُومَةُ جُزْءٌ مِنَ الأُمَّةِ اخْتُصَّ بِأَعْمَالٍ خاصَّةٍ، وهُوَ يَسْتَمِدُّ دَائِمًا قُوَّتَهُ مِنْهَا، وَعلَيْهَا يَعْتَمِدُ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنَ الشُّؤُونِ، لِأَنَّ القَلِيلَ يَعْتَمِدُ على الكَثِيرِ، وَمَا سَمِعْنَا أَنَّ كَثِيرًا اعْتَمَدَ على قَلِيلٍ، إلَّا إذَا كَانَ ضَعِيفًا خَامِلاً جَبَانًا.

إنْ أَرَادَتِ الأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ لَهَا حُكُومَةٌ صَالِحَةٌ رَاقِيَةٌ، فَعَلَيْهَا أَنْ تَصْلُحَ هِيَ أَوَّلاً، وَتَنْهَضَ لِتَأْخُذَ بِأَسْبَابِ التَّرَقِّي وَالْفَلَاحِ، حَتَّى إِذَا مَا صَلُحَتْ وَتَرَقَّتْ تَرَقَّتْ مَعَهَا الحُكُومَةُ، لِأَنَّ الجُزْءَ تَابِعٌ لِلْكُلِّ، وَلِأَنَّ الحُكُومَةَ هِيَ صُورَةُ الأُمَّةِ وَمِرْآتُهَا، فَإِنْ كَانَتِ الأُمَّةُ صَالِحَةً فَهِيَ صَالِحَةٌ، وَالْعَكْسُ بِالْعَكْسِ، فَلَوْ فَرَضْنَا صَلَاحَ الحُكُومَةِ وَفَسَادَ الأُمَّةِ، لَا تَلْبَثُ[3] الحُكُومَةُ أَنْ تَفْسُدَ، وَإِنْ كَانَتِ الأُمَّةُ صَالِحَةً

(١) العالة: العيال. والمفرد عيل بتشديد الياء المكسورة وهو من يجب النفقة عليه من زوجة وولد واتباع (٢) مغلولة: مقيدة. والاغلال: القيود (٣) لا تلبث: لا تمكث.

والحكومةَ فاسدةً ، فلا تمكثُ هذهِ أنْ تصلحَ وتتبعَ الأمةَ في سيرِها .

وخلاصةُ القولِ أنَّ الحكومةَ تابعةٌ للأمةِ رُقيًّا وانحطاطًا ، وعلمًا وجهلاً ، وصلاحًا وفسادًا ، فعلينا أنْ لا نعتمدَ إلاّ على أنفسِنا ، ولا نأملَ إلاّ ما نبذُلُه من الجدِّ والهمةِ ، هذا إذا أردْنا أنْ نكونَ قومًا صالحينَ ، لتكونَ لنا حكومةٌ صالحةٌ .

فإليكم أبسطُ يدَ الرجاءِ ، أيها الناشئونَ ، أنْ تجعلوا هدفَكم (١) خدمةَ الأمةِ خدمةً صادقةً ، والسعيَ في إنجاحها وترقيتِها ، حتى يعودَ إليها مجدُها الدّاثرُ (٢) ، وشرفُها الغابرُ (٣) فتكوّنَ حكومةً تناسبُها رُقيًّا اجتماعيًّا وعلميًّا واقتصاديًّا وعُمرانيًّا ، وبذلكَ تكونونَ وطنيّينَ حقًّا .

حقّقَ اللهُ فيكمُ الرّجاءَ ، وحاطَكمْ بعصمتِهِ وتوفيقِهِ ، إنهُ سميعُ الدُّعاءِ .

---

(١) الهدف : الغرض الذي يوضع ليرمى اليه (٢) الداثر : البالى الممحى
(٣) الغابر : الماضى .

١٦

الغرور [١]

ضِعَافُ النُّفُوسِ يَرَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَالاَ يَرَاهُ غيرُهُمْ فِيهَا: يَرَوْنَ أَنَّهمْ عُظَمَاءُ ، وَلَيْسَ لهمْ مِنْ أَسْبَابِها [٢] نَقِيرٌ [٣] وَلاَ قِطْمِيرٌ [٤].

وَيَرَوْنَ أَنّهم عُلَمَاءُ ، وَالجهْلُ قَدْ خَيّمَ عَلَى نفوسِهِمْ كالضَّبَابِ [٥] فِي يَوْمٍ دَاجِنٍ [٦] ، أَلْبَسَ الأَرْضَ وَأَقْطَارَ السَّمَاءِ [٧] أَرْدِيَةَ الْعَمَاءِ [٨].

ويَرَوْنَ أَنّهمْ أُنَاسِيُّ ، والمَلَكَاتُ [٩] الحَيَوَانيَّةُ قدْ مَلَكَتْ أَعِنَّةَ [١٠] نفوسِهِمْ ، وأَخَذَتْ بِأَزِمَّةِ أَفْئِدَتِهِم [١١] ، وَسَيْطَرَتْ

---

(١) الغرور : أن يرى الانسان فى نفسه من الفضائل ماليس فيها (٢) الضمير فى أسبابها يعود الى العظمة المفهومة من العظماء (٣) النقير : النكتة فى ظهر بزرة التمر ونحوه (٤) القطمير : القشرة الرقيقة بين البزرة والتمرة. ليس له نقير ولاقطمير: ليس له شيء (٥) الضباب : السحاب يغطى الارض كالدخان (٦) كثير الغمام (٧) أقطار السماء : نواحيها وجوانبها (٨) الاردية : جمع رداء ، والعماء : السحاب الكثيف

(٩) الملكات : جمع ملكة وهى الصفة الراسخة فى النفس (١٠) الاعنة : جمع عنان وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة (١١) الازمة : جمع زمام وهو العنان . والافئدة القلوب. ومفردها فؤاد

عَلَى طِبَاعِهِمْ ، وَتَرَكَتْ سِبَاعَ شَهَوَاتِهِمْ تَفْتَرِسُ عُقُولَهُمْ ، وَتُمَزِّقُ رِدَاءَ إِنْسَانِيَّتِهِمْ ، فَهُمْ فِى الضَّلَالِ يَهِيمُونَ[(١)] وَفِى ظُلُمَاتِ الْفُسُوقِ وَالْعِصْيَانِ يَتَسَكَّعُونَ[(٢)].

وَمَا ذَلِكَ كُلُّهُ إِلَّا مِنْ غُرُورِ النَّفْسِ وَطَمَعِهَا بِالْبَاطِلِ ، وَهُوَ خُلُقٌ سَافِلٌ ، يُودِى[(٣)] بِمَا فِى النُّفُوسِ مِنْ ذَمَاءِ[(٤)] الْفَضِيلَةِ ، وَيَقْضِى عَلَى مَا فِيهَا مِنْ أَمَلِ السَّعَادَةِ ، وَيَمْحُو مَا لِأَصْحَابِهَا مِنْ بَقِيَّةِ الاحْتِرَامِ فِى نُفُوسِ الْعُقَلَاءِ .

وَمِمَّا يُؤَثِّرُ فِى النَّفْسِ تَأْثِيرًا غَيْرَ صَالِحٍ ، أَنَّ طَائِفَةً مِنَ الشُّبَّانِ الَّذِينَ هُمْ عِمَادُ الْأُمَّةِ ، وَدِعَامَةُ حَيَاتِهَا الْقَابِلَةِ ، وَرُكْنُ سَعَادَتِهَا فِى الآتِى ، قَدْ أَصَابَهُمْ نَصِيبٌ وَافِرٌ مِنْ هَذَا الْخُلُقِ ، خُلُقِ الْغُرُورِ الْغَرُورِ[(٥)] ، وَمَرَنُوا[(٦)] عَلَى هَذِهِ الْعَادَةِ ، حَتَّى صَارَتْ لَهُمْ طَبِيعَةً يَصْعُبُ اسْتِئْصَالُهَا[(٧)] ، لِأَنَّهَا اسْتَأْصَلَتْ[(٨)] فِى نُفُوسِهِمْ ، وَتَمَكَّنَتْ جُذُورُهَا[(٩)] مِنْ قُلُوبِهِمْ ، فَنَفَرَتْ

---

(١) يهيمون : يذهبون لا يدرون أين يتوجهون (٢) يتسكعون : يتخبطون لايهتدون لوجهتهم (٣) يودى به : يهلكه ويذهبه (٤) الذماء بقية الروح (٥) الغرور بفتح الغين : ما يغر الانسان ويدفعه الى الباطل (٦) مرنوا : اعتادوا
(٧) استئصالها : نزعها (٨) استأصلت : ثبتت أصولها وتمكنت (٩) جذورها : أصولها .

مِنهم بِسَبَبِ ذَلِكَ الأُمَّةُ ، وَجفاهُمْ مَن كانَ مِنْهم قَرِيباً ، وَاجْتَوَاهُمْ[١] مَنْ كانَ لهمْ صَدِيقاً حَمِيماً[٢].

يَدْرُسُ أَحدُهمْ منَ العلمِ مسَائلَ قَلِيلَةً لَمْ يُتقِنْ دَرْسَها ، ولمْ يُحْكِمْ[٣] فَهْمَها ، فيُرِيكَ أَنهُ علاَّمَةُ الزَّمَانِ ، وَفَيلَسُوفُ الْوَقْتِ .

وَيَقرَأُ قَليلاً منَ الأَدَبِ أَوِ التَّارِيخِ ، فيضعُ نفسَهُ مَوْضعَ كِبَارِ الأُدَباءِ .

وَيَنْظِمُ كلاَماً على وِزَانِ الْبُحُورِ المَعْلومَةِ ، أَوْ يَكْتُبُ سُطُوراً يَنْشُرُهَا فِي الجَرَائِدِ ، وَلَيْسَ فِي نَظْمِهِ شيْءٌ منَ الشِّعْرِ ، ولاَ فِي كِتابَتِهِ مَغزًى تَصبُو[٤] إِلَيْهِ النّفسُ ، وَأَكْثرُ مايُسَمِّيهِ شِعرًا أَوْ إِنْشَاءً يَفيضُ خَطأً مَعْنوِيًّا أَوْ لَفظِيًّا ، أَوْ يَكونُ مَمْلوءًا مِنهُما مَعًا ، وهُوَ مَعَ هذا يَدَّعِي ، غيرَ خَجِلٍ ، أَنهُ أَكْتَبُ كُتَّابِ الْعَصْرِ ، وأَشْعَرُ شُعَرَاءِ الزَّمانِ ، لاَ يُطاوِلُهُ[٥] فِي ذلكَ مُطاوِلٌ ، ولاَ يُنَازِلُهُ مُنَازِلٌ .

وَيَتَصَدَّرُ قَوْمٌ فِي المَجَالِسِ وَالنَّدَوَاتِ[٦] ، عَامَّةً كَانَتْ

(١) اجتواهم : كرههم (٢) الحميم : الصديق كل الصديق (٣) لم يحكم : لم يتقن (٤) تصبو : تميل (٥) لا يطاوله : لا يفاخره (٦) الندوات : جمع ندوة وهي المجلس

أَوْ خاصةً ، فيتكلَّمُونَ في كُلِّ مَوْضُوعٍ ، وَيَهِيمُونَ في كلِّ وَادٍ ، فتَارَةً تَرَاهُمْ مُحَلِّقِينَ في السَّماءِ ، وَطَوْرًا غائرِينَ في بُطُونِ الأَرْضِ ، وآونَةً يَبْحَثُونَ في تَارِيخِ الأُمَمِ ، ما مَضَى مِنْهَا وَمَا حَضَرَ . ثُمَّ يَنْتَقِلُونَ مِنْ ذَلِكَ إلى عُلومِ الأَدَبِ وَتَارِيخِهَا ، ثُمَّ إلَى عُلومِ الدِّينِ وَتفَارِيعِهَا ، ثُمَّ إلى الفَلْسَفَةِ بأَقْسَامِهَا ، فيَخْبِطُونَ في كلِّ ذَلِكَ خَبْطَ عَشْوَاءَ [1] ، في لَيْلَةٍ عَمْيَاءَ ، ليَقُولَ النَّاسُ إنَّهُمْ عُلَمَاءُ . . .

وتَرَى شِرْذِمَةً مِنَ الأَنَانِيِّينَ [2] ، قَدَمُهَا في الماءِ ، وأَنْفُهَا في السَّماءِ ، وَهِيَ حُثَالَةُ [3] السُّفَهاءِ ، تَخْتَالُ [4] اخْتِيالَ الجَبَابِرَةِ ، وتَبْطِشُ بَطْشَ القَسَاوِرَةِ [5] ، وتَجْلِسُ جِلْسَةَ الأَكَاسِرَةِ [6] ، وتَمْشِي مِشْيَةَ القَيَاصِرَةِ [7] . وهِيَ لا في العِيرِ وَلاَ في النَّفِيرِ [8] .

وإنْ سَأَلْتَ أَحَدَ هَؤُلاءِ الأَنَانِيِّينَ عَنْ سَبَبِ هذِهِ

---

(١) خبط خبط عشواء : مثل يضرب لمن يتصرف في الامور على غير بصيرة والعشواء : الناقة لاتبصر ليلا (٢) الاناني : الذى لايرى غير نفسه ، فهو يقول : انا انا ؛
(٣) الحثالة : سفلة الناس . وأصل معناها : مايخرج من قشر الشعير ونحوه
(٤) تختال : تمشي مشية الخيلاء والعجب والكبر (٥) القساورة : الاسود . والمفرد قسورة
(٦) الاكاسرة : جمع كسرى ، وهو لقب لكل من ملك الفرس (٧) القياصرة : جمع قيصر . وهو لقب لكل من ملك الروم (٨) العير : القافلة من الدواب تحمل الميرة . والنفير : القيام العام لقتال العدو . وقولهم « هو لا في العير ولا في النفير » مثل يضرب لمن يحط أمره ويصغر قدره

الـكبرياء ، أجابك : إنّ هذا من الاباء [1]. وما الإباء ، لو يعلم ، إلا تطهير النفوس من الأدناس [2] ، وتنزيهها عن الأرجاس [3] ، وحملها على معالي الأمور ، لتأبى الضيم [4] ، فلا تقيم على الخسف [5] ، ولا ترضى بالذل ، ولا تميل إلى شائن الأفعال ، بل تأخذ بزمام صالح الأعمال ، وتسير في مناهج [6] فاضل الأخلاق .

إنّ عمل تلك الشرذمة لهو من صغر النفوس ، ولؤم الطباع ، وخفة الأحلام [7] ، ودناءة التربية ، والتمسك بالأوهام .

فأعيذك ، أيها النشء الصالح ، من الغرور ، فإنه يسوق إلى هذه الأمور ، ويزين لك تلك الأعمال الدنيئة ، ويحملك على مركب الهوان .

إعرف حدك ، واسع لما هو فوقه ، بما تبذله من

(١) الاباء : الامتناع عما يشين (٢) الادناس : الاوساخ . والمفرد دنس
(٣) الارجاس : الانجاس ، والمفرد رجس (٤) الضيم : القهر والظلم والذل
(٥) الخسف تحمل ما يكره ، والنقيصة ، والذل (٦) المناهج : جمع منهج وهو الطريق الواضح (٧) الاحلام : العقول . ومفردها حلم

الجِدِّ وَالعَمَلِ وَاكْتِسَابِ الفَضَائِلِ، فرَحِمَ اللهُ امْرَأً عَرَفَ حَدَّهُ، فوَقَفَ عِنْدَهُ.

أَخَذَ اللهُ بِيَدِكَ، وأَزَاحَ عَنْ قَلْبِكَ الغِشاوة[1]، وهَدَاكَ أَقْوَمَ طَرِيقٍ.

١٧

التجدد

التَّجَدُّدُ هُوَ الحياةُ، وهوَ سُنَّةٌ[2] عَامَّةٌ في كلِّ حَيٍّ.

الأَجْسامُ الحَيَّةُ تَتَجَدَّدُ في كلِّ مُدَّةٍ مَعْلومَةٍ، فتَفْنَى ذَرَّاتُها التي لَمْ تَعُدْ صالحةً لِلْبَقاءِ، وَيَنْشأُ غيرُها مِمَّا هُوَ قابِلٌ لِلْحَياةِ. ولَوْلاَ هَذَا التَّجدُّدُ لَما أَمْكَنَها أَنْ تَحْيا أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ سِنِين، ثُمَّ تُكْتَبُ بَعْدَها في سِفْرِ[3] الفَناء.

إنَّ الموْتَ هُوَ طارِئٌ على الأجْسامِ يَمْنَعُ تَجَدُّدَها، فهوَ قَدْ يَكُونُ ضَعيفاً، فيَعْمَلُ على مَنْعِ التَّجَدُّدِ تَدْرِيجاً، حَتَّى إِذَا

(١) الغشاوة: الغطاء (٢) السنة: الطبيعة (٣) السفر: الكتاب، والجمع أسفار

استحكمت[1] جراثيمه[2] بلغت ما تريد. وقد يكون قويا، فيكون منه الموت الفجائي الذى يقضى على نسمات[3] التجدد قضاء سريعاً.

وهذا هو الشأن فى النبات أيضاً، فإنه من الأجسام ذوات الحياة.

فالبستان الذى يتعهده[4] محراث[5] الحارث[6]، وتعمل فيه يد الباحث، فتقلب أرضه، وتسقى أغراسه، وتشذب[7] أغصانه، وتنقى تربته من الحشرات الضارة، والنباتات الفاسدة، فتسرى فيه بسبب ذلك روح التجدد كل حين — يؤتى أكله حسب ما يريد البستانى، ويفيض على أصحابه من الثمرات أشهاها، ومن الفاكهة أطيبها.

والبستان الذى يهمله البستانى، فلا يفلحه، ولا يسقيه، ولا يتعهده بالحيطة[8]، ولا ينفى ما يضر به من حشرات ونبات، ولا يمد إليه منجل التطهير — تمرض تربته، فلا

(١) استحكمت : تمكنت (٢) الجراثيم : الاصول . وتطلق اليوم على مايسمى المكروب (٣) النسمات : جمع نسمة وهى نفس الروح (٤) يتعهده : يتفقده (٥) المحراث: السكة التى تحرث بها الارض أى تشق بها (٦) الحارث : الزارع . والجمع حراث (٧) تشذب اغصانه : تصلحها بقطع شذبها وهو ما تفرق من عيدانها مما لم يكن صالحاً . والمصدر التشذيب . (٨) الحيطة : الحفظ والتفقد

تَقْوَى على الإِنباتِ، وَتَضعُفُ أشْجارُهُ، فلا تَستَطيعُ الثَّباتَ، وتذبُلُ أغصانُهُ، فلا تجودُ بالثَّمَراتِ.

وَماذلِكَ إلاّ لِفقدِ أسبابِ التَّجَدُّدِ، والتَّجَدُّدُ سِرُّ البَقاءِ.

الأُمَّةُ هيَ الأشجارُ في بُستانِ الحَياةِ، وَمرشِدُوها هُمُ الحُرّاث، فإنْ أهملُوا شأنَ تربيَتِها، فتركُوا أمرَ تعليمِها، وَلَمْ يرَقُّوا عُقولَها، وَيُهَذِّبُوا أخلاقَها، وَيَنفُوا ما يَطرَأُ عليها منْ فاسِدِ العاداتِ، وضارِّ الأخلاقِ، ولَمْ يتعَهَّدُوها بِما يَحدُثُ منْ جديدِ المَحارثِ، وحَديثِ الوَسائِلِ المُحْيِيةِ، وَلَمْ يُهيبُوا[1] بِها لِتَنهَضَ وتَحْيَا حَياةً سَعيدَةً — كانَتْ عاقبتُها الخُمولَ، فالذُّبولَ، فاليَبسَ، فالاستِئْصالَ[2] منْ بُستانِ الحَياةِ.

التَّجَدُّدُ يكُونُ فِي المَعقُولاتِ كما يكُونُ في المَحسُوساتِ:

فَكما أنَّ الأجسامَ الحَيَّةَ مُحتاجَةٌ إلى التَّجَدُّدِ لِتُحافِظَ على حَياتِها، فَكذلِكَ مَعنَوِيّاتُ الأُمَّةِ يَجِبُ أنْ تَتجَدَّدَ بِتجَدُّدِ حاجاتِها.

---

(١) أهاب به يهيب: صرخ به وزجره (٢) الاستئصال: القلع والنزع

وَكما أنّ البُستانَ، وَإنْ بَالَغَ البُستانيُّ بتعهّدِهِ وَتجْويدِهِ، لابدّ أنْ يُظهِرَ بينَ نباتِهِ الطّيّب نباتٌ فاسدٌ وحشراتٌ ضارّةٌ فكذلكَ الأخْلاقُ والعادَاتُ، لاَ تَلبَثُ أنْ يَندَسَّ [1] فيهَا منَ الأوْضارِ [2] ما يُشوِّهُ [3] مَحاسِنَها، وَيُفسدُ صالحَها.

فالبُستانيُّ لاَ ينبغِي لهُ أنْ يُهمِلَ شأنَ ذلكَ النبَاتِ الفَاسِدِ، وتلكَ الحشَرَةَ الخبيثةِ، كيلاَ تُفسِدَ النّباتَ كلّهُ.

والأُمّةُ يَجِبُ أنْ تتنبّهَ لكلِّ خُلُقٍ خليقٍ [4] بالرّفْضِ، وعادَةٍ جَديرَةٍ بالطّرْحِ، فتعمَلَ على محْوِهما، حتى لاَ يتعدّى ضَرَرُهُما الى فاضلِ الأخْلاقِ وحسَنِ العادَاتِ.

التّجدّدُ سُنّةٌ طَبيعيّةٌ إلهيّةٌ، لِذلِكَ كانَ اللهُ سُبْحانَهُ يُرْسلُ الرُّسُلَ، الواحِدَ إثرَ الواحدِ، حتّى يجدِّدَ اللاّحقُ مَعالمَ [5] مَا وَضَعهُ السَّابق، مَعَ زِيادَات تقْتَضيهَا الحالُ، وَتَدْعُو إليْها الحاجَةُ. وإلى ذلِكَ الإشارةُ في الحديثِ: «يَبْعَثُ اللهُ على رَأْسِ كلِّ مِئَةِ عامٍ مَنْ يُجَدّدُ لهذهِ الأُمّةِ أَمْرَ دِينِها».

---

(١) يندس: يدخل ويندفن (٢) الاوضار: الاوساخ والمراد بها الاخلاق الفاسدة والمفرد وضر (٣) يشوه: يقبح (٤) خليق: جدير (٥) المعالم: الآثار والمفرد معلم.

مَتَى سَرَتْ رُوحُ التجدُّدِ فى الأُمَّةِ، تثورُ [1] على ما فَسَدَ من أَخلاقِها، وتَهيجُ على ما اختَلَّ من أَنظِمَتِها [2]، وتَقضِى على ما شَاخَ [3] مِنْ عاداتِها، حتى ترجِعَ ذَلكَ كُلُّهُ يَتهَادى [4] فى مَطارفِ [5] الشَّبابِ، وَيَخطِرُ فى حُلَلِ الكَمالِ.

إنَّ الأُمَّةَ، أَيُّها النَّشْءُ الصَّالحُ، فى الحاجةِ القُصوَى إلى التجدُّدِ، فقَدِ اشتَعلَتْ رُؤُوسُ عاداتِها وأَخلاقِها وأَنظِمَتِها ولُغَتِها وسائِرِ مقوِّماتِها شَيْبًا.

فانْهَضْ، رَعَاكَ اللهُ وحَاطَكَ بمَعُونَتِهِ، بأُمَّتِكَ، بِمَا تَبُثُّهُ فيها من رُوحِ التجدُّدِ، فإنَّ التجدُّدَ سِرُّ الحياةِ.

---

(١) تثور : تهيج وتتحرك (٢) الانظمة : القوانين التى توضع لتسير الامة فى سبيلها والمفرد نظام ٠ وأصل معنى النظام : قوام الامر الذى به يقوم (٣) شاخ : هرم وبلى (٤) يتهادى: يتبختر (٥) المطارف : ثياب من الحرير مربعة الاعلام ٠ والمفرد مطرف ٠

١٨

الترف (١)

مَاوَجَدَ التَّرَفُ سَبِيلاً إلَى نفوسِ أُمةٍ إلاّ أَفْسَدَهَا، وَجَعَلَ عَالِيَ سَعَادَتِهَا سَافِلَهَا، وَبَدَّدَ (٢) مَا لَدَيْهَا من ثَرْوَةٍ، وأَسقَطَ مَا لَهَا منْ رِفعَةٍ، ودَمَّرَ (٣) مَاعِنْدَهَامن عُمْرَانٍ.

المُترَفُونَ (٤) في كلّ أُمةٍ تَفسُدُ أَخلاقهم، بمَا يَكثُرُ لدَيهم منْ دَوَاعِي التّنعُّمِ، وَمَا يُحِيطُ بِهِم مِنْ أَسْبَابِ الفُسُوقِ (٥) عنْ سُنَنِ اللهِ.

التَّرَفُ يَسُوقُ إلى السَّرَفِ، والسَّرَفُ دَاعِيَةُ التّلَفِ، فَالمترَفُونَ ضعفاء العقُولِ، ضُعفاءُ الجُسُومِ، ضُعفاءُ الإرَادَةِ، خَامِلو الأَذْهَانِ، لاَ يَعرِفُونَ لِلحَيَاةِ مَعْنًى سِوَى مَا تَسُوقهم إِلَيْهِ الشَّهوَاتُ الحَيْوَانِيةُ، وَتَدفَعُهُمْ إِلَيهِ اللَّذّاتُ البَهِيمِيّةُ، فلا يَسعَوْنَ لِمَا يُفِيدُ الأمةَ، ولاَ يُفَكِّرُونَ فِيمَا يَعمُرُ البِلادَ

---

(١) الترف : الزيادة من التنعم (٢) بدد : اذهب وفرق (٣) دمر : قوض وهدم
(٤) المترفون : المتنعمون (٥) الفسوق : الخروج والعدول عن الامر، والعمل المنكر .

فَالمَعْرُوفُ عِنْدَهمْ مَنْكُورٌ ، وَالمَنْكُورُ مَشهُورٌ ، وَالخيرُ مَقبُورٌ ، والشَّرُّ مَنْشُورٌ ، فإِنْ دَعَوْتَهُمْ لِتَخْفِيفِ مُصابِ الأَشْقِيَاءِ [١] ، وَتجْفِيفِ دَمعَةِ الفقرَاءِ ، و بَذْلِ المَالِ لِتَعْلِيمِ الجهلاءِ ، غَصتْ حُلوقُهمْ ، وَشَرِقُوا بِرِيقِهِمْ ، وَنَكَّسُوا أَعْناقَهمْ ، وَلَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ [٢] وإِنْ طَلَبُوا لِبَذْلِ الأَمْوَالِ، في سَافِلِ الأَفعَالِ ، هرَعوا مُلَبِّينَ ، وأَقْدَمُوا مُسْرِعِينَ ، وأَجَابُوا الدَّاعِينَ ، كَأَنَّهُمُ السَّهْمُ المُرْسَلُ ، أَو القَضَاءُ المُنْزَلُ .

ما مِنْ فَسادٍ يَنْتَشِرُ في الأُمَّةِ ، إلاَّ كَانَ هؤُلاءِ المُتْرَفونَ مَنْشَأَهُ ، وما مِنْ بَلِيَّةٍ تَحُلُّ فِيهَا ، إلاَّ كَانوا جَرَاثِيمَ أَوْبَائِهَا [٣] ، وما مِنْ فُسُوقٍ ، إلاَّ كانوا عِمَادَهُ وذِرْوَةَ [٤] سَنَامِهِ [٥] .

إنَّ النفُوسَ لَتَضْرَى بالشَّهوَاتِ [٦] ، حَتَّى تَسْتَحْوِذَ [٧] عليها ، فلاَ تَتْرُكَ فِيهَا مَنفَذًا إلاَّ وَلَجَتْهُ [٨] ، ولاَ مُتَّسَعًا إلاَّ مَلأَتْهُ ، وَما ذَلِكَ إلاَّ مِنْ التَّرَفِ ، الذي يَدْعُو إلَى التَّبَسُّطِ [٩] في المَلَذَّاتِ ،

(١) الاشقياء : جمع شقي وهو البائس المحتاج (٢) لووا رؤوسهم : أمالوها وأداروها (٣) الاوباء : الامراض والمفرد وبأ . وأما الوباء فجمعه أوبئة (٤) ذروة كل شيء : اعلاه (٥) السنام في الاصل : ما ارتفع من ظهر الجمل . والجمع أسنمة (٦) تضرى بالشهوات : تولع بها حتى تعتادها (٧) تستحوذ : تستولى (٨) ولجته : دخلته (٩) التبسط : الاجتراء وترك الاحتشام

وَإعْطَاء النَّفْسِ الأَمَّارَةِ هَوَاهَا ، وإجَابَةِ مُيُولِهَا ، ومَتَى لَهَتِ الأُمَّةُ بأهْوَائِهَا[١] ، واشْتَغَلَتْ بِشَهَوَاتِهَا ، وَعَبِثَتْ[٢] بِمَرَافِقِهَا[٣] ، وغَفَلَتْ عَنْ مُقَوِّمَاتِ حَيَاتِهَا ، أَسْرَعَ إلَيْهَا الْفَسَادُ ، وَعَمَّهَا الْبَلَاءُ ، وَحَاطَتْهَا الأَرْزَاءُ[٤] .

عُجْ بِطَرْفِكَ[٥] نَحْوَ الأُمَمِ الخَالِيَةِ ، تَجِدْ أَنَّ التَّرَفَ قَدْ قَضَى عَلَيْهَا ، حَتَّى جَعَلَهَا عِبْرَةً لِمَنْ يَأْتِي بَعْدَهَا :

هٰذِهِ الأُمَّةُ الرُّومانيَّةُ ، والأُمَّةُ الْفَارِسيَّةُ ، وَالأُمَّةُ الْعَرَبِيَّةُ ، فإنَّهَا بَعْدَ أَنْ كانَتْ في ذُرَى المَجْدِ ، وَأُفُقِ السَّعْدِ ، هَوَى بِهَا التَّرَفُ إلى مَكَانٍ سَحِيقٍ[٦] ، وَنَزَلَ بِهَا التَّبَسُّطُ في هَوَى النفسِ الى الحَضِيضِ[٧] . وَرُبَّمَا كانَ هذَا السَّبَبُ مَمْزُوجاً بِغَيْرِهِ مِنَ الأَسْبَابِ الَّتِي تَدْعُو إلى الانْحِلالِ ، ولَكِنَّهُ السَّبَبُ الأَوَّلُ الذِي يَجُرُّ وَرَاءَهُ غَيْرَهُ مِنَ الأَسْبَابِ .

وقِسْ على هذهِ الأُمَمِ غَيْرَهَا مِنَ الأُمَمِ الماضِيَةِ ، وَابْحَثْ تَجِدْ أَنَّ هذهِ العِلَّةَ هِيَ جُرْثُومَةُ الجَرَائِمِ ، وعِلَّةُ العِلَلِ .

---

(١) الاهواء : جمع هوى النفس (٢) عبثت : هزلت ولعبت (٣) المرافق : المنافع والمصالح (٤) الارزاء : المصائب . والمفرد رزء (٥) عج بطرفك : أعطفه (٦) سحيق : بعيد (٧) الحضيض : الارض ، وأسفل الجبل

قَارِنِ اليَوْمَ بينَ أَخلاَقِ أَهلِ البادِيَة ، وأَخلاَقِ سُكّانِ الحوَاضِرِ ، وقَايِسْ بينَ جُسومِ هَؤُلاءِ وجُسُومِ أُولئِكَ ، ثمَّ انظُرْ الى ما عِنْدَ البَادِينَ [(١)] منْ شَرَفِ النّفْسِ والوفَاءِ والعِفّةِ والكَرَمِ والشّجاعَةِ وغَيرها منَ الأَخلاَقِ الفاضلةِ ، وإلى ما عِنْدَ هَؤُلاءِ المُتَمَدّنينَ منْ أَضْدادِها ، وَاحكُمْ بعدَ ذلكَ على ما يَجرُّهُ التّرَفُ على الانسانِ منَ الأَمْرَاضِ في الأَخلاَقِ والأَجسامِ .

أَنَا لا أَدْعُو إلى البَداوَةِ ، ولكنْ أَدعُو إلى التّخلُّقِ بأخلاقِ أَهلِهَا ، وأُهيبُ [(٢)] بمَنْ يُسَمِّي نَفْسَهُ إنسانًا أَنْ يُقلِعَ عنْ سافِلِ العاداتِ ، وَيَتَجَنّبَ سَفِيهَ الأَخلاقِ ، وَيَبْتَعِدَ عَنْ التّرَفِ ، فهوَ يَجْرُفُ الفَضَائلَ ، وَيُبْقِي على الرّذَائلِ ، وأَنْ يكونَ بينَ ذلكَ وَسَطًا ، حتى لا يَكونَ أَمْرُهُ فُرُطًا [(٣)] .

فَتَنَبّهوا ، أَيُّهَا النّاشِئونَ ، إلى ما يُحِيطُ بِكُمْ منْ سِبَاعِ اللّذّاتِ ، وما يَحُوطكُمْ مِنْ ضَوَارِي [(٤)] الشهَواتِ ، ولا تَتَخَلّقوا بأخلاقِ المُتْرَفِينَ ، ولا تَسيروا سَيْرَ العَادِينَ [(٥)] ، كَيْلاَ تُكتَبُوا في الذّاهبِينَ . وفي هذا بَصائِرُ [(٦)] لَكُمْ إنْ كُنْتُم مُبْصِرِينَ .

---

(١) البادي : من يسكن البادية (٢) أهيب : انادي واصرخ (٣) أمره فرط : مجاوز الحد (٤) الضواري : الحيوانات المفترسة كالذئب والاسد ونحوهما (٥) العادي : المجاوز الحد في أعماله (٦) البصائر : العبر والشواهد ، والمفرد بصيرة

١٩

الدين

حقّ العلاءُ[1] لأنفسٍ طهُرت عنها تناءى الفُحشُ[2] والفَنَدُ[3]

لبستْ دِثارَ[4] العِلم وادَّرعتْ[5] بالدّين ، فهو لمجدها عَمَدُ

فالدّينُ لولاهُ لما انقطعتْ عن عقلِ هذا العالَمِ العُقَدُ

ولما استقام لأمرهم عِوَجٌ ولما أُقيمَ لميلهم أَوَدُ[6]

ولأنجدوا يعلوهمُ غَطَشٌ ولأتهموا يجفوهمُ الرَّشَدُ[7]

الدّينُ الصّحيحُ نبراسُ[8] المَدَنيّةِ ، والعملُ به رائدُ[9] الإنسانيّة .

الدّينُ وضعٌ إلهيٌّ ، وحاشَ لله أن يأمرَ عبادَهُ بما يُقعِدُهم عن العملِ الصّالحِ ، ويَصدِفُهم[10] عن العيشةِ الرّاضيةِ ،

---

(١) حق: ثبت . والعلاء : الشرف والرفعة (٢) الفحش : المنطق الفاسد القبيح
(٣) الفند : الكذب ، والظلم، وكفر النعمة (٤) الدثار: الثوب (٥) ادرعت بالدين: اتخذته درعاً لها (٦) الاود: الاعوجاج (٧) انجدوا : أتوا نجداً . والغطش الظلام . واتهموا : جاؤوا تهامة . ونجد وتهامة من بلاد العرب . فنجد أراضيها مرتفعة ، وتهامة أراضيها منخفضة . والمراد بالانجاد والاتهام هنا : السير على اختلاف أنواعه
(٨) النبراس : المصباح يستضاء به (٩) رائد : مرشد (١٠) يصدفهم : يصرفهم ويمنعهم

فَالمَدَنيةُ الصَّحِيحَةُ هِيَ الدِّينُ الصَّحِيحُ ، فإِنْ لمْ يكَنْ كِلاَهُما عينَ الآخَرِ ، فهُمَا شقيقانِ ، أَبُوهُما الحَقُّ ، وأُمُّهما الحقيقةُ .

مَا أَسعَدَ النَّاسَ إلاَّ الدِّينُ ، وَمَا أَشقَاهُمْ إلاّ تركُهُ ، أَوِ التَّمَسُّكُ بقُشُورِهِ ، وإهمالُ لُبابِهِ .

الدِّينُ سَيْفٌ ذُو حدَّينِ ، فإِنْ أَحْسَنَ المنْتَسِبُ إليْهِ اَستِعمالَهُ كانَ لهُ عوْناً في الشَّدَائِدِ ، ومُرْشِداً في الفَلَواتِ [(١)] ومِصبَاحاً في الظُّلُماتِ ، وإنْ أَساءَ انتِضاءَهُ [(٢)] ضرَّ بهِ وبغيرِهِ ، وإنَّ مَا نرَاهُ منْ شقاءِ كَثيرٍ منَ المُتَدَيِّنينَ ، إنْ هوَ ناشئاً إلاَّ منْ جهلِهِمْ بالدِّينِ ، وبُعْدِهِمْ عَنْ جَوْهَرِهِ النَّقِيِّ ، الخَالِي عَنِ الشَّوَائِبِ [(٣)] ، والمُنَزَّهِ عَمَّا دَسَّهُ [(٤)] فِيهِ الدَّسَّاسُونَ ، الذِينَ لاَ يَعرِفُونَ منْهُ إلاَّ الاسْمَ ، وبَعْضَ الأَعْمالِ الظَّاهِرَةِ ، أَوِ الّذِينَ اتَّخَذُوهُ مَلْعَباً لِأَهْوَائِهِمْ ، وَمَرْكَباً لِسَافِلِ غاياتِهِمْ .

الدِّينُ الْيَوْمَ شَبَحٌ لاَ رُوحَ لهُ ، وأَلْفاظٌ أَضَاعَ النَّاسُ مَعْناهَا ، وقَدِ اتَّخَذَهُ المُتَلَبِّسُونَ بهِ حِبَالةً [(٥)] لاَصْطِيَادِ عُقُولِ

---

(١) الفلوات : جمع فلاة وهى القفر والصحراء الواسعة (٢) انتضاء السيف : تجريده من قرابه (٣) الشوائب : العيوب ، والادناس ، والاخلاط (٤) دسه : أدخله
(٥) الحبالة : شبكة الصياد .

الْعامَّةِ ، وَوَسِيلَةً لِتعْظِيمِهَا إيّاهُمْ وَإترَاعِ[1] حقائبِهِمْ[2] منْ أمْوَالِها ، وَهمْ ليسُوا منَ الدينِ فى شئ : جَهلٌ مُطبِقٌ ، وَأخْلاقٌ وَضيعةٌ ، ونفُوسٌ ضَعيفةٌ ، وَنفرَةٌ منْ صالِحِ الأعمَالِ ، وبُعدٌ عَنْ هَدَفِ[3] الْحَقيقةِ ، وأكثرُهمْ عَبَدَةُ أوْهَامٍ ، وسَدَنةُ[4] تَقاليدٍ ، وأُجرَاءُ أهْوَاءٍ .

إنّ الْعامّةَ غيرُ مَلومةٍ إن اعتقَدَتْ مَالا أصلَ لهُ فى الدّينِ ، وَإنما الْمَلومُ أُولئكَ الّذينَ يُسَمّونَ أنفسَهمْ خاصّةً ، ويَدُسُّونَ فى نفُوسِ الْعامّةِ مَالاَ يَتفقُ مَعَ الشّرْعِ ، ويَنْشرُونَ فِيهمْ منَ الإفْكِ[5] ما يُسَمِّمُونَ بهِ الْعقُولَ ، ويُوسِّعُ مَسَافَةَ الْخُلفِ بَينَ أبْناءِ الوَطنِ الوَاحِدِ :

ضَرَرُ الدّينِ منْ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ

ظنّ دِينَ اللهِ فى تَرْكِ الدُّنَا[6] ... وَرَأى الإعْرَاضَ عنْها أنْفعَا

وَهْوَ لَوْ جَاءَتهُ مِنها بَدْرَةٌ[7] ... طلّقَ التّقْوَى وعَافَ الوَرَعَا[8]

---

(١) الاتراع : الاملاء (٢) الحقائب : جمع حقيبة وهى خريطة يعلقها المسافر فى الرحل للزاد ونحوه (٣) الهدف : الغرض الذى يوضع ليرمى اليه (٤) السدنة : جمع سادن وهوخادم الصنم (٥) الافك : اشدالكذب (٦) الدنا: جمع الدنيا . وانما جمعت مع أنها واحدة فلاعتبار اقسامها ومظاهرها (٧) البدرة :عشرة آلاف درهم ، والجمع بدر (٨) الورع : الابتعادعن الشبهات خشية الوقوع فى المحرمات

فهو لا زهداً[1] بهاعنها نأى[2] لكن الجد يذيب الأضلعا

خاف أن يسعى فيدمى رجله فرأى الراحة فيما صنعا

ليس بالزاهد فى الدنيا امرؤ يلبس الصوف ويهوى الرقعا[3]

إنما الزاهد فى الدنيا امرؤ عف نفساً فأبى أن يخنعا[4]

ورجل يدعو إلى باطل باسمه، ويكفر سواه أو يبدعه أو يفسقه[5]، لتظن العامة أنه متدين، وهو بعيد عن الدين بعد السماء عن الأرض.

فاحذر، أيها النشء الصالح، هذين الرجلين، فهما آفة[6] الدين.

الدين نور، وعمل هذين ظلمة، الدين حق، وعملهما باطل، الدين عمران، وما يدعوان إليه خراب.

لا تظن الدين ما يملى الهوى ليس دين الله تلك البدعا[7]

إنما الدين ضياء لمعا فاستنار الكون لما سطعا

قبست منه المعالى شعلة صدعت[8] قلب الدجا[9] فانصدعا

(١) الزهد : الاعراض عن الشيء احتقاراً (٢) نأى : بعد (٣) الرقع : جمع رقعة وهى ما يرقع به الثوب (٤) يخنع : يذل ويهون ويحط من نفسه ومروءته (٥) يبدعه ويفسقه : ينسبه الى البدعة والفسق (٦) آفة الشيء : عاهته وضرره وفساده (٧) البدع : جمع بدعة وهي ما ينسب الى الدين وليس منه (٨) صدعت : شقت (٩) الدجا : الظلام .

تَمَسَّكُوا، مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ بِدِينِكُمْ، ولاَ تَدَعُوا لِلْمُنْتَسِبِينَ إِلَيْهِ، وَهُوَ بَرَاءٌ مِنْهُمْ، سَبِيلاً تَفُوزُوا بِالسَّعَادَتَيْنِ، وَتَنَالُوا الْحُسْنَيَيْنِ *



المدنية

الْمَدَنِيَّةُ الْحَقُّ سِيرَةٌ تَكْسِبُ الْمُتَمَدِّنَ صِحَّةً فِي جِسْمِهِ وعقْلِهِ، وتُلْبِسُهُ حُلَّةً تَزِينُهُ فِي أَهْلِهِ وَعَشِيرَتِهِ وبِيئَتِهِ[1] وتَجْعَلُهُ سَعِيدًا فِي دُنْيَاهُ وآخِرَتِهِ.

فَمَنْ تَرَدَّى بِرِدَائِهَا، وسَعَى لَهَا سَعْيَهَا، كَانَ مُتَمَدِّنًا، ومَنْ فَهِمَهَا عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا، فَلَبِسَ لَهَا رِدَاءً غيرَ رِدَائِهَا، كَانَ مِمَّنْ طُمِسَ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وضُرِبَ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ السَّعَادَةِ بِأَسْوَارٍ لاَ تَقْوَى عَلَى اخْتِرَاقِهَا مَدَافِعُ الآمَالِ، بَلْ تَعْيَا[2] عَنْ بُلُوغِ أَعْلاَهَا نُسُورُ الأَمَانِيِّ، وَيَكِلُّ دُونَ ذُرَاهَا[3] طَرْفُ[4] الرَّجَاءِ.

(*) ان ماورد من الشعر فى هذه العظة هو لصاحب العظات

(١) البيئة : المنزل ، والبلد أو القطر الذى يعيش فيه (٢) تعيا : تتعب وتعجز

(٣) الذرى : جمع ذروة وهى اعلى كل شيء (٤) الطرف : العين

مَا المَدَنِيَّةُ إلاَّ أَخلَاقٌ فَاضِلَةٌ، تُثمِرُ ائْتِلَافَ الأَفرَادِ، وَاتِّحَادَ الجَمَاعَاتِ، وسَعْيٌ وعَمَلٌ، يَلِدَانِ عُمْرَانَ البِلَادِ، وارْتِقَاءَ الحَالَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ، وإقْدَامٌ عَلى تَطهِيرِ النَّفْسِ مِنَ الرَّذَائِلِ، لِاكْتِسَابِ الفَضَائِلِ، وإحجَامٌ[1] عَنِ الضَّرَرِ بِالنَّاسِ، وابْتِعَادٌ عَنْ مَنَاكِرِ الأَخلَاقِ، وَبَذْلٌ لِتَخْفِيفِ وَيلَاتِ البَائِسِ[2]، وَتَشْيِيدِ[3] صُرُوحِ[4] المَدَارِسِ.

كانَتِ الأُمَمُ المَشْرِقِيَّةُ، وكَانَ لهَا في المدَنيَّةِ صَوْلَة[5] وَفي تَثْبِيتِ أَرْكَانِها دَوْلَة، ثمَّ دَارَتْ عَلَيْها الدَّائِرَةُ، فَطَرَأَ عَلَيها مَا طَرَأَ مِمَّا خَرَّبَ عُمْرَانَها، وَبَدَّدَ[6] تَمَدُّنَها، سُنَّةَ اللهِ فِيمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِقَانُونِ الاجْتِمَاعِ، ولَمْ يَظَلَّ سَائِرًا فِي سَبِيلِ الحَضَارَةِ[7] الصَّحِيحَةِ، فَانْتَقَلَتْ عُلُومُها ومَدَنِيَّتُها إلى قَوْمٍ عَرَفُوا فَضْلَها، فأَحَلُّوهَا المَقَامَ الأَرْفَعَ، وَوَسَّعُوا لهَا صُدُورَهُمْ، وزَادُوا فِيهَا مَا اقْتَضَتْهُ سُنَّةُ التَّرَقِّي، ودَعَتْ إلَيْهِ الحَاجَةُ، فَبَلَغُوا مِنَ الكَمَالِ فِي الحَضَارَةِ مَبْلَغًا جَسِيمًا، وسَارُوا أَشْوَاطًا[8]

(١) الاحجام: التأخر (٢) البائس: الشديد الحاجة (٣) شيد البناء تشييداً: رفعه (٤) الصروح: القصور. والمفرد صرح (٥) الصولة: السطوة (٦) بدد: فرق وأذهب (٧) الحضارة: المدنية، وهى خلاف البداوة (٨) الاشواط: جمع شوط وهو الجرى مرة الى الغاية، وهو أيضاً الغاية نفسها يجرى نحوها

عظيمةً ، فملكوا نواصيَ[١] الأممِ الخاملةِ ، وأحكموا الشكائمَ[٢] في أفواهها .

غيرَ أنَّ مدنيَّتهم لم تخلُ من شوائبَ[٣] تخالطُ كلَّ قومٍ استبحرَ[٤] عمرانُهم ، ونمتْ حضارتُهم ، على أنهم ليسوا راضين عمّا دهمهم[٥] من الأشواكِ ، بل تراهم ساعين نحوَ تشذيبِ[٦] شوائبهم ، وتهذيبِ مدنيَّتهم .

وقد أفاقَ الشرقُ اليومَ من غفلتِهِ ، وتنبَّهَ من سِنَتِهِ[٧] وطفقَ يقلِّدُ مدنيةَ الغربِ ، كما قلَّدَ الغربُ مدنيتَهُ من قبلُ غيرَ أنَّ السيرَ ضعيفٌ ، والسعيَ بطيءٌ ، وأكثرُ المقلِّدينَ لم يتمسَّكْ إلاَّ بقشورِ التمدُّنِ ، وتركَ لبابَهُ ، فما يدرسونَهُ إنما هوَ نظرياتٌ لا تُسمنُ ولا تُغني من جوعٍ ، وإنما العلمُ هوَ العملُ ، وهؤلاءِ لا يعملونَ بما يعلمونَ ، وفائدةُ العلومِ الكونيةِ (أو العصريةِ) هوَ الوصولُ إلى ما وصلَ إليهِ الغربيونَ ، من إنشاءِ المعاملِ ودورِ الصناعاتِ ، التي تدرُّ على

---

(١) النواصي : جمع ناصية وهي مقدم الرأس (٢) الشكائم : جمع شكيمة وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس (٣) الشوائب : الأخلاط ، والعيوب والادناس (٤) استبحر : انبسط واتسع (٥) دهمهم : جاءهم على حين غفلة (٦) التشذيب : الاصلاح والتهذيب (٧) السنة : الغفلة ، والنوم

الْبِلَادِ غِنىً وَثَرْوَةً، وَتَجتَاحُ[1] مِنْهَا الْفَقْرَ، وتقضي على الْبُؤْس[2]

وَهُنَاكَ قَوْمٌ مِمّنْ يَدَّعُونَ تَقْلِيدَ بَنِي الْغَرْب، لم يُقلِّدُوهُمْ فِي عِلْمٍ ولاَ عمَلٍ نافِعٍ، وإنما قلَّدُوا فُسَّاقَهم وفَاسِدِي الأخلاَق مِنْهمْ، فلاَ يَعرفُونَ منَ الْمَدَنيَّةِ إلاَّ اتِّبَاعَ الهوَى، والعَمَلَ بالمَنَاكِرِ، والتَّفَنُّنَ في الأزْيَاء[3]، والتَّمَسُّكَ بِسَافِلِ العَادَاتِ، وتَبْذِيرَ الأمْوَالِ، في سَفِيهِ الأفعالِ.

فَاحْذَرْ، أَيُّهَا النَاشِئُ، أَنْ تَفهمَ المَدَنيَّةَ فهْماً لاَ يَنطَبِقُ على حَقيقَتِها، فتَخْسَرَ دُنْيَاكَ وآخِرَتَكَ، وتجْتَذِبَ إلى جِسْمِكَ الأمْرَاضَ، وإلَى عَقْلِكَ الفَسَادَ.

واعلَمْ أَنَّ المَدَنيَّةَ الصَّحِيحَةَ هِيَ مَا شَرَحْتُ لكَ، فتَمَسَّكْ بِعُرَاهَا[4]، واعْمَلْ بِمُقْتَضَاهَا، تَنَلْ نَفْسُكَ العَاقِلَةُ مُنَاهَا، وتفزْ بِمُشْتَهَاهَا.

(١) تجتاح: تستأصل وتمحو (٢) البؤس: الشدة والشقاء (٣) الأزياء: جمع زى (٤) العرى: جمع عروة وهي مايوثق به ويعول عليه، وهي في الاصل: مقبض الدلو والكوز ونحوهما، وما يدخل فيه الزر من القميص ونحوه.

٢١
الوطنية

مَا عَجِبْتُ لِأحَدٍ قَطُّ عَجَبِي مِمَنْ يَدّعي الْوَطَنِيَةَ، ويَزْعُمُ أنهُ يَفْدِي الوَطنَ بِدَمِهِ وَمَالِهِ، ثُمّ تَرَاهُ شَدِيدًا فِي تخريب صَيَاصِيهِ[1] بمَا يَأْتِيهِ مِنْ ضُرُوبِ النِّكَايَةِ[2].

لَيْسَ كلُّ مَنْ يُنَادِي بالوَطَنيةِ وطَنيًّا، حَتّى تَرَاهُ عَامِلاً للْوَطنِ بمَا يُحْيِيهِ، باذِلاً مَا عَزَّ وَهَانَ فى سَبِيلِ تَرَقِّيهِ، يَسعَى مَعَ السّاعِينَ فى إعلاَءِ شأْنِهِ، ويَنْصَبُ[3] مَعَ النّاصِبِينَ فِي حِفْظِ كِيانِهِ.

أمّا مَنْ يَسعَى فِيما يَفتُّ فى عَضُدِهِ[4]، وَيَكسِرُ فى سَاعِدِهِ، فقَدْ بَعُدَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْوَطَنيّةِ، ولَوْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ[5]، وَمَلأَ الأقْطَارَ صُرَاخًا، ونَادَى فى الأُمّةِ: أنْ إنِّى مِنَ الْوَطَنيِّينَ المُخْلِصِينَ.

---

(١) الصياصى : الحصون ، وكل ما امتنع به . والمفرد صيصة وصيصية
(٢) النكاية : القهر . يقال نكاه ونكى فيه أى قهره وظلمه (٣) ينصب : يتعب
(٤) العضد : هو من المرفق الى الكتف : وفت العضد وكسر الساعد : كناية عن اضعاف القوة وتفريق الاعوان (٥) العقيرة : الصوت

الْوَطَنِيَّةُ الْحَقُّ هِيَ حُبُّ إِصْلاَحِ الْوَطَنِ ، والسَّعْيُ فِي خِدْمَتِهِ ، والْوَطَنِيُّ كلُّ الْوَطَنِيِّ مَنْ يَمُوتُ لِيَحْيا وَطَنُهُ وَيَمْرَضُ لِتَصِحَّ أُمَّتُهُ .

أَلاَ إِنَّ لِلْوَطنِ على أَبْنائِهِ حُقُوقاً ، فَكَمَا لاَ يَكُونُ الاَبنُ ابْناً حَقِيقيًّا حَتّى يَقُومَ بِوَاجِبِ الأُبُوَّةِ ، فكَذَلِكَ ابنُ الْوَطنِ لاَ يَكُونُ ابْناً بَارًّا حَتى يَنْهَضَ بأَعباءِ[(١)] خِدْمَتِهِ ، ويَدْفَعَ عَنْ حِمَاهُ الْمُؤْذِينَ ، وَيَذُودَ[(٢)] عَنْ حِيَاضِهِ الْمُدَلِّسِينَ[(٣)] .

ومنْ هذِهِ الْحُقُوق تَكْثِيرُ سَوَادِ الْمُتَعَلِّمِينَ ، الْمُتَخَلِّقِينَ بِصَحِيحِ الاخلاَقِ ، الْمَغْرُوسِ فى قُلُوبِهِمْ تِلْكَ الْحِكْمَةُ الْمَشْهُورَةُ « حُبُّ الْوَطَنِ منَ الإِيمَانِ » وذَلِكَ لاَ يَكُونُ إلاَّ بِبَذْلِ الْمَالِ وإِفْرَاغِ الْوُسْعِ فِى تَشْيِيدِ المدَارِسِ ، الّتى تَنْفُثُ[(٤)] فِى رُوعِ[(٥)] النَّابِتَةِ[(٦)] رُوحَ الْوَطَنِيَّةِ ، وتُنْبِتُ فى نُفُوسِهِمْ أَغْرَاسَ الْفَضِيلَةِ والْعَمَلِ الصَّالِحِ ، وتَهِيبُ[(٧)] بهِمْ لِيَنْهَضُوا ، مَتَى بَلَغُوا مَبْلَغَ

---

(١) الاعباء : الاحمال الثقيلة . والمفرد عبء (٢) يذود : يدفع ويمنع
(٣) التدليس : أن يظهر المرءالشيء على خلاف ما هو عليه . وأصل معناه : كتم عيب السلعة عن المشترى (٤) تنفث : تلقى (٥) الروع : القلب (٦) النابتة : النشء
(٧) تهيب بهم : تنادى

الرُّجُولِيَّةِ ، إلى خِدمَةِ هذا الوَطَنِ التَّعِسِ ، الذى ضَرَّهُ أَبناؤُهُ ، أَكْثَرَ مِمَّا ضَرَّ بِهِ أَعْدَاؤُهُ .

وعن هؤُلاءِ النَّابتِينَ تَصْدُرُ مُقَوِّماتُ الحَياةِ لِهٰذِهِ الأُمَّةِ الّتى كادَتْ بِسَبَبِ خُمُولِهَا وَجُمُودِها ، تُكْتَبُ فِي أَسْفَارِ[1] الأُمَمِ المُنْدَرِسَةِ[2] .

مَتَى نَشأ هؤُلاءِ التَّلامِيذُ ، الذِينَ يُرَبَّوْنَ تِلكَ التَّرْبِيةَ الصَّحِيحَةَ ، ودَخَلوا مُعْتَرَكَ الحَياةِ الاجتماعِيَّةِ ، كانَ مِنْهُمْ مَالاَ عَيْنٌ رَأَتْ ، ولاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ ، ولاَ خَطَرَ على قَلْبِ بَشَر .

التَّرْبيةُ الحَقُّ رُوحُ الحَياةِ ، والعِلْمُ دَمُ الوَطَنِ ، ولاَ تُمَكِّنُنَا الحَياةُ السَّعِيدَةُ إلاّ بِهِمَا ، فالتَّرْبِيَةُ تَدْفَعُ إلَى السَّعْيِ والعَمَلِ ، والعِلْمُ يُرْشِدُ إلى طَرِيقِ السَّعَادَةِ .

نَحنُ فى حاجَةٍ إلَى المَصَانِعِ الوَطَنِيَّةِ ، والزِّراعةِ الوَطنِيَّةِ ، والتجارَةِ الوَطَنِيةِ ، لِتَنالَ البِلاَدُ الاستِقلالَ الاقتِصَادِيَّ ، وَتَتَخلَّصَ مِنْ نِيرِ الحَاجَةِ إلى الأَجانِبِ ، فَمَنْ سَعَى نحوَ استِقلالِ الوَطنِ وَتخلِيصِهِ مِنْ مَدِّ يَدِهِ إلى الأغيارِ ، كانَ

---

(١) الاسفار : الكتب . والمفرد سفر (٢) المندرسة : المنقرضة التى انطمس ذكرها وجدها .

الرَّجُلَ الْوَطَنِيَّ الَّذِي تَنْحَنِي أَمَامَهُ الرُّؤُوسُ إِجلالاً .

إِنَّ لِكُلِّ نَتِيجَةٍ مُقَدِّمَاتٍ ، ومُقَدِّماتُ الاسْتِقلال تَرْبِيةُ النَّاشِئِينَ وتَعْلِيمُهُمْ ، لِيكُونوا يَدَ الْوَطَنِ الْعَامِلَةَ ، وَرُوحَهُ الْمُقَوِّمَةَ ، ودَمَهُ الْجَارِي فِي عُرُوقِهِ ، فعلِّمُوا الأَوْلادَ ، تَسْعَدِ الْبِلادُ .

حُبُّ الْوَطَنِ مَلَكَةٌ[1] مِنْ مَلَكَاتِ النَّفْسِ ، لاَ يُنْكِرُهَا إلاَّ الأَفَّاكُونَ[2] أَوِ الْوَاهِمُونَ ، وإنَّمَا يَصْدِفُ[3] النَّفْسَ عنْ هذا الحُبِّ فَسَادٌ فِي التَّرْبِيَةِ ، أَوْ خَلَلٌ فِي الدِّمَاغِ ، أَوْ عِرْقٌ كانَ أَجْنَبِيًّا ، فهوَ يَدْفَعُ الدَّخِيلَ إلى مُعادَاةِ وطَنٍ فيهِ وُلِدَ ، وفِي أَرْضِهِ نَشأَ ، وَبِلِبَانِهِ[4] تَغَذَّى ، ويَجْعلُهُ يَحِنُّ إلى أَرْضٍ لمْ يَعْرِفْهَا ، سِوَى أَنَّها كانَتْ مَنْشأَ أَبِيهِ أَوْ آبائِهِ منْ قبلُ ، وَيُشَوِّقُهُ إلى قومٍ لمْ يَعْرِفْ عادَاتِهِمْ ، ولاَ يَفْهَمُ لُغَتَهُمْ ، ولاَ تَجْمَعُهُ بِهِمْ جَامِعَةٌ ، سِوَى أَنَّهُ كانَ مِنهُمْ ، ويَالَيْتَ مَنْ كانَ مِثْلَهُ يكْتَفِي بِذَلِكَ الحَنِينِ ، فلاَ يَسْعَى لاِنْتِقَاصِ وَطَنٍ آوَاهُ ونَصَرَهُ ،

(١) ملكة : صفة راسخة (٢) الافاكون : الكاذبون أشد الكذب
(٣) يصدف : يصرف (٤) اللبان : الرضاع

بَعْدَ أَنْ لَفَظَتْ [١] آبَاءَهُ بِلادُهم لَفْظَ النَّوَاةِ [٢] ، ولاَ يَعْمَلُ لِإِحْبَاطِ [٣] كلُّ مَسْعًى يُسْعَى لِإِنْهَاضِهِ .

فَإِلَيْكَ ، أَيُّها النَّشْءُ الْكَرِيمُ ، تَنْبَسِطُ يَدُ الرَّجَاءِ ، فَانْهَضْ رَعَاكَ اللهُ ، لِلْعِلْمِ ، وتخلَّقْ بأخلاقِ أَسْلاَفِكَ ، فإِنَّ الْوَطَنَ يُنَادِيكَ : إِنِّى لَكَ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ .

واحْذَرْ أُولَئِكَ الدَّسَّاسِينَ [٤] وتَيَقَّظْ لِحَبَائِلِهِمْ [٥] ، وتَنَبَّهْ لِشُرُورِهِمْ ، فَهُمْ دَاءُ وَطَنِكَ الْعُضَالُ [٦] ، والسُّمُّ الْقَتَّالُ ، وَمَا نَهَكَ [٧] الْوَطَنَ مِنْ قَبْلُ ، وما يَعْمَلُ على إِضْعَافِهِ مِنْ بَعْدُ ، إلاَّ هؤُلاَءِ المُجْرِمُونَ ، فإنَّهم أَعْدَى الأَعْدَاءِ ، وأَدْوَى الأَدْوَاءِ [٨] فكُنْ عليهم الخَطْبَ النَّازِلَ ، والدَّاءَ القَاتِلَ ، والموتَ الزُّؤَامَ [٩] والْعينَ الَّتى لاَ تَنَامَ ، وإِيَّاكَ أَنْ يَطِيبَ لَكَ المُقَامُ ، قبلَ أَنْ تَرِيشَ السِّهَامَ [١٠] ، وَتَقِفَ بالمِرْصَادِ ، لأَهلِ الفَسَادِ .

حَقِّقِ الأَمَلَ ، يَحْيَ بِكَ الوَطَنُ .

---

(١) لفظت : طرحت (٢) النواة : بزرة التمر ونحوه (٣) احباط : ابطال

(٤) الدساس : المرائى بعمله . يندس أى يدخل مع الاخيار وليس منهم . والدساس : حية خبيثة تندس هادئة حتى اذا ا مكنها اللسع لسعت (٥) الحبائل : المكايد . وأصل معناها : المصايد (٦) العضال : الشديد الغالب (٧) نهك : أضعف وأخنى وأتعب

(٨) أدوى الادواء : أشدها . والادواء : جمع داء (٩) الزؤام : السريع الكريه

(١٠) تريش السهام : تلزق عليها الريش . وريش السهام : كناية عن التهيؤ للرمي . والسهام : النبل

٢٢
الحرية

إنّ لِلأمَمِ آجالاً[1] ، وَأَجَلُ كُلِّ أُمّةٍ يَوْمَ تفْقِدُ حُرِّيّتَها .

الُحرِّيّةُ هِبةٌ منَ الخَالقِ لِلْمَخلوقِ ، يُصَرِّفُها فِيما يَعُودُ على نَفْسِهِ وعلى غيرِهِ بالسَّعادَةِ والخيرِ .

وتَدُلُّ في اللُّغَةِ على مَعْنى الُخلوصِ ، فالُحرُّ خِلافُ العَبْدِ لُخلوصِهِ منَ الرِّقِّ ، وحُرُّ كلِّ شيْءٍ خيارُهُ ، والُحرُّ منَ الطِّينِ والرَّمْلِ هُوَ الطَّيِّبُ مِنهُما ، ورَمْلَةٌ حُرَّةٌ أَيْ صالِحَةٌ لِلإنباتِ ، وحُرُّ كلِّ أَرْضٍ أطْيَبُها .

فأنْتَ تَرَى أَنَّ هذهِ المَادَّةَ تَدُلُّ على الطَّهارَةِ وَالُجودَةِ[2] وَخُلوصِ الشَّيْءِ مِمَّا يُكَدِّرُ صفَاءَهُ وجُودَتَهُ .

والُحرُّ ، بالمَعْنى المَدَنِيِّ ، مَنْ كانَ خالِصَ التَرْبيَةِ ، نَقِيَّ النَّفْسِ

(١) الآجال : جمع أجل وهو مدة الشيء ووقته الذى يحل فيه وينتهى اليه
(٢) الجودة بضم الجيم : الصلاح

مُتَمَسِّكًا بِالْفَضَائِلِ ، كاسِرًا قُيُودَ الْعُبُودِيَّةِ ، عامِلاً بِمَا يَطلُبُهُ مِنْهُ الوَاجِبُ .

إنَّ الإنْسَانَ لمْ يُخْلَقْ لِيكُونَ عَبْدَ غيرِهِ ، ولاَ ليَكُونَ كُرَةً[1] تَتَقَاذَفُهَا الأَهْوَاءُ[2] ، وَتَعْمَلُ على تحرِيكِها أيْدِي الزُّعَمَاءِ[3] ، وتُصَرِّفُها حَسَبَ رَغائِبِهَا[4] نُفُوسُ الكُبَرَاءِ ، بَلْ خُلِقَ لِيَعْمَلَ مُنفرِدًا ومُجْتَمِعًا بِمُقْتَضَى السُّنَّةِ الإلهِيَّةِ العامَّةِ ، وهِيَ الحُرِّيَّةُ

ولمْ تُسْلَبْ هذِهِ النِّعْمَةُ الرَّبَّانيةُ الكُبْرَى مِنْ كَثِيرٍ منَ النَّاسِ إلاَّ بِسَبَبِ مَا أَفْسَدَهُ الظَّالِمُونَ منْ نُفُوسِهِمْ ، فلمْ يَدْعُوا إلى تنوِيرِ أَذْهَانِهِمْ بِالْعِلمِ سَبِيلاً ، لأَنَّ الظَّالمِينَ يَعلمونَ يَقِيناً أَنَّ العِلمَ الصَّحِيحَ يَهْدِي إلَى معرِفَةِ الحُقُوقِ ، فَهُوَ الشَّرَارَةُ الَّتِي تُوقِدُ فِي النُّفُوسِ الهِمَمَ ، وتَرْبَأُ[5] بالعاقِلِ أنْ يَكُونَ آلةً تُدِيرُهَا الحرَكَاتُ الاستِبْدَادِيَّةُ .

وقدْ قالَ عمرُ بْنُ الخطَّابِ لِعَمْرِو بنِ العَاصِ يَوْمَ ضَرَبَ

(١) الكرة : كل جسم مستدير . والمراد بها هنا الكرة المعروفة التي يلعب بها
(٢) الاهواء : الاغراض المختلفة وهي جمع هوى النفس (٣) الزعماء : الرؤساء والمفرد زعيم (٤) الرغائب : المشتهيات . وهي جمع رغيبة وهي الامر المرغوب فيه
(٥) تربأ بالعاقل : ترفعه

وَلدُهُ القِبْطِيّ : « مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وقدْ وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا ! » .

أَلاَ إنّ الْحُرَّ لاَ يكُونُ حُرًّا إلا إذَا تَهَذَّبَتْ نفسُهُ، ونَمَتْ فِيهَا مَلَكَةُ الإرَادَةِ ، وحَظِيَ منَ الْعِلمِ الصَّحِيحِ بِحَظٍّ غيرِ قَلِيلٍ ، ثم أَقدَمَ عَلى تحْرِيرِ نَفْسِهِ مِنْ رَبقَاتِ[1] مَنْ يَمْلِكُهَا بِالقُوَّةِ والجَبَرُوتِ ، فَمَنْ لمْ يكُنْ كَذَلِكَ فقدْ شَسَعَتْ[2] بينَهُ وَبينَ الْحُرِّيةِ المَسَاوِفُ[3] وَكَانَ بينَهُما مفَاوزُ[4] جُمَّةُ المَخَاوِفِ[5] .

لَيْسَ بِالْحُرِّ مَنِ اتّخَذَ الْحُرِّيّةَ عنْوَانًا للرَّذَائِلِ ، وَطَرِيقًا لِلْمَفَاسِدِ ، وسَيفًا يُجتَابُ[6] بهِ أَرْدِيةُ[7] العِفّةِ ، وَرُمْحًا يَطْعَنُ بهِ الفَضِيلةَ، وَسَهْمًا يُمزِّقُ أَعْرَاضَ النَّاسِ .

وَلَيْسَ منَ الْحُرِّيةِ أَنْ يَفعَلَ الإنْسَانُ ما يَضُرُّ بِهِ وَبغيرِهِ مِنْ إسْرَافٍ فِي الأَمْوَالِ ، وَإضَاعَةٍ لِلإنْسَانِيَّةِ ، وَإبَاحَةٍ لِلْمُنْكَرَاتِ ، وسَعْيٍ فِي إفسَادِ الهَيئَةِ الاجتِماعيةِ ، بِمَا يَأْتيهِ

---

(١) الربقات : جمع ربقة وهى العروة من حبل فيه عدة عرى تشد به البهائم
(٢) شسعت : بعدت (٣) المساوف : جمع مسافة (٤) المفاوز : الاماكن المهلكة . والمفرد مفازة (٥) جمة : كثيرة (٦) يجتاب : يقطع (٧) الاردية : جمع رداء وهو الثوب

مِنْ ضُرُوبِ[١] الإيذاءِ والنَّميمَةِ[٢] والغِيبةِ[٣] والتَّعَدِّي، وغيرِ ذَلكَ مِنْ نَقائِصِ الأَخْلاقِ.

إنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَدَّعِي الحُرِّيَّةَ، وقدْ لَبِسَ لَبُوسَ[٤] العُبُودِيَّةِ، فهُوَ أَسِيرٌ لِشَهَوَاتِهِ، عَبْدٌ لِزُعَمَائِهِ وأُمَرَائِهِ، مَمْلوكٌ لِنَفْسِهِ الأَمَّارَةِ، تَدْفَعُهُ إلى المُوبِقَاتِ[٥] فيُجِيبُ، وتَحْفِزُهُ[٦] إلى السِّعَايَةِ[٧] بِغيرِهِ والضَّرَرِ به فيَهْرَعُ[٨] إلى تَلْبِيَتِها، وَإنْ دَعاهُ دَاعِي العَقْلِ إلى ما يُحْيِيهِ، وأَهَابَ بِهِ[٩] حادِي[١٠] الوِجْدَانِ إلى مَا يُعْلِيهِ، ونَادَاهُ مُنَادِي الشَّهامَةِ إلى مَا يَنْهَضُ بِشَعْبِهِ ويُقَوِّيهِ، تَصَامَّ[١١] عَنِ النِّدَاءِ، أَوْ سَلَكَ طَرِيقَ المِرَاءِ[١٢]، ثُمَّ هوَ بَعْدَ ذَلكَ يَدَّعِي أَنَّهُ إِنْسَانٌ حُرٌّ، وَما الإنْسَانِيَّةُ والحُرِّيَّةُ إلاَّ عامِلاَنِ لِلعُمْرَانِ، ورُكْنَانِ لِلاجْتِماعِ.

أَيَّةُ أُمَّةٍ أَرَادَتْ أَنْ تَكُونَ فِي ذُرْوَةٍ[١٣] مِنَ الحَضَارَةِ[١٤]

---

(١) الضروب : الانواع (٢) النميمة : نقل أحاديث الناس لايقاع المفاسد
(٣) الغيبة : أن تذكر الناس بما يكرهون (٤) اللبوس : مايلبس (٥) الموبقات: المعاصي المهلكات (٦) تحفزه : تسوقه وتدفعه (٧) السعاية : الوشاية (٨) يهرع : يسرع (٩) اهاب به : ناداه وصرخ فيه (١٠) الحادي في الأصل : من يحدو الابل أي يسوقها ويغنى لها لتقوى على السير (١١) تصام: أظهر الصمم أي الطرش وليس فيه (١٢) المراء : الجدال والمنازعة واللجاج (١٣) الذروة : أعلى كل شئ
(١٤) الحضارة : المدنية

سَامِيَةٍ ، ومكَانَةٍ مِنَ السَّعادَةِ عَالِيَةٍ ، فَعلَيْهَا أَنْ تُرَبِّيَ أَفْرَادَهَا على الحُرِّيَّةِ الصَّحِيحَةِ ، وتُغَذِّي أَبْناءَها بِدَرِّهَا[1] الطَّهُورِ الخالِص .

فانْهَضُوا ، أيُّها النَّاشِئُونَ ، إلى الحُرِّيَّةِ الخالِصَةِ الخَالِيَةِ مِنْ شَوَائِبِ[2] المُدَلِّسِينَ[3] ، فإنّها سَبِيلُ النَّجَاحِ ، وهِيَ الحَيَاةُ السَّعِيدَة .

٢٣

أنواع الحرية

إنَّ للحُرِّيَّةِ أنْوَاعاً : مِنها حُرِّيَّةُ الفَرْدِ ، وحُرِّيَّةُ الجَماعَةِ ، والحُرِّيَّةُ الاقْتِصَادِيَّةُ ، والحُرِّيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ ، ولاَ تَقُومُ لِشَعْبٍ قائِمَةٌ إلاَّ بِهَذِهِ الحُرِّيَّاتِ الثلاث

فحُرِّيَّةُ الفَرْدِ ، وقَدْ تُسَمَّى بالحُرِّيَّةِ الشَّخْصِيَّةِ ، أَمْرٌ عَظِيمُ الخَطَرِ[4] ، وعليْهِ تَتَوَقَّفُ حُرِيَّةُ الجَماعَةِ ، لأنَّ الجَماعَةَ تَتَأَلَّفُ

(١) الدر : اللبن (٢) الشوائب : الاخلاط والعيوب ، والادناس (٣) المدلس : من يظهر الشيء على خلاف ماهو عليه ، وأصل التدليس : كتم عيب السلعة عن المشترى (٤) الخطر : الشرف وارتفاع القدر

منَ الأفرادِ، فكما أنّ الجماعةَ تتكوّنُ منَ الأفرادِ، فكذلكَ حرّيتُها لاَ تكونُ إلا بحرّيةِ أفرادِها، فعلى الأمةِ التي تودُّ أنْ تكونَ حرّةً أنْ تسعى لتربيةِ أفرادِها تربيةً حرّةً، ليتكوّنَ منها مجموعٌ حرٌّ.

وحرّيةُ الفردِ تشملُ حرّيةَ القولِ والكتابةِ والطّباعةِ ونشرِ الفكرِ، منْ غيرِ رقيبٍ ولاَ مؤاخذٍ، على شرطِ أنْ لاَ يخلّ ذلكَ بحرّيةِ غيرهِ، فهوَ حرٌّ أنْ يعتقدَ ما يشاءُ، منَ العقائدِ الدّينيةِ والعلميةِ والسّياسيةِ والاجتماعيةِ، ويجاهرَ بذلكَ إلاّ إنْ دعتْ مجاهرتُهُ إلى فصْمِ [1] رابطةٍ منْ روابطِ الاجتماعِ، وأنْ يتصرّفَ بمَا يملكُ منْ نقدٍ [2] وعقارٍ [3] وغيرِهما، إلاّ إنْ أدّى عملُهُ إلى السفهِ [4]، فلهُ حينئذٍ حكمُ المحجورِ عليهِ [5].

وصفوةُ القولِ في حرّيةِ الفردِ أنها أمرٌ ينتهي حيثُ تبتدئُ حرّيةُ سواهُ، والواجبُ على الفردِ أنْ يحافظَ على حرّيةِ غيرهِ، كما يحافظُ على حرّيةِ نفسهِ

(١) الفصم : القطع (٢) النقد : الدرهم والجمع نقود (٣) العقار : بفتح العين : الدار والارض ونحوهما (٤) السفه : خفة العقل والجهل (٥) المحجور عليه : الممنوع من التصرف بما له بسبب السفه والجنون والتبذير .

وحُرِّيَّةُ الجماعةِ أَنْ يكُونَ لها حقُّ الاجتماعِ أَيْنَ شاءَتْ، ومتى شاءَتْ، إلاَّ إنْ كانَتْ مُسلحةً فتمنعُ منْ ذلكَ، لِأَنَّ عملَها هذا رُبَّما أَدَّاها إلى ما يُنافي الحرِّيةَ الصَّحيحةَ، وأنْ يكونَ لها الحقُّ في تأليفِ الجمعيّاتِ على اختلافِ مشارِبِها من علميةٍ وأدبيّةٍ ودينيّةٍ وصناعيّةٍ وخيْريّةٍ وسياسيةٍ، على شرْطِ أَنْ تُطابِقَ أَنْظِمتُها[1] ما يَسُنُّهُ مجلسُ الأُمَّةِ مِنَ القوانينِ الدُّستوريَّةِ، لِذلكَ وجبَ أَنْ يكونَ رجالُ هذا المجلسِ مِمَّنْ عُرِفُوا بالحرِّيةِ والعِلمِ والصِّدقِ وصحّةِ الوجْدانِ والعقلِ والرَّويّةِ، كيْلا يَسنُّوا للأُمَّةِ ما يُقيِّدُ حرِّيتَها، ويُنافي مَصْلحَتَها.

والحرِّيّةُ الاقتِصاديةُ، هيَ حياةُ الأُمةِ المادِّيّةُ، فإنْ لمْ تُطْلَقْ لها حُريةُ التِّجارةِ، والزِّراعةِ، وإنشاءِ المصانعِ، واستِخراجِ المعادِنِ، والانْتِفاعِ بما تُكِنُّهُ[2] الأرْضُ مِنْ موارِدِ الرزْقِ، كانَتْ حياتُها كامْرِئٍ شُدَّ وَثاقُهُ[3]، ووُضِعَ الحبْلُ في عُنقِهِ، وقدْ مسَكَ بطرَفَيْهِ رَجُلانِ ذَوا بأْسٍ شديدٍ فهُما يُهدِّدانِهِ بالخَنْقِ، ويَتوعّدانِهِ بالموْتِ، وهُوَ يترَقَّبُ[4] أَنْ

(١) الانظمة: القوانين (٢) تكنه: تخفيه (٣) الوثاق: بفتح الواو: ما يشد به الاسير من حبل وقيد ونحوهما (٤) يترقب: ينتظر

تَفِيضَ رُوحُهُ مِنْ سَاعَةٍ إِلَى أُخْرَى .

إِنَّ أُورُبَّةَ لَمْ تَقْبِضْ عَلَى نَاصِيَةِ[١] الثَّرْوَةِ ، إِلَّا بَعْدَ أَنْ أَطْلَقَتِ الْحُرِّيَّةَ الاقْتِصَادِيَّةَ مِنْ قُيُودِهَا ، مَعَ مَا أَطْلَقَتْهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْحُرِّيَّةِ ، فَفِي يَدِهَا الْيَوْمَ أَزْوَاحُ الْمَشَارِقَةِ ، فَإِنْ شَاءَتْ قَتْلَهُمْ مَنَعَتْ عَنْهُمْ أَمْوَالَهَا ، وَرَدَّتْ إِلَيْهَا مَا فِي بِلَادِهِمْ مِنْ ذَهَبِهَا .

إِنَّ بِلَادَنَا غَنِيَّةٌ بِتُرْبَتِهَا وَمَعَادِنِهَا ، وَلَكِنَّهَا فَقِيرَةٌ بِرِجَالِهَا .

يَأْتِي الأَجْنَبِيُّ بِلَادَنَا فَيَبْتَاعُ[٢] أَرْضَنَا ، وَيَنْتَفِعُ بِخَيْرَاتِهَا أَوْ يَنَالُ فِيهَا « امْتِيَازًا » فَيَسْتَعْمِرُ مَوَاضِعَ مِنْهَا ، وَيَسْتَخْرِجُ مَا فِي بُطُونِهَا مِنْ أَجِنَّةِ الْمَعَادِنِ[٣] الَّذِي تُدِرُّ عَلَيْهِ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ ، وَنَحْنُ عَنْ ذَلِكَ لَاهُونَ ، وَبِأَهْوَائِنَا[٤] مُشْتَغِلُونَ ، وَإِلَى فَصْمِ عُرَى الْوَحْدَةِ مَائِلُونَ .

وَالْحُرِّيَّةُ السِّيَاسِيَّةُ أَنْ تَكُونَ الأُمَّةُ مُسْتَقِلَّةً اسْتِقْلَالًا

(١) الناصية : مقدم الرأس (٢) يبتاع : يشترى (٣) الاجنة : جمع جنين وهو المستور من كل شيء، ولذلك يسمى الولد مادام فى بطن امه جنيناً (٤) الاهواء جمع هوى وهو ميل النفس الفاسد

تامًّا بكلِّ شأنٍ من شؤونها ، غيرَ مُقيَّدةٍ بسلاسلِ أُمّةٍ غيرِها فهيَ التي تضعُ أنظمتَها التي تلائمُ مزاجَها ، وتُمضي العهودَ معَ مَنْ شاءتْ منَ الأممِ ، وتضربُ الضرائبَ على ما يردُ إليْها من سلعِ الدّيارِ الأجنبيّةِ ، وتبذلُ الوسعَ لتنشيطِ الأعمالِ الزّراعيةِ والاقتصاديةِ ودُورِ الصّناعاتِ الوطنيةِ إلى غيرِ ذلكَ من مميّزاتِ الأممِ المستقلةِ ، ولا تتمُّ هذهِ الحرّيةُ إلاَّ إذا وُفّقتِ الأمةُ إلى تثبيتِ أَرْكانِ الحرّيّاتِ الثلاثِ التي تقدّمَ ذِكْرُها ، فإنْ لمْ تكُنِ الأمةُ كذلكَ كانَ سيرُها نحوَ الرّقيّ بطيئًا ، وأنَّى للظّالعِ [1] أنْ يُدركَ شأوَ [2] الضّليعِ [3] !

يجبُ على الأمةِ ، إنْ أرادتِ الحياةَ ، أنْ تسعَى لبثِّ أنواعِ الحرّيةِ الأربعةِ في نفوسِ أبنائِها ، فإنّ الأمةَ إنْ فقدَتْ حرّيتَها ، التي هيَ قِوامُ حياتِها ، كانتْ أقربَ إلى الانحلالِ والزوالِ ، منها إلى البقاءِ .

فتشدّدْ ، أيُّها النشْءُ الكريمُ ، وتعلّمْ دروسَ الحرّيةِ الصّحيحةِ ، واحذرْ أنْ تظنَّ الحرّيةَ ما يظنُّهُ مَنْ لاَ أخلاقَ لهمْ

(١) الظالع : من يغمز في مشيه لشبه عرج فيه (٢) الشأو : الغاية (٣) الضليع : القوي الشديد الأضلاع . والمعنى لا يصل الضعيف الى مايصل اليه القوي

ثمَّ اسعَ لِنَشرِها في أمتِكَ ، واجهَدْ نفسَكَ في تحريرِ بلادِكَ من رقِّ العاداتِ السَّافِلةِ ، والأخلاقِ الفاسِدَةِ ، واتعَبْ لِتَكسِرَ عنها أغلالَ[1] العبوديةِ التي تنوءُ بها[2] ، فعسى أن تنشطَ من عِقالِها[3] ، وتطرحَ قيودَها ، فتكونَ بذلكَ أمةً حرةً ، تستطيعُ البقاءَ أمامَ تيارِ مدنيةِ الأممِ .

فإنَّ للأممِ آجالاً ، وأجلُ كلِّ أمةٍ يومَ تفقدُ حريتَها .

٢٤

الارادة

ما رأيتُ أحداً جزمَ[4] إرادتَهُ على أمرٍ إلاَّ كانَ ، ولاَ عزَمَ[5] شيئاً إلا وصلَ إليهِ .

ذلِك ، أنَّ الإرادةَ رغبةٌ في الأمرِ ، يتبعُها سعيٌ إليهِ ، وبذلُ جهدٍ لِتحقيقِهِ ، وتهيئةُ الأسبابِ الممكنةِ لايجادِهِ ،

(١) الاغلال : القيود (٢) تنوء بها : تثقلها (٣) تنشط من عقالها : تحل منه . والعقال : حبل يعقل به البعير في وسط ذراعه (٤) جزم الأمر : قطع به قطعاً لا عودة فيه (٥) عزم الشيء وعزم عليه : عقد ضميره على فعله وقطع عليه وأمضاه من دون تردد فيه .

ثمَّ إقدامٌ على عملِهِ ولاَ شكَّ أنّ الأمرَ كائنٌ متى اجتمعَ لهُ كلُّ هذهِ الدّواعِي[1].

وقدْ عبّرتِ الصوفيّةُ عنْ ذلكَ بقولِها « إنّ للهِ عبادًا إذا أرادُوا أرادَ » فكأنّهم جعلُوا إرادةَ اللهِ تابعةً لإرادةِ المريدِ منْ عبادِهِ ، وهمْ لمْ يعنُوا بذلكَ إلاَّ ما شرحناهُ ، فإنّ المسبّباتِ مرْهونةٌ لأسبابِها ، وقدْ جعلَ اللهُ حصولَ المرادَاتِ متوقّفًا على جزْمِ الإرادةِ ، وقدْ وردَ في الحديثِ : « إنّمَا الأعمَالُ بالنّياتِ » ولاَ ريبَ[2] أنّ منْ صدقَ العزيمةَ ، وأحسنَ النّيةَ ، ووجّهَ الإرادةَ ، وأقدمَ على مايرْغبُ فيهِ بقلبٍ مريدٍ ، نالَ ما يتمنّاهُ ، وفازَ بمشتهاهُ ، لأنَّ المسبّبَ ، وهوَ المرادُ ، كائنٌ عندَ وجودِ السّببِ ، وهوَ الإرادةُ .

الإرادةُ تربيةُ النّفسِ على الحزْمِ والإقدامِ على الأعمَالِ الممكنةِ ، حتّى تصيرَ ملكةً[3] منْ ملكاتِها ، وهيَ سعادةٌ لمنْ تخلّقَ بهاماورَاءَهَا سعادةٌ ، فيهَايعملُ الانسانُ ، وبهَا يترقّى ، وبهَا يتركُ مَا ألِفهُ منَ العادَاتِ الضّارّةِ ، والأخلاَقِ الشّائنةِ[4]

(١) الدواعى : الاسباب (٢) لا ريب : لا شك ولا شبهة (٣) ملكة : صفة راسخة (٤) الشائنة : العائبة .

وَبِهَا يكُونُ أَميراً على نفسِهِ ، سُلْطَاناً علي مَلَكَاتِهِ ، وَبِهَا يكُونُ إِنْسَاناً كلَّ الانْسَانِ ، فإِنَّ الانْسانَ الْكاملَ مَنْ لاَ يَصُدُّهُ عنْ مُرَادِهِ المُمْكنِ صادٌّ ، ولاَ تَقِفُ شَهَوَاتُهُ وعَادَاتُهُ عَقَبَةً [١] فِي سَبِيلِ المُرَاد .

إِنَّ الأَنْبِيَاءَ والْفلاَسِفَةَ وعظَمَاءَ الرِّجَالِ لمْ يَسْتَطِيعُوا أَنْ يَبُثُّوا [٢] مَا تَوَخَّوْهُ [٣] منَ المَبَادِئِ والتَّعَالِيمِ ، ولَمْ يَصِلوا إلى مَا أَرَادُوهُ منَ الأَعمَالِ ، التى كُتِبَتْ بالنُّورِ على جَبِينِ الدُّهُورِ إلاّ بالإِرَادَةِ ، الّتى منْ مُقْتَضَيَاتِها الحَزْمُ والثّبَاتُ عَلى العَمَلِ حتى يكُونَ ، ولوْ أَصَابَهمْ فى هذِهِ السَّبِيلُ منَ المَصَائِبِ مَا يَدُكُّ [٤] الجِبَالَ ، وَنَابَهم [٥] منَ النوَائِبِ [٦] مَا يَفُلُّ [٧] الحَدِيدَ .

وإنّ مَا نَرَاهُ منْ فَشَلِ أَعمَالِ كَثِيرٍ منَ الْعامِلِينَ نَاتِجٌ مِنْ إِهْمَالِ تَرْبِيَةِ الإِرَادَةِ فِيهِمْ ، فَهمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الثّبَاتَ على مَا يَقُومُونَ بهِ ، وَيُوَلُّونَ [٨] الأَدْبَارَ عِنْدَ أَوّلِ صَدْمَةٍ تَصْدِمُهُمْ ، وإنما الصبرُ عِنْدَ الصّدْمَةِ الأُولَى.

---

(١) العقبة : المرتقى الصعب (٢) يبثوا : ينشروا (٣) توخوه : قصدوه
(٤) يدك : يهدم (٥) نابهم : أصابهم (٦) النوائب : المصائب (٧) يفل : يكسر
(٨) يولون الادبار : ينهزمون

الارَادَةُ تُوجِبُ الصبرَ ، وَعَـدَمَ الترَدُّدِ فى الأُمُورِ ، واْحتِقارَ الصُّعُوباتِ التى تَعتَورُ[١] المشرُوعَاتِ المُفِيدَةَ ، وذَلِكَ يُوجِبُ النَّجَاحَ فى الأعمَالِ بتّةً[٢]

مَتَى رَسَخَتِ الارَادَةُ فى النفسِ تَحَكَّمَ العَقلُ ، وَسَقَطَ هَوَى النفسِ الأمّارَةِ ، فكَانَ الانسَانُ فى أَعلَى مَرَاتِبِ الكمَالِ ، لأنّ مَلَكَةَ الارَادَةِ تَطبَعُ فى النُّفُوسِ الفَضِيلَةَ ، حَتى تَكُونَ صَالِحَةً مُهَذَّبَةً سَعِيدَةً .

وَمتَى كَثُرَ فِى الأُمةِ عَدَدُ الذِينَ رَسَخَتْ فِيهمْ هـذِهِ المَلَـكةُ ، سَارَتْ فِى العُمْرَانِ وَالتَّرَقِّى وَالمَدَنِيّـةِ أَشوَاطًا[٣] عظِيمَةً ، وَكلُّ أُمةٍ تَنْهارُ[٤] دَعَائِمُ[٥] مَجدِهَا ، وتَتَقَوّضُ[٦] أَرَاكِينُ[٧] عِزِّهَا ، يكُونُ ذَلِكَ منْ قَحْطِ[٨] الرِّجَالِ ، رجَالِ الارَادَةِ ، فِيها .

أَلاَ إنَّ مَنْ ضَعُفَتْ إرَادَتهُ كانَ صَغِيرَ النّفسِ ، وَضِيعَ

(١) تعتور : تأتى مرة بعد أخرى (٢) بتة : قطعاً . بت الامر : أمضاه بلا تردد
(٣) الاشواط : جمع شوط وهو الجرى مرة الى الغاية . والسباق قد يكون بشوط أو أكثر (٤) تنهار : تسقط (٥) الدعائم : جمع دعامة وهى عماد البيت ونحوه
(٦) تتقوض : تتهدم (٧) الاراكين جمع اركان (٨) قحط الرجال : فقدانهم أو قلتهم

الْمَنْزِلَةِ، تَلْعَبُ بِهِ الأَهْوَاءُ [١]، وتَعْبَثُ [٢] بِهِ إِرَادَاتُ الصِّبْيَانِ، بَلْهَ [٣] الرِّجَالَ، فَيَكُونُ كُرَةً تَتَقَاذَفُهَا الأَغْرَاضُ، وهَدَفًا [٤] تُرَاشُ [٥] لَهُ السِّهَامُ، فَإِنْ أَتَاهُ آتٍ بِأَمْرٍ يَحْمِلُهُ عَلَى الاعْتِرَافِ بِأَفْضَلِيَّتِهِ أَجَابَ، ثُمَّ إِنْ جَاءَهُ آخَرُ فَدَعَاهُ إِلَى القَوْلِ بِأَرْذَلِيَّتِهِ لَبَّاهُ، فَهُوَ لَا يَسْتَقِرُّ عَلَى حَالٍ، بَلْ تَتَنَازَعُهُ إِرَادَاتُ الرِّجَالِ، وتَعْتَوِرُهُ دَوَاعِي الأَهْوَاءِ، إِذْ لَيْسَ لَهُ عَامِلٌ مِنْ نَفْسِهِ يَدْفَعُ البَاطِلَ بِالحَقِّ، وَلَا قَلْبٌ ذَكِيٌّ يُفَرِّقُ بَيْنَ الصَّحِيحِ وَالفَاسِدِ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَأَحْرِ [٦] بِهِ أَلَّا يَكُونَ إِنْسَانًا كَامِلًا.

فَعَلَى الأُمَّةِ الَّتِي تَوَدُّ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَعِيشَةً رَاضِيَةً، أَنْ تُرَبِّيَ مَلَكَةَ الإِرَادَةِ فِي نُفُوسِ أَطْفَالِهَا، فَإِنَّ الإِرَادَةَ سَبِيلُ السَّعَادَةِ.

يَا مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ، أَنْتُمْ عِمَادُ الأُمَّةِ، أَنْتُمْ دِعَامَةُ مَجْدِهَا، أَنْتُمْ رِجَالُهَا فِي الآتِي، فَتَعَوَّدُوا أَنْ تَكُونُوا مُرِيدِينَ، وَلَا تَعْبَأُوا بِمَا يَحُولُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ مَا تُرِيدُونَ، خُلُقُ الإِرَادَةِ رَأْسُ

---

(١) الاهواء: الميول الفاسدة ـ وهى جمع هوى (٢) تعبث: تلعب (٣) بله: اسم فعل أمر بمعنى دع واترك (٤) الهدف: ما ينصب ليرمى اليه (٥) تراش: يلزق عليها الريش. وريش السهام: كناية عن التهيؤ للرمي (٦) احر به: اجدر به.

الأخلاق ، وهو عينها المبصرة ، وقلبها المفكر .

جرّدوا الارادة يسهل المراد ، فإنّ لله عبادًا إذا أرادوا أراد

٢٥

الزعامة[1] والرئاسة

قضت السنّة[2] الالهية أن يكون فى كلّ نوع من المخلوقات رئيس ومرؤوس ، وسائس[3] ومسوس[4] ، كيلا تتفرّق الآراء ، وتتشعّب[5] الأهواء ، فيكون من ذلك تشتّت الشمل ، وتوهّن[6] الحبل ، وافتراق الجماعة ، وشقّ عصا الألفة .

وكلّ قوم لا رئيس لهم يرجعون إليه فى المشكلات ،

(١) الزعامة : الرئاسة والشرف (٢) السنة الالهية : النظام الالهى أو الشريعة الألهية التى اختطها الله لعباده (٣) السائس : مدبر امور الدولة والرعية (٤) المسوس : الرعية التى يدبر امورها السائس (٥) تتشعب : تتفرق (٦) التوهن : الضعف ، وتوهن الحبل : كناية عن ضعف القوة .

ويصمُدُونَ[١] لهُ في المعْضِلاَتِ[٢]، يُضحُونَ وَقَدْ رَكِبُوا مُتُونَ[٣] الشَّوَامِسِ[٤]، وَيَبِيتُونَ في لَيْلٍ منَ الحَيْرَةِ دَامِسٍ[٥].

إذَا كانَتِ الرُّوحُ قِوَامَ الجِسْمِ، فالرُّؤَسَاءُ في كلِّ أُمَّةٍ هُمْ رُوحُ اجتماعِهَا، فإِنْ فَسَدُوا فَسَدَتْ، وإنْ صَلَحُوا صَلَحَتْ، لِأَنَّ الأُمةَ لاَ تَقُومُ لهَا قائمةٌ إلاَّ إذا قامَ فِيها زُعماءُ يَنْهَضُونَ بها إنْ عثَرَتْ، ويقوِّمُونَها إنِ اعْوَجَّتْ، ويأْخُذُونَ بيَدِهاَ إنْ سَقَطَتْ، ويُرْشِدُونَها إنْ ضَلَّتْ.

ولاَ يكُونُ الرَّئيسُ رَئِيساً حقًّا، حتّى تتَوَفَّرَ فِيهِ شرُوط الرِّئَاسَةِ منَ العَقْلِ، والعِلْمِ، وصِحَّةِ الوِجْدَانِ، والمُرُوءَةِ، والشَّهامَةِ، وطَهارَةِ السَّرِيرَةِ، وحُسْنِ السِّيرَةِ، والكَرَمِ، والبَذْلِ الجَمِّ في سَبِيلِ إحيَاءِ الأُمةِ ونَشْرِ العِلمِ في رُبُوعِهاَ، فمَنْ نَهَجَ[٦] هذا المَنْهَجَ[٧]، وقامَ بهذِهِ الأَعْبَاءِ[٨]، كانَ عَيْناً من الأَعْيانِ، ورَئِيساً منَ الرُّؤَسَاءِ، وزَعِيماً منَ الزُّعَماءِ، وإلاّ فهُوَ

(١) يصمدون: يلجأون ويقصدون (٢) المعضلات: الامور المشكلة (٣) المتون: الظهور. والمفرد متن (٤) الشوامس: الدواب التي لا تمكن الراكب من ظهرها لسوء خلقها. والمفرد شامس وشامسة. والشموس كالشامس معنى (٥) دامس: شديد الظلمة (٦) نهج: سلك (٧) المنهج: الطريق الواضح (٨) الاعباء: الاحمال الثقيلة.

على الوَجَاهَةِ والرِّئَاسَةِ والزَّعامةِ والشَّرَفِ طُفَيْلِيٌّ[1] دَخِيلٌ .

يَتَهافَتُ[2] كَثيرٌ منْ ضُعَفاءِ العُقُولِ على الرِّئَاسَةِ، ولَيْسَ لهمْ منَ شُرُوطِها حَبَّةُ خَرْدَلٍ، وقَدْ نَسُوا أَنَّ رَئِيسَ القومِ لِسَانُهمُ النَّاطِقُ، وقَلْبُهمُ المُفَكِّرُ، وصَمَدُهُمْ[3] فى الشَّدَائِدِ، وحِصْنُهمْ عِنْدَ النوائِبِ، ومَوْئِلُهُمْ[4] إنْ عَضَّهمُ الدَّهْرُ، وسَنَدُهمْ فى كلِّ جليلٍ منَ الأمْرِ .

كانَ لِلأُمَّةِ عُصُورٌ لمْ يكُنْ يرْأَسُها[5] فيهَا إلّا السَّادَةُ المُخْلِصُونَ، والبَرَرَةُ[6] المُصْلِحُونَ، ثمَّ هَوَتْ بِها كِفةُ المِيزانِ، فرَأَسَهَا الفَسَقةُ الأدْنِياءُ، دُعَاةُ الجَهْلِ والعِصْيَانِ، والطُّغَاةُ السفهاءُ، أَوْلياءُ الشَّيْطَانِ .

أَلَا إنَّ الزمانَ قَدِ اسْتَدَارَ، فَقَدْ تَنَبَّهَتِ الأُمَّةُ مِنْ رَقْدَتِها[7]، واسْتَيْقَظَتْ منْ غفلَتِها، فَهِيَ لَا تَرْضَى أنْ تَبْقَى فِي أَسْرِ مَنْ يَعْمَلُ على هَلاكِها، وَيَرْغَبُ فِي اسْتِعْبادِهَا، ولاَ

---

(١) الطفيلى : من يدخل فى امر لم يدع اليه . وهو نسبة الى طفيل رجل من أهل الكوفة كان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها . ويسمون من يفعل ذلك بالوارش أيضاً، كما يسمون من يدخل على القوم فى شربهم فيشرب معهم من غير أن يدعى بالواغل

(٢) يتهافت : يتساقط . وأصله التساقط شيئاً بعد شىء (٣) الصمد : من يصمد اليه الناس اى يقصدونه بحاجاتهم (٤) الموئل : الملجأ (٥) رأسهم يرأسهم من باب ضرب: صار رئيساً عليهم (٦) البررة : الاخيار (٧) رقدتها : نومها

تقرُّ بالزَّعَامةِ والرِّئاسةِ ، إلاَّ لِلْمُصلِحينَ الصَّالِحينَ ، الذينَ يَرْغبُونَ في الموْتِ لِتَحْيا الأُمةُ ، ويُؤْثِرُونَ[1] المتَاعِبَ حُبًّا في رَاحَتِها ، ويَرْضَوْنَ بالشقَاءِ رَغْبةً في سَعادَتِها .

فتَقَدَّمْ ، أيُّها النَّاشئُ ، إلى العِلمِ الكامِلِ ، وتَمَسَّكْ بالخُلُقِ الفاضِلِ ، وأَقْدِمْ على العَمَلِ الصّالحِ ، مُسترْشِدًا بالعقْلِ الرَّاجحِ ، لِتَكُونَ زَعيمَ[2] قوْمِكَ ، ورَئِيسَ عشيرَتِكَ .

وَإيَّاكَ أَنْ تُحَدِّثَكَ نَفْسُكَ بالزَّعامةِ ، أوْ يَغُرَّكَ رَوْنَقُ الرِّئَاسةِ ، وأَنتَ لَسْتَ لهُا بأهْلٍ ، فتَجلْبَ إلى قَوْمِكَ الوَيْلَ ، وإلى نَفْسِكَ الذُّلَّ .

لاَ يَصْلُحُ القَومُ فَوضَى لاَ سَرَاةَ لهُمْ ولاَ سَرَاةَ إذا جُهَّالُهمْ سادُوا
وَالبيْتُ لاَ يُبْتَنَى إلاّ لهُ عَمَدٌ ولاَ عِمَادَ إذا لمْ تُرْسَ أَوْتَادُ
فإنْ تَجَمَّعَ أَوْتَادٌ وأعمِدَةٌ يوماً فقَدْ بلَغُوا الأمْرَ الذى كادُوا[3]

(١) يؤثرون : يقدمون ويفضلون (٢) الزعيم : سيد القوم ورئيسهم (٣) كادوا : ارادوا . ومنه قوله تعالى: « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » أي أريد اخفاءها . وقول الشاعر : « كادت وكدت وتلك خير ارادة » أي أرادت وأردت . وليست بمعنى قرب لانها ليست هنا من افعال المقاربة .

٢٦
عشاق الزعامة

إذَا كانَتِ الأُمةُ الَّتى لاَ زَعِيمَ لهاَ يُرْشِدُهَا تَسيرُ فى مَهْمَهٍ[١] منَ الْفَوْضَى مُتشَابِهِ الأَعْلاَمِ[٢]، مَخُوفِ المَسَالِكِ، بَعِيدَةٍ أرْجَاؤُهُ[٣]، كأَنَّ لَوْنَ أَرْضِهِ سَماؤُهُ، فإِنَّ الأُمةَ التِي يكْثُرُ عُشَّاقُ الزَّعامَةِ فيهَا، وَيَنْمُو[٤] عدَدُ مُحِبِّي الرِّئَاسةِ فِى مَجْموعِهَا، أَكْثَرُ مِنها فوضَى، وأَشَدُّ حَيْرَةً، وأعْظَمُ وَيْلاً.

حُبُّ الرِّئَاسةِ دَاءُ هذَا الشَّرْقِ الوَبيلُ[٥]، والتَّهافُتُ على الزَّعَامةِ مَرَضُهُ الْمُزْمِنُ[٦]، وما مِنْ زَعيمٍ يَقُومُ فيهِ، إلاّ خَفقَتِ الْغَيْرَةُ فِى قُلوبِ قَوْمِهِ، وَاحْتَدَمَ[٧] الْحَسَدُ فِى نفُوسِهِمْ، فترَاهُمْ يَعمَلُونَ على السِّعَايَةِ[٨] بهِ، ويَبْذُلونَ مَا لدَيْهِمْ منْ قُوَّةٍ لإِسْقَاطِهِ، ويُنَاصبُونَهُ الْعدَاوَةَ[٩]، ويُصَارِحُونَهُ بالأَذَى، فإِنْ

---

(١) المهمه : الفلاة المقفرة المهلكة (٢) الاعلام : الجبال . والمفرد علم (٣) الارجاء الاطراف والنواحى . والمفرد رجاً (٤) ينمو : يزيد (٥) الوبيل : الشديد

(٦) المزمن : الذى مضى عليه الزمان وطال (٧) احتدم : اشتعل (٨) السعاية : الوشاية (٩) يناصبونه العداوة : يظهرونها له . ويقال : ناصبه مناصبة أى قاومه وعاداه

كانَ زَعِيماً حَقّاً فلا يَأْبَهُ لِمُناوَأَتِهِمْ[١]، ولاَ يَعْبأُ بِمُصادَمَتِهِمْ، بَلْ يَثْبُتُ على مَا يُرِيدُهُ لِقَوْمِهِ مِنَ الخيرِ ثَبَاتَ الرِّجَالِ، لاَ يُبالى الأَهْوَالَ، ولاَ يَكْتَرِثُ لِلصُّعُوبَاتِ، ولاَ يَحْفِلُ بالمُخَوِّفَاتِ، وإنْ تَزَعْزَعَ لِأَوَّلِ صَدْمَةٍ، كانَ ضَعِيفَ الإِرَادَةِ، بَلِيدَ النَّفْسِ، وأَحْرِ بِمَنْ كانَ كذَلِكَ أَنْ لاَ يكُونَ رَئِيساً لِلْقَوْمِ.

ما رَأَيْتُ أَحَدًا لمْ تُحَدِّثْهُ نَفْسُهُ بالزَّعامَةِ، وأَهْلُ الزَّعَامَةِ قَلِيلٌ، فَهَلِ الزَّعَامَةُ مَتَاعٌ يُشْرَى! أَوْ ثَوْبٌ مَتَى لَبِسَهُ الانْسَانُ صَارَ زَعِيماً!

إن الزَّعِيمَ هوَ رُوحُ الأُمَّةِ، وهَلْ تَرْضَى أُمَّةٌ أَنْ يكُونَ زَعِيمُهَا هَيَّ بْنَ بَيٍّ[٢]، أَوِ الضَّلاَلَ بْنَ فَهْلَلَ[٣]، أَوِ الجَهْلَ بْنَ الغَبَاوَةِ، أَوِ الفُسُوقَ بْنَ العِصْيَانِ!

كلُّ قوْمٍ رَأَسَهمْ أَوْشَابُهمْ[٤]، وتَحَكَّمَ فِيهِمْ جُهَلاَؤُهمْ، وكانَ زُعَمَاءَهُمْ أَنْذَالُهمْ، كانَ الخَرَابُ عاقِبَتَهمْ، والدَّمَارُ[٥] مُنْتَهَاهُمْ.

---

(١) لا يأبه: لا يلتفت ولا يبالى . والمناوأة: المعاداة (٢) هيّ بن بيّ وهيان بن بيان: كناية عمن لا يعرف ولا يعرف أبوه (٣) فهلل: اسم للباطل، وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل باعتبار أنه على وزن جلبب (٤) الاوشاب: الاخلاط من الناس كالأوباش. والمفرد وشب . ومفرد الاوباش وبش (٥) الدمار: الهلاك والخراب

لَيْسَ الرَّئِيسُ مَنْ يَبْذُلَ المَالَ ، وَيَبُثُّ الرِجَالَ ، لِتَرْغِيبِ النَّاسِ فِي رِئَاسَتِهِ ، وَالْالْتِفَافِ حَوْلَ عَلَمِ زَعَامَتِهِ ، وإنما الرَّئِيس مَنْ كَانَتِ الرِّئَاسَةُ خُلُقاً مِنْ أَخْلاَقِهِ ، وذَلِكَ لاَ يَكُونُ إلاَّ فِي رَجُلٍ مَعْرُوفِ الْفَضِيلَةِ آبِي[1] الرَّذِيلَةِ ، زَكِيِّ الوِجْدَانِ[2] ، ثَابِتِ الْجَنَانِ[3] ، عَالِي الْهِمَّةِ ، نَقِيِّ الذِّمَّةِ ، ذَكِيِّ الْفُؤَادِ[4] ، رَفِيعِ الْعِمَادِ ، تَوَابِيِّ النَّفْسِ ، عِصَامِيِّهَا[5] ، وَاضِحِ الأَخْلاَقِ ، طَاهِرِ الأَعْرَاقِ[6] ، عَالِمٍ بِمَا تَحْتَاجُ إِلَيهِ الأُمَّةُ ، سَاعٍ نَحْوَ مَا يُفِيدُهَا وَيُعْلِي شَأْنَهَا ، وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ سَادَ النَّاسَ وَزَعَمَ عَلَيْهِمْ[7] وَكَانَتْ لَهُ الْكَلِمَةُ النَّافِذَةُ فِيهِمْ ، وَالْمَقَامُ الأَرْفَعُ بَيْنَهُمْ .

عَجِبْتُ وَاللهِ ، وَحُقَّ لِيَ الْعَجَبُ[8] ، لِرَهْطٍ لَيْسُوا فِي الْعِيرِ وَلاَ فِي النَّفِيرِ ، يَسْعَوْنَ السَّعْيَ الْحَثِيثَ[9] ، لِتُقِرَّ الأُمَّةُ لَهُم بِالزَّعَامَةِ ، وَهُمْ أَهْوَنُ عَلَيْهَا مِنْ كُلِّ هَيِّنٍ ، وَلاَ مِيزَةَ لَهُـمْ

---

(١) آبي الرذيلة : ممتنع منها (٢) زكي الوجدان : صالحه وطيبه (٣) الجنان : القلب (٤) ذكي الفؤاد : متوقده وفطينه (٥) العصامى : من يفتخر بعمل نفسه . وعكسه العظامي وهو من يفتخر بآبائه . وهو نسبة الى عصام بن شهبرة الذى قال فيه الشاعر : « نفس عصام سودت عصاما » وفى المثل : « كن عصامياً ولا تكن عظامياً » أى أشرف بنفسك كعصام لا بآبائك الذين صاروا عظاما (٦) الاعراق: الاصول (٧) زعم عليهم : تأمر عليهم وسادهم (٨) حق لى العجب ، بصيغة المجهول : أووجب على (٩) الحثيث : الشديد السريع

تَرْفعُهم إلى المَقام الذي يَسعَوْنَ إليه ، وقد اتَّخذوا الوَقيعَة[1] في أفاضِل الأُمَّة ، وأَكلَ لُحومهم ، وتَلْطيخَ أعراضِهم ، سَبيلاً إلى ما يَقصِدُون إليه ، ليَخلوَ لهم الجوُّ ، فيَكونوا هم الرؤساءَ والزُّعماءَ ، ولَمْ يَدرُوا أنّهم بعَمَلهم هذا يَنكشِفُ عُوارُهم[2] ، وَيَفتضِحُ أَمرُهم ، فتَزدادُ الأُمَّةُ منهم نُفوراً ، وَتوسِعُهم احتِقاراً وَبُغضاً .

وَهُناكَ رَهطٌ مَتى أَخفقَ في سَعْيه ، وَلَمْ يَنَلْ منَ الزَّعامَةِ ما يُريدُ ، قامَ باسْم الدِّينِ ، وهوَ أَجْحَدُ الجاحِدِينَ ، فنَسبَ إلى غيرِه الكُفرَ والإلْحادَ[3] ، والضَّلالَ والفَسادَ ، واتَّخذَ لأَهوائِه الضَّالَّةِ سافِلَ الوَسائلِ ، ليَصدِفَ[4] الأُمَّةَ عنْ ذَلكَ الزَّعيمِ العامِلِ ، ويَصرِفَ وُجوهَها عنهُ إليه ، ويَجعَلَ أمرَها بينَ يَدَيه ، ورُبَّما صَدَّقَهُ بَعضُ السُّذَّجِ[5] منَ العامَّةِ ، لأَنَّهُ يَضرِبُ على وَترِ الدِّين ، وَلكنَّ المَجموعَ لا يَلتَفِتُ إليه ، ولا يُعوِّلُ عليه ، وَلا يَعبأُ بتُرَّهاتِه[6] ، وَلا يَجنَحُ[7] إلى مُفتَرَياته .

---

(١) الوقيعة : السب والشتم (٢) العوار : العيب (٣) الالحاد : العدول عن دين الله والطعن فيه (٤) يصدف : يصرف (٥) السذج : الذين لا خبرة لهم : والمفرد ساذج واصل معناه : مالا نقش فيه ، فكأن التجارب لم تنقش في قلوبهم (٦) الترهات : الاباطيل (٧) لا يجنح : لا يميل .

فأُعيذُكُمْ باللهِ مَعْشَرَ النَّاشِئِينَ ، أَنْ تَتَّخِذُوا لِلزَّعَامَةِ أَمْثَالَ هٰذِهِ الأَسْبَابِ ، فَتَقَطَّعَ بِكُمُ الأَسْبَابُ[1] ، وَتَنْفِرَ مِنْكُمُ الأُمَّةُ ، وَيَبْعُدَ مَا بَيْنَكُمْ وبينَ الفَضِيلَةِ .

إِيَّاكُمْ وَحُبَّ الرِّئَاسَةِ ، إِلاَّ إِذَا أَتَتْكُمْ مُنْقَادَةً تَجُرُّ أَذْيَالَهَا ، بِمَا لَكُمْ عِنْدَ الأُمَّةِ مِنْ جَمِيلِ الصُّنْعِ ، وطَرِيفِ الفَضَائِلِ وَتَالِدِهَا[2] .

وَاحْذَرُوا إِنْ قَامَ فِيكُمْ زَعِيمٌ هُوَ أَهْلٌ لِلزَّعَامَةِ ، وكَانَتْ قُلُوبُكُمْ مُطْمَئِنَّةً إِلَيْهِ ، أَنْ يَغُرَّكُمُ الحَسَدُ ، فَتَنْهَضُوا إِلَى إِسْقَاطِهِ ، وَتَعْمَلُوا على صَرْفِ وُجُوهِ النَّاسِ عَنْهُ ، بَلْ فَسَاعِدُوهُ على مَا قَامَ بِهِ ، وأَعِينُوهُ على مَشْرُوعِهِ ، وكُونُوا لَهُ أَيْدِيًا تُسْعِفُهُ ، وَأَعْضَادًا[3] تَدْعَمُهُ[4] ، فَإِنْ فَعَلْتُمْ ذَلِكَ كُنْتُمْ لِأُمَّتِكُمْ مِنَ المحسنين .

---

(١) الاسباب الاولى : الوسائل . والاسباب الثانية : الصلات والمودات . واصل معنى السبب : الحبل (٢) طريف الفضائل : جديدها . وتالدها : قديمها (٣) الاعضاد : الاعوان . والمفرد عضد (٤) تدعمه : تسنده وتقويه .

٢٧
الصدق والكذب

لَسْتُ أعْنِي بِالصِّدْقِ والْـكَذِبِ فِي هٰذَا المَقَامِ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ لِكُلٍّ وَاحِدٍ ، فإِنَّ هٰذا الأَمْرَ مِنَ الْبَدِيهِيَّاتِ الَّتِي يَعْرِفُهَا الصِّبْيَانُ ، وإِنَّمَا أَعْنِي بِهِمَا صِدْقَ الْفِعْلِ وكَذِبَهُ ، فإِنَّهُمَا نَتِيجَتَانِ لِلْقَوْلِ فِي حَالَيْ صِدْقِهِ وكَذِبِهِ .

لاَ تَقُلْ لِأَحَدٍ : إنكَ صَادِقٌ أَوْ كاذِبٌ حَتَّى تَرَى صِدْقَ عَمَلِهِ أَوْ كَذِبَهُ ، ولاَ تَصِفْ قَوْلاً بِصِدْقٍ أَوْ كَذِبٍ حَتَّى تَرَى أَثَرَهُ ، لأَنَّ الْقَوْلَ تَعْظُمُ قِيمَتُهُ أَوْ تَصْغُرُ بِنَتِيجَتِهِ ، ولاَ يَصْدُقُ الْقَوْلُ حَتَّى يَصْدُقَ الْعَمَلُ .

صِدْقُ الْفِعْلِ نَتِيجَةٌ لاَزِمَةٌ لِأَصْحَابِ الإِرَادَةِ ، الذِينَ لاَ يَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ تَحْقِيقِ مَا يَقُولُونَ حَائِلٌ .

نَرَى كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ — حَتَّى مِمَّنْ لَهُمُ المَنْزِلَةُ الْعَالِيَةُ فِي الأُمَّةِ ، بِسَبَبِ مَا تَقَلَّدُوهُ مِنَ الأَعْمَالِ السَّامِيَةِ — يَقُولُونَ

مالاَ يَفعلونَ ، وإنْ طَالَبْتَهُمْ بإِنجَازِ أثَرِ أقوَالِهمْ ، والوَفَاء بوُعُودِهِمْ ، غاصُوا على انتِحَالِ الأعْذَار ، وَلجأُوا إلَى مَا طُبِعُوا عَلَيْهِ منَ الرِّئَاء والنِّفاقِ ، وأضَاعُوا الأوْقاتَ ، فِى تزويج المَعْذِرَاتِ ، وَماذَلِكَ إلاَّ منْ ضَعفِ الإرَادَةِ فِى نفُوسِهمْ ، وعدَمِ تَعَوُّدِهِمْ صِدْقَ القولِ ، لِيَصْدُقَ الفِعْلُ .

إنْ أجَابَ الانسَانُ بالسَّلْبِ حِينَ يُسألُ تَنْفيذَ أمْرٍ ، فلاَ يَلومُهُ أحَدٌ ، بَلْ يَكُونُ الرَّدُّ خيرًا منْ وَعْدٍ يَتْبَعُهُ المِطالُ[1] والتَّسْويفُ[2] ، وإنما يُلاَمُ أشَدَّ اللَّوْمِ مَنْ قالَ : أفعَلُ ، ثُمَّ نَكَصَ[3] على عَقِبَيْهِ ، ولمْ يَفِ بمَا وَعدَ بِهِ ، وَما إخْلاَفُ الوَعْدِ مِنْ دَأْبِ[4] الرِّجَالِ الكَمَلَةِ ، وَما الكَذِبُ إلاَّ منْ أخْلاَقِ السَّفِلَةِ[5] .

يَجِبُ عَلى المَرْءِ قَبْلَ أنْ يَعِدَ بأمْرٍ أنْ يَتَرَوَّى فيهِ حَتّى يَقتُلَهُ خبْرًا ، فإنْ رَأَى أنَّ فى قُدْرَتِهِ أنْ يَفِيَ بِهِ وَعَدَ ، وَإلاَّ تَوَقَّفَ ، أمَّا مَنْ يَعِدُ قبْلَ التَّفكُّرِ والتأمُّلِ : أفى وُسْعِهِ الوَفاءُ

(١) المطال : المماطلة (٢) التسويف : أن تعد أحداً مرة بعد مرة بقولك : سوف افعل (٣) نكص على عقبيه : رجع (٤) الدأب : العادة (٥) السفلة : بفتح السين وكسر الفاء ، وبكسر السين وسكون الفاء : الاسافل والغوغاء والاوباش .

بمَا وَعَدَ بِهِ أَمْ لاَ ؟ فهوَ رَجلٌ أَحمقُ أَهوَجُ[١] ، وَكَثيراً مَا يَرْمِى الْحُمْقُ بِصاحِبِهِ فِى مَفاوِزَ[٢] مِنَ النّدَمِ بَعيدَةِ الأَرْجاءِ[٣] .

وبَعْدُ : فإِنْ تَعْجَبْ لِأَمْرٍ ، فاعْجَبْ لِقَوْمٍ يَقولونَ وَيَعِدُونَ ، وهمْ قدْ وَطّنوا أنفُسَهم[٤] على عَدَمِ الوَفَاءِ ، وَإِنمَا يَدْعُوهُمْ إلى الْكَذِبِ مَا أُشرِبَتْهُ نفوسُهم منْ فَسادِ التَرْبيةِ ، ومَنِ اعْتادَ أَمْرًا حتى صارَ خُلقًا له صَعُبَتْ إزالتهُ منْ نفسِهِ ، فهوَ يُلازِمُهُ حتى يُدْرَجَ[٥] فى قبرِهِ ، وإنّ المَرْءَ مَتى عُرِفَ بعَدَمِ الوَفاءِ وكَذِبِ الْعَمَلِ ، نفَرَ منْهُ الناسُ حتى أَحصَاوُهُ ، فَلا يَثِقُونَ بهِ إنْ قَالَ ، ولا يَلتَفِتونَ إليهِ إنْ وَعَدَ . بلْ يَرَوْنَهُ كَسَرَابٍ[٦] بِقيعَةٍ[٧] يَحْسَبُهُ الظمْآنُ ماءً[٨] ، حَتى إذا جاءَهُ لم يَجِدْهُ شيئاً .

ما انْتَشَرَتْ هذه الخَصلَةُ الشنْعاءُ فى أُمةٍ إلاّ فُقِدَتِ الثِقَةُ

(١) الاهوج : الطائش الاحمق ، والمؤنث هوجاء . والجمع هوج (٢) المفاوز : الفلوات المهلكة . والمفرد مفازة (٣) الارجاء : الاطراف والنواحى (٤) وطن نفسه على الامر مهدها وذللها ليحملها على اتيانه (٥) يدرج : يدخل (٦) السراب : ماتراه نصف النهار من شدة الحر كانه ماء (٧) القيعة : ارض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال (٨) الظمآن : العطشان

منْ نفُوسِ أَبنائها . وفِقْدانُ الثِّقَةِ فِقْدانُ الحياةِ .

فإيَّاكُمْ ، مَعْشَرَ الناشئينَ ، والكَذِبَ ، فإنَّهُ يُؤَدِّى الى ثَلْمِ [1] تاجِ الشَّرَفِ . واحْذَرُوا الإخْلافَ بالْعَهْدِ ، فإنَّهُ داعيةُ نفُورِ الأُمةِ .

إنْ كنتمْ قادرينَ على الوَفاءِ ، فعِدُوا ، أوْ على الفعلِ ، فقُولوا . وإلاّ فَدَعُوا الوعْدَ والقولَ ، كَيْلاَ تكونوا منَ الكاذبين.

٢٨

الاعتدال

منْ نَشَدَ [2] الفَضيلَةَ فَلْيَطْلُبْها في الاعْتِدَال :

فالاعْتِدَالُ في الفِكرِ والمَذْهَبِ والمَأْكلِ والمَشْرَبِ والمَلْبَسِ والبَذْلِ [3] وكلِّ أمرٍ حِسِّيٍّ أوْ مَعنَوِيٍّ ، هُوَ الفَضيلَةُ .

ومَنْ لَزِمَ قَصْدَ السَّبيلِ [4] كانَتْ عاقِبَةُ أَمْرِهِ السلامَةَ ، وَكِلاَ طَرَفَيْ قَصْدِ الأُمُورِ ذَميم .

---

(١) الثلم : الكسر والشق (٢) نشد الفضيلة : طلبها وبحث عنها ليهتدي اليها
(٣) البذل : العطاء (٤) القصد : استقامة الطريق ، والتوسط فى الامور . وقصد السبيل : الطريق المستقيم الموصل الى الحق والفضيلة

الاعتدال هو التوسط في كل شيء :

الشجاعة فضيلة ، لأنها وسط بين نقيصتي التهور والجبن .

والكرم فضيلة ، لأنه قصد بين رذيلتين : الإسراف والبخل .

وهكذا تجد كل فضيلة من الفضائل في الاعتدال أي التوسط بين رذيلتين .

الذكاء إن زاد أدى الى الخلل في الاعمال ، وحمل على أمور لا تليق بالعاقل ، وإن نقص كان بنقصه البله والغباوة .

والتقوى إن جاوزت حدها كان منها الوسوسة ، التي تؤدي في أكثر الأوقات الى ترك العبادة والعكوف [١] على أعمال الفساق العاصين . لذلك نهت الشرائع السماوية عن الغلو في الدين ، وأمرت باتباع القصد فيه . وقد ورد في الحديث : « إن المنبت [٢] لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى » .

---

(١) العكوف على الشيء : الاقبال عليه ولزومه والمواظبة عليه (٢) المنبت : المنقطع . والمراد به : المنقطع عن رفاقة في السفر ، الذي يحمل دابته على مالا تطيقه من السير رغبة في الاسراع ليصل الى غايته ، فينقطع ظهرها تعباً ، فلا تقدر على مواصلة السير ، فينقطع هو في الطريق ، فيكون حينئذ ما قطع الارض التي يسير فيها ليبلغ

والعلمُ متى اتّسعَتْ دائرتهُ فى الإنسانِ كانت عاقبتهُ الجهلَ . ورُبّما وصلَ مَنْ جاوزَ الحدَّ فى علمهِ الى جهلِ كثيرٍ من حاجاتِ نفسهِ .

فالقاعدةُ الشّاملةُ أنَّ كلَّ شىءٍ جاوزَ حدّهُ انْقلبَ الى ضدِّهِ . وهىَ قاعدةٌ عامّةٌ فى الحيوانِ والنّباتِ والجمادِ والمعقولاتِ والحِسّيّاتِ والاجتماعِ والعُمْرانِ .

فالعاقلُ مَنْ ألزمَ نفسَهُ التّوسُّطَ فى الأُمورِ ، والاعتدالَ فى أحوالهِ المعاشيّةِ والاجتماعيةِ والدِّينيّةِ ، فإنَّ الاعتدالَ هوَ السلامةُ . وما ضرَّ الأُمةَ الاّ تركُ الاعتدالِ .

فاعتَصِمْ[1] أيُّها الناشئُ بالاعتدالِ ، ولاَ تدَعْ لِشَيْطانَىْ طرَفَىِ الأمرِ سبيلاً اليكَ ، فخيرُ الأُمورِ أوْسَطُها ، لأنَّ فيه الفضيلةَ ، والفضيلةُ نُجْعَةُ الرّائدينَ[2] .

ما يقصد اليه ، ولا ابقى ظهر دابته سالماً . فكذلك من يجهد نفسه ويتعبها فى العبادة ويتنطع فيها فلا يلبث ان يملها ويبغضها ، فلاهو بلغ المقصود من ارضاء الله ، ولا أبقى نفسه فى الراحة (١) اعتصم : تمسك (٢) نجعة الرائدين : طلبة الطالبين . والنجعة : فى الاصل : الكلأ والمرعى . والرائد : الرسول يرسله القوم ليرى لهم مكاناً صالحاً لنزولهم ومرعى لمواشيهم .

٢٩

الكرم

المَالُ كالقُوَّةِ خادِمٌ للإنْسَانِ عِنْدَ مَسِيسِ الحَاجَةِ .

إذَا رَأَيتَ أَحدًا وَقَدْ همَّ بِالْبَطْشِ بِكَ ، تَدفعُ عَنْكَ أَذَاهُ بِمَا لَدَيْكَ مِنْ قُوَّةٍ .

وَإِنْ رَأَيْتَهُ وقَدِ اعْتَدَى على أَحَدِ الضُّعفَاءِ ، دَفعَتْكَ الحَمَاسَةُ إلى مُقاوَمَتِهِ ورَدِّ عُدْوَانِهِ عن ذَلكَ الضَّعيفِ ، صَدَقَةً عَنْ قُوَّتِكَ ، وَتَكُونُ حَمَاسَتُكَ أَشَدَّ لَوْ رَأَيْتَ الأَعْدَاءَ مُنْدَفِعَةً لِمُقاتَلَةِ الأُمَّةِ وتخْرِيبِ بِلَادِهَا .

وكَذَا إنْ شَعَرَتْ نَفْسُكَ بِحاجَةٍ إلَى أَمْرٍ منَ الأُمُورِ التِي تَنْتَفِعُ بِهـا ، فإِنّكَ تَدْفَعُ هذِهِ الحَاجَةَ بِدَفْعِ جُزْءٍ مِنْ مَالِكَ تَبذُلُهُ فِي سَبِيلِها .

وإنْ وجَدْتَ بائِساً ، أَوْ ضعيفاً لاحَوْلَ لهُ ولاَ قُوَّةَ ، حرَّكَتْكَ عَاطفةُ المُرُوءَةِ والحَنانِ ، وَبَذَلْتَ مَا تَسْمَحُ بِهِ نَفْسُكَ

لِسَدِّ عَوَزِهِ [١] ، وَدَفْعِ حاجتهِ ، واذا رأَيتَ الأُمةَ كلَّها فى حاجةٍ الى البَذْلِ ، وأنتَ قَادرٌ على إصلاحِ فَاسِدِهَا ولمِّ شَعَثِها [٢] ، كان اندفَاعُكَ الى الإِحسان أَشَدَّ ، وشُعُورُكَ بالحاجةِ الى البَذْلِ أَقْوَى

وكما يَصْدِفُ [٣] الْجُبْنُ الانسانَ عن رَدِّ مَنْ أَرادَ به أَو بغيرِه السُّوءَ ، فيكونُ عُرْضَةً لِلْمُؤْذِينَ ، وَمَرْوَةً [٤] لِلْقَارِعِينَ ، فكَذَلِكَ الْبُخْلُ يَصْرِفُهُ عَنِ البَذْلِ فِيما يَحتاجُ إِلَيْهِ مِنَ الحَاجَاتِ حتّى الضّرُورِيّةِ مِنْها ، وَمَنْ جَبُنَ عَنْ دَفْعِ الأَذَى عَنْ نفسِهِ ، وَبَخِلَ بِمَا يَسُدُّ بِهِ ثُغُورَ [٥] حَاجَاتِهِ ، فَأَجْدِرْ بِهِ أَنْ يَجْبُنَ فِى مَأْزِقِ [٦] الدِّفَاعِ عَنْ غيرِهِ ، وَيَبْخَلَ وَلوْ بِقَلِيلٍ منَ المَالِ يَنْفَعُ بِهِ سِوَاهُ .

وكما يُضَيِّعُ التَّهَوُّرُ فِى أَكْثَرِ الأَحْيانِ حَيَاةَ مَنْ عَشِقُوا الإِقْدَامَ على المَخُوفَاتِ مِنْ غيرِ تَرَوٍّ ولاَ تَفَكُّرٍ ، فلاَ يَنْفَعُونَ بإِقْدَامِهِمْ ولاَ يَنْتَفِعُونَ ، فكَذلِكَ الإِسْرَافُ وتَبْذِيرُ الأَمْوَالِ

(١) العوز : الضيق والحاجة (٢) لم الشعث : جمع المتفرق (٣) يصدف : يصرف
(٤) المروة : واحدة المرو وهى حجارة بيض رقاق براقة صلبة تقدح منها النار ، وتعرف بالصوان . ويقال قرع الدهر مروة فلان أى انزل به البلاء (٥) الثغور : الشقوق وهى جمع ثغر ، والثغر فى الاصل : الشق بين الجبلين ، وموضع المخافة من البلد يخاف هجوم العدو منه (٦) المأزق : موضع الحرب ، والمضيق.

فيما لا يفيد، يكون داعيا لضياعها، وأن يبيت صاحبها بعدها حزينا آسفا.

وكل ذلك من نتائج عدم الاعتدال، فلنلزم الاعتدال.

صاحب المال يتلف ماله الإسراف والإنفاق على ما لا خير فيه لنفسه ولا لأمته، فيصبح بعد حين في عداد الأوفاض[1] خالي الوفاض[2]، صفر اليدين[3]، فارغ الكفين.

والشح[4] يسوقه إلى النصب[5] في كسب الذهب، ثم يحول دونه ودون أن يحيا حياة السعداء، وما المال إلا وسيلة للعيش الرغد[6]، وسبب لتخفيف الفاقة[7] عن الفقراء، ومداواة آلام البائسين.

كما لا خير في قوة بلا شجاعة، لأن صاحبها يكون جبانا أو متهورا، فلا خير في مال بلا كرم لأن صاحبه يكون بخيلا أو مسرفا.

إن كان في الإسراف إتلاف الأموال، ففي البخل بها

(١) الاوفاض : الفقراء الذين لا مال لهم (٢) الوفاض : جمع وفضة وهى خريطة يحمل فيها الراعى اداته وزاده (٣) صفر اليدين : فارغهما (٤) الشح : البخل مع حرص (٥) النصب : التعب (٦) الرغد بفتح الراء وسكون الغين وبفتحهما : الواسع الطيب (٧) الفاقة : الفقر والحاجة

إرْهَاقُ النفْسِ عُسْرًا[١] ، فالوَيْلُ فِي كِلْتَا الحَالَتَيْنِ نازِلٌ بِمَنْ تَخلَّقَ بِهِمَا ، فَالاعْتِدَالُ ، وهُوَ الكَرَمُ ، دَاعِيَةُ السَّعَادَةِ بِالمَالِ ، قالَ تعالى: «ولاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلولَةً[٢] إِلَى عُنُقِكَ ولاَ تَبْسُطْهَا كلَّ الْبَسْطِ ، فَتَقْعُدَ مَلوماً مَحْسُوراً» .

فَلزُومُ الْقَصْدِ[٣] ، واتِّبَاعُ وَسَطِ الأَمْرِ ، هُوَ المُنْجِي مِنَ الْوَيْلاَتِ[٤] ، فَلْيُنْفِقِ الإِنْسَانُ على نَفْسِهِ وعِيَالِهِ وَالمحْتَاجِينَ مِنَ النَّاسِ وعلى المَشْرُوعاتِ النَّافِعَةِ ما لَيْسَ إِسْرَافاً ولا بُخْلاً .

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الكَرَمَ يُقَدَّرُ بِقَدْرِ الثرْوَةِ ، فَرُبَّ كَرَمٍ يُعَدُّ بُخْلاً في جَانِبٍ آخَرَ ، والْعَكْسُ بالْعَكْسِ .

وبَعْدُ : فإِنَّ في الأُمَّةِ قَوْماً ، أَصْلَحَهُمُ اللهُ ، حَسِبُوا الْبُخْلَ سَبَبَ الخُلودِ في الدُّنْيا ، فَلَوْ طَلَبْتَ مِنهُمْ أَنْ يَقُومُوا بِسَدِّ عَوَزِ بَعْضِ الْفُقَرَاءِ ، وإعَانَةِ بعْضِ المشْرُوعَاتِ الحَيَوِيَّةِ ، لَظَنُّوا أَنَّكَ تَدْعُوهُمْ إلى إِشْرَاعِ الرِّمَاحِ[٥] ، وبَذْلِ الأَرْوَاحِ ، في سَاحَةِ الكِفَاحِ[٦] ، فَمِنهُمْ مَنْ يَبْخَلُ على نَفْسِهِ وعلى غيرِهِ ، وهوَ شرٌّ

---

(١) ارهقه عسراً : كلفه اياه . والارهاق : تكليف مالا يستطاع ولا يطاق
(٢) مغلولة : مشدودة في الغل وهو القيد وغل اليد الى العنق كناية عن البخل
(٣) القصد : التوسط فى الامور (٤) الويلات : المصائب (٥) اشراع الرماح : رفعها وتسديدها الى وجه العدو (٦) الكفاح : الحرب مواجهة

الفَرِيقَيْن ، وَمِنهم مَنْ يَبْخَلُ على غيرِه ويَجُودُ على نَفْسِه ، فهوَ مِنَ الأَنانِيِّينَ[١] الذينَ ضَعُفَ شعُورُهُمْ ، ومَرِضَ وِجْدانُهم فهمْ يَرَوْنَ الحياةَ في موْتِ الأُمَّةِ ، والسَّعادَةَ في شَقائِها .

وَهُنالِكَ قوْمٌ مُبَذِّرُونَ مُسْرِفُونَ ، إنْ رَأَوْا مُنْكَرًا أَقْبلوا عليهِ ، أوْ سَمِعُوا بِسفَاهةٍ طَارُوا إليْها ، وَبذَلوا في تِلْكَ السبيلِ القَناطيرَ المُقَنْطَرَةَ منَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ ، وَإنْ دُعُوا لِلْبَذْلِ في سَبيلِ الخَيرِ عَمُوا[٢] وَصَمُّوا[٣] ، وأُولئِكَ هُمْ شَرُّ الثَّلاثَةِ ، وأُولئِكَ هُمُ العَادُونَ[٤] .

فابْتَعِدْ ، أَيُّها النَّشْءُ الصَّالِحُ ، عَنْ هؤُلاءِ وَأُولئِكَ ، وَالْزَمْ سبيلَ الكِرَامِ ، فَهِيَ السبيلُ الوَاضِحَةُ ، وَالمَنْهَجُ الأَسَدُّ[٥] ، فإِنَّ الكَرَمَ هوَ الاعتِدَالُ ، وَهُوَ مَحطُّ الرِّحالِ[٦] ، وَمَجْلَى الآمالِ ، وَمَيْدَانُ الرِّجَالِ .

فَبِهِ تمَسَّكْ ، وَإلى حِصْنِهِ الْتَجِئْ ، تَكُنْ أُمَّتُكَ سَعيدَةً بِكَ .

---

(١) الانانى : من لا يرى غير نفسه ، فهو يقول : أنا أنا (٢) عموا : صاروا عميانا (٣) صموا : طرشوا (٤) العادون : الظالمون ، والاعداء . والمفرد عاد ويجمع أيضاً على عداة (٥) المنهج : الطريق الواضح . والاسد الاكثر سداداً أي استقامة (٦) الرحال : جمع رحل وهو ما يوضع على الجمل . وفلان محط الرحال أي مقصود بالحاجات .

٣٠
السعادة

مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فى تفسيرِ أَمْرٍ اخْتِلافَهمْ فِى تَفْسِيرِ السَّعَادَةِ .

ذَلِكَ لأَنَّها منَ الأشْياء النِّسْبِيَّةِ ، والأُمُورِ الإِضَافِيَّةِ ، فَهِى لَيْسَتْ منَ الخيرِ المُجْمَعِ عليْهِ ، وإِنما هِىَ خَيرٌ بالإِضَافَةِ إِلَى شَخْصٍ رَآهَا كَذَلِك .

قدْ يَسْتَحسِنُ زَيْدٌ أمْرًا ويَعُدُّهُ سَعادَةً ، ويَحْسَبُ الوَاصِلَ إِليْهِ سَعِيدًا ، وَيَرَى عَمْرٌو الأمْرَ نَفْسَهُ فيَعُدُّهُ شقاءً ، ويَظُنُّ المُؤْتَمَرَ بِهِ[١] شَقِيًّا .

فالسَّعادَةُ ، كالجَمالِ ، قدْ تبايَنَتْ[٢] فِيهَا الفُهومُ ، واخْتَلَفَتْ فى تَفْسِيرِهَا المُيُولُ ، ومَرْجعُ الأَمْرِ إلى الذَّوْقِ ، وَتَضَارُبُ المَنازِعِ إِنمَا هوَ مِنْ تَبايُنِ الأَذْواقِ .

فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَرَى السَّعادَةَ فِى التَّبَسُّطِ[٣] فى المَآكلِ

(١) ائتمر الامر : امتثله . والمؤتمر : الممتثل (٢) تباينت : اختلفت (٣) التبسط: التوسع .

والمَشْرَبِ واللهْوِ والمَلْبَسِ وتَمْضِيَةِ الوَقْتِ فِي المَنازِهِ[١] والملاَهِي ومِنْهمْ مَنْ يَرَاهَا فِي كَسْبِ المَالِ وحبْسِهِ فِي الصَّنادِيقِ ، ومِنهمْ مَنْ يَعُدُّها فِي المُطالَعَةِ والمُدَارَسَةِ والغَوْصِ على دُرَرِ العُلومِ ، والبَحثِ عَنْ مَكْنُونَاتِ الآدابِ ، ومِنهمْ مَنْ يَحْسَبُ أَنَّهَا التَّخلِّي عَنْ هذا العالَمِ الفانِي ، والزُّهْدُ فِيما تحْوِيهِ هذِهِ البَسِيطَةُ مِنْ مَتَاعِها ، ومِنهمْ مَنْ يَرَاهَا في التَّسلُّطِ والأَثَرَةِ[٢] وَتَذْلِيلِ النَّاسِ لِيكُونوا عَبِيدَ أَهْوَائِهِ ، وَأَرِقَّاءَ[٣] شَهوَاتِهِ ، إلى غيرِ ذَلِكَ مِنَ المَنازِعِ والمَشَارِبِ .

والسَّعِيدُ مَنْ نَظَرَ بِعَيْنِ العَقْلِ ، واخْتَطَّ لِنفسِهِ خُطَّةً وَسَطاً يَسْلُكُها ، فالاعْتِدَالُ فِي الأَمْرِ دَاعِيَةُ السَّعادَةِ فيهِ .

التَّوَسُّطُ فِي المَآكِلِ والمَشْرَبِ سَبَبٌ لِحِفْظِ الصِّحَّةِ مِنْ طَوَارِئِ الأمْرَاضِ والأَخْلاطِ الفاسِدَةِ .

والاعْتِدَالُ فِي التَّنَزُّهِ وَاللَّهْوِ دَاعِيَةُ سُرُورِ النَّفْسِ ونَشَاطِ الجِسْمِ ، وَفِي عَدَمِهِما انْقِبَاضُها ، وَفِي الزِّيادَةِ مِنْهُما تَعْوِيدُها

(١) المنازه : جمع متنزه ، وهو المكان الذى تروح فيه النفوس كالجنان ونحوها . وهو جمع بحذف الزوائد . وقول الناس منتزه ، بتقديم النون على التاء ، خطأ
(٢) الاثرة : الاستئثار وهو الاستبداد بالمنفعة (٣) الارقاء : العبيد .

الْكَسَلَ والخُمُولَ ، والمَيْلَ إلى المَفَاسِدِ

والاقْتِصَادُ فِي كَسْبِ المَالِ وَبَذْلِهِ يَهْدِي إلى وُجُوهِ الخَيرِ فِي مَكْسَبِهِ ، وعدَمِ الشَّرَهِ[1] فِي جَمْعِهِ مِنْ حِلِّهِ وغَيرِ حِلِّهِ ، ويُرْشِدُهُ إلى طُرُقِ الإنْفَاقِ السَّدِيدَةِ ، فلا يَكُونُ بَخِيلاً ولا مُسْرِفاً ، بلْ يَعِيشُ عِيشَةَ السَّعَادَةِ والرَّفاهِ[2]

والقَصْدُ[3] فِي العُكُوفِ على الدَّرْسِ والمُطالَعَةِ يَدْعُو إلى تَرْوِيحِ النَّفْسِ ، ويَطْرُدُ عنها المَلَلِ والسَّآمَةَ .

وَالأَخْذُ بِحَظِّ الدُّنْيا والدِّينِ ، والتَّمَسُّكُ بِمَا يُرَبِّي الجِسْمَ ويُنَعِّمُهُ ، ويُهَذِّبُ العَقْلَ ويُقَوِّمُهُ ، سَبَبٌ لِنَيْلِ السَّعَادَتَينِ فِي الحَيَاتَينِ .

وَحَمْلُ النَّفْسِ على التَّرَفُّعِ عَنِ الصَّغَارِ[4] والتَّنَزُّهِ عن الكِبْرِيَاءِ ، هوَ الإباءُ[5] المَحْمُودُ ، وهوَ شَرَفٌ لِلنَّفْسِ عَظِيمٌ لِأَنَّهُ يَرْبأُ[6] بالنَّفْسِ أَنْ تَسْتَكِينَ[7] لِلضَّيْمِ[8] ، وَيَعْصِمُهَا[9] أَنْ تَعْمَدَ إلى احْتِقَارِ النَّاسِ ، أَوْ تَمِيلَ إلى تَذْلِيلِهِمْ ،

(١) الشره : اشتدادالحرص . يقال شره على الطعام وشره اليه (٢) الرفاه والرفاهية : لين العيش وسعته ورغده (٣) القصد : التزام التوسط (٤) الصغار : الذل والضيم (٥) الاباء : خلق يمنع الانسان مما يعيبه (٦) يربأ بالنفس : يرفعها (٧) تستكين : تذل وتخضع (٨) الضيم : القهر والظلم والذل (٩) يعصمها : يمنعها .

أَوْ تَجْنَحَ[1] إِلَى الاسْتِئْثَارِ بِالْمَرَافِقِ[2] وَالْمَنَافِعِ .

وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ مَجْمُوعِ هٰذِهِ التَّوَسُّطَاتِ ، وَغَيْرُهَا مَقِيسٌ عَلَيْهَا ، سَعَادَةٌ لِلْمُتَخَلِّقِ بِهَا تَجْعَلُ حَيَاتَهُ فِي هَنَاءٍ ، وَعِيشَهُ فِي رَغَدٍ[3] .

فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا فِي نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ وَصَحْبِهِ وَكُلِّ عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِهِ ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَتَطَلَّبَ السَّعَادَةَ فِي قَصْدِ السَّبِيلِ ، وَلْيَجْعَلْ دَلِيلَهُ إِلَى ذَلِكَ الْعَقْلَ وَالْوِجْدَانَ ، فَهُمَا خَيْرُ دَلِيلٍ .

إِنَّ طَرِيقَ السَّعَادَةِ ، أَيُّهَا النَّاشِئُ الْكَرِيمُ ، أَمَامَكَ فَاطْلُبْهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْأَخْلَاقِ الْفَاضِلَةِ ، وَكُنْ فِي كُلِّ أَمْرِكَ وَسَطًا ، تَكُنْ سَعِيدًا .

---

(١) تجنح : تميل (٢) المرافق : المنافع والمصالح . والمفرد مرفق وهو ما ارتفقت به أى انتفعت (٣) الرغد : السعة

٣١

القيام بالواجب

لَوْ قَامَ النَّاسُ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِمْ لَكَانُوا، وَهُمْ فى الأَرْضِ، فى جَنَّةِ الْخُلْدِ.

على المَرْءِ أَنْ يَعْرِفَ بادِئَ بَدْءٍ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ مَعْرِفَةً صَحِيحَةً، ثُمَّ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ حَقَّ الْقِيَامِ.

مَعْرِفَةُ الوَاجِبِ شَىْءٌ عَظِيمٌ، وَالقِيَامُ بِهِ أَمْرٌ أَعْظَمُ.

إِنْ كَانَ هُنَاكَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لاَ يَعْرِفُ الْوَاجِبَ، فَإِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَعْرِفُهُ ولاَ يَرْعَى[1] لَهُ عهدًا، وَمَلاَمَةُ مَنْ يَعْرِفُ الحَقَّ فَيَحِيدُ عَنْهُ أَشَدُّ من مَلاَمَةِ مَنْ يَحِيدُ عَنْهُ لأَنَّهُ يَجْهَلُهُ.

عَجِبْتُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ: كَيْفَ يُرِيدُ مِنْ غَيْرِهِ أَنْ يَقُومَ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهِ نَحْوَهُ، ثُمَّ هُوَ يُهْمِلُ أَشَدَّ الإِهْمَالِ مَا وَجَبَ عَلَيْهِ نَحْوَ غَيْرِهِ.

---

(١) لا يرعى: لا يحفظ

مَنْشَأُ إهمَالِ الْوَاجِبِ أَحدُ شيئَين : الأَثَرَةِ [1] وَضَعفِ الإرَادَةِ .

فالأَثَرَةُ تدفعهُ إلى احتِقارِ غيرهِ ، والاستبدادِ بالمَرَافقِ [2] دُونَهُ ، فيقتُلُ بذلِكَ الوَاجِب عليهِ نحوَ الأَفرَادِ والجماعاتِ ، منَ القِيَامِ بخِدمَتِها ، والسَّعْيِ ورَاءَ منَافِعِها ، كما تخْدِمهُ وتَسعَى لمَنفعتِهِ .

وضَعفُ الإرَادَةِ يَحُولُ [3] بينَهُ وبَينَ أَنْ يقُومَ بمَا وَجَبَ علَيْهِ ، فإِنْ خَطَرَ له أَنْ يَعمَلَ حالَتْ ترْبيتُهُ الفاسِدَةُ دُونَ القِيَامِ بالْوَاجِبِ .

القِيَامُ بالْوَاجِبِ منَ المَنافِعِ المشْتَرَكِ فيهَا ، التَّى يَعُودُ نَفعُهَا على القَائمِ بِهَا كما يَعُودُ على غيرِهِ ، لِأَنَّكَ إنْ عَمِلْتَ ما وَجَبَ عليكَ نَحْوَ امْرِئٍ منَ النَّاسِ فإِنَّهُ يَبْذُلُ جُهْدَهُ لِيُقَابِلكَ بِمثْلِ عملِكَ ، وَالقيَامِ بِمَا وجَبَ عليْهِ نحْوَكَ ، وَإنْ قُمْتَ بالواجِبِ نحْوَ الأُمَّةِ ، وَدعَوْتَ غيرَكَ للْقِيَامِ بهِ نحْوَهَا ، سُعِدَتْ . وكانَتْ سَعَادَتُهاسعَادَةَ أَفرَادِها ، التَّى أَنْتَ وَاحِدٌ مِنْها

(١) الأثرة : الاستبداد بالمنفعة (٢) المرافق : المنافع (٣) يحول : يعترض ويمنع .

قُمْ بالواجبِ نَحْوَ والِديْكَ ، يَقوما بِواجبِهما نحوكَ ، وبذلِك تنالُ ما تتمنَّاهُ منَ السَّعادَةِ

وَقُمْ بالواجِبِ نَحْوَ إخوَتِكَ ، تكُنْ مَحْبُوباً عِنْدَهم ، مُكَرَّماً لَدَيْهم

وَقُمْ بالواجِبِ نحْوَ أَساتِذَتِكَ : بأنْ تكونَ متخلِّقاً بالأخْلاَقِ الْفاضِلَةِ ، مُكِبًّا على الدَّرْسِ ، باذِلاً الْجهْدَ في إيفاءِ الواجِباتِ المَدْرَسيَّةِ ، تكُنْ أَحَبَّ إليْهم منْ أَوْلادِهِمْ

وَقمْ بالواجبِ نحْوَ أَصْدِقائِكَ : بأنْ تكُونَ لهمْ عوْناً في الضَّرَّاءِ[١] ، وَأنيساً في السَّرَّاءِ[٢] ، وأَنْ تَمُوتَ لِموْتِهِمْ ، وتَحْيَا لِحيَاتِهِمْ ، وَأَنْ تأْخُذَ بأيْدِيهم إنْ عثَرُوا[٣] ، وَتُساعِدَهم إنْ أَمْلَقُوا[٤] ، يَكُونوا لكَ أَعْوَاناً في الشَّدائِد، وَأَعْضاداً[٥] في النَّوازِلِ[٦]

وَقمْ بالواجبِ نَحْوَ أَهْلِكَ بأَنْ تُوَاسِيَ فُقَرَاءهم[٧] ، وَتَدْفعَ الحاجَةَ عنْ مَحاوِيجِهِمْ[٨] ، يَفْدُوكَ بأرْواحِهِمْ ، وَيَبْذُلوا ما عزَّ وَهَانَ لِرَفْعِ شأْنِكَ ، وَإعْلاءِ مَنْزِلَتِكَ

(١) الضراء : الشدة (٢) السراء : الرخاء (٣) عثروا : سقطوا وزلوا (٤) أملقوا : افتقروا (٥) الاعضاد : الاعوان (٦) النوازل : المصائب (٧) تواسى فقراءهم : تعطف عليهم وتشركهم فيما أنعم الله به عليك (٨) المحاويج : جمع محتاج .

وَقُمْ بالواجبِ نحوَ أَوْلادِكَ : بأنْ تُرَبِّيَهمْ تَرْبيةً حَسَنةً وَتُخلِّقَهمْ بالأخلاقِ التى تجعلُهمْ فى درجاتِ الرِّجالِ ، يَقُومُوا بواجبِكَ ، وَيَرْفعُوا مِنْ مَقامِكَ ، وَيكونوا لَكَ خدَماً فى شَيْخُوخَتِك ، يومَ لاتجدُ مَنْ يَخدِمُكَ سِوى بِضاعِك[1] المهذّبينَ ، الذينَ قمتَ بواجبِهم فى زَمَنِ نَشأتِهمْ

وَقُمْ بالْوَاجِبِ نحوَ زَوْجِكَ بأنْ تُعامِلَها ، كما أَمرَتْكَ الشَّرِيعةُ ، بالإيناسِ والبشاشةِ واللِّينِ ، وأَنْ تأْتيهَا بمَا تحتَاجُ إليْهِ بلاَ إسْرَافٍ ولاَ تقتيرٍ[2] ، وأَنْ تُهذِّبَ أَخلاقَها ، وتُعلِّمَها ماوَجَبَ عليْها ، تكُنْ لكَ أَطْوَعَ منْ يَمِينِكَ ، وتَقمْ بالْوَاجِبِ عليْها نحْوَكَ ، وتَعِشْ شَرِيكَةً لكَ فى السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ .

وَقمْ بالْوَاجِبِ نحْوَ تِجارَتِكَ وَصِناعَتِكَ وسائِرِ عَمَلِكَ : بأنْ لاَ تَكُونَ غاشًّا ، ولاَ خادِعًا ، ولاَ مُرَوِّجاً لِفَاسِدٍ ، وَلاَ مُحَبِّذاً لِعُوَارٍ[3] ، ولاَ مادِحاً لمَعِيبٍ ، تَرَ أَفئِدَةَ النَّاسِ تَهْوِى إليْكَ ، ويُقْبِلُ القَوْمُ على مَا لَدَيْكَ منْ تِجارَةٍ أوْ صِناعَةٍ أوْ عَمَلٍ ، لأنَّ الثِّقَةَ أَمرٌ عظيمٌ ، ولاَ يُوجِدُهَا إلاَّ القِيامُ بالْوَاجِبُ .

---

(١) البضاع : الاولاد . والمفرد بضعة بفتح الباء وقد تكسر . وهى فى الاصل : القطعة من اللحم . وسمي الولد بضعة لانه قطعة من أبيه (٢) التقتير : التضييق (٣) العوار بتثليث الاول : العيب ، والخرق فى الثوب ، والعيب فى السلعة .

عَلى الْحُكُومَةِ أَنْ تَقُومَ بِوَاجِبِهَا نَحْوَ الشَّعْبِ : بِأَنْ تحترِمَ لُغَتَهُ ، وَآدَابَهُ ، وعادَاتِهِ ، وَمُمَيِّزَاتِهِ ، وحُقُوقَهُ الأَدَبِيَّة وَالقَانُونِيَّةَ ، وسَائِرَ مَا هُوَ حَقٌّ لَهُ ، فإِنْ فَعلَتْ ذَلِكَ انْدَفعَتِ الأُمَّةُ لِنُصْرَةِ الْحُكُومَةِ وَشَدِّ أَزْرِهَا[1] وأَقدَمَتْ عَلى القِيَامِ بِمَا وَجَبَ عَلَيْهَا نَحْوَهَا .

وَقِيامُ الْحُكُومَةِ والأُمَّةِ كِلْتَيْهِمَا بِمَا يَجِبُ عليْهِ نَحْوَ الآخَرِ ، هوَ السَّعادةُ ، الَّتِي مَا وَرَاءَهَا سَعَادَةٌ فِي هذِهِ الْحَيَاةِ .

فَعلَيْكَ ، أَيُّهَا النَّاشِئُ ، بِالْقِيَامِ بِالوَاجِبِ ، فَإِنَّهُ رُوحُ الْوُجُودِ ، وسِرُّ الْعُمْرَانِ ورَأْسُ الأَخلاقِ .

أَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ ، يُنْصِفُوكَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ .

وَقمْ بِالوَاجِبِ عَلَيْكَ نَحوَ غيرِكَ ، يَقُمْ بِالوَاجِبِ عليْهِ نَحوَكَ .

---

(١) شد الازر : كناية عن التقوية . والازر الظهر والقوة .

٣٢

الثقة[1]

لَوْلاَ الثِّقَةُ لَعاشَ النَّاسُ دَهْرَهُمْ فِي الْقَلَقِ والخَوْفِ .

وَفَقْدُ الثِّقَةِ فِقْدَانُ الْحَياةِ السَّعِيدةِ .

فَهِيَ رُوحُ الأَعمَالِ ، ورَيْحانَةُ[2] الآمالِ .

إنْ ضَعفَتِ الثِّقَةُ فِي النُّفُوسِ كانَ الإنْسَانُ نحوَ الإنْسَانِ وَحْشاً ضَارِياً[3] ، يَتَنكَّرُ لِرُؤْيَتِهِ ، ويَتَحَفَّزُ[4] لِمُقاوَمَتِهِ ، وَلاَ يأْتَمِنُهُ على مَالٍ ، ولاَ يَرْكَنُ إليهِ فِي حَالٍ .

التِّجَارَةُ مَدَارُ الْحَرَكَةِ الاْقْتِصَادِيَّةِ ، وهِيَ مَبْنِيَّةٌ على تَبَادُلِ الثِّقَةِ ، ولوْلاَهَا لَكَسَدَتِ الأَمْوَالُ ، وَوَقَفَ دُولاَبُ الأَعمَالِ ، فكانَ مِنْ ذَلِكَ شقَاءُ الْحياةِ ، وَضِيقُ دَائِرَةِ الرَّجَاءِ[5]

وأَيُّ عاقِلٍ يُقْدِمُ على تَسْلِيمِ أَمْوَالِهِ إِلَى مَنْ لاَ ثِقَةَ لَهُ بِهِ ! إِنَّ هٰذا لَضَرْبٌ[6] مِنَ الْجُنُونِ عَظِيمٌ .

---

(١) الثقة : الائتمان . وثق به يثق : ائتمنه (٢) الريحانة : واحدة الريحان وهو نبت طيب الرائحة (٣) ضارياً : مفترساً (٤) يتحفز : يتهيأ للوثوب (٥) الرجاء : الامل (٦) الضرب : النوع وجمعه ضروب .

وكما أنَّ الثقةَ في الأُمورِ المادّيّةِ داعيةٌ انحلالِها وفسادِها فكذلكَ في الأُمورِ المعنويّةِ .

إذا صادقتَ إنساناً فوجدتَ أنْ لاثقةَ لكَ بصداقتِه، لأنهُ يبيعكَ بأكلةٍ أوْ ما هوَ أحقرُ منها ، أوْ يأكلُ لحمكَ [١] معَ منْ يراهُ يأكلهُ ، أوْ لا يدفعُ عنكَ بظهرِ الغيبِ ما يوجَّهُ إليكَ منَ السوءِ ، بلْ يجبُنُ عنِ القيامِ بنصرتكَ ، أوْ يبذلُ الجهدَ في استنباطِ الحيلِ ليختلسَ أموالكَ ، أوْ ليطّلعَ على أسرارِكَ ، ثمَّ يفشيها بينَ النّاسِ ، فإنّكَ لا تقيمُ على صداقتِه، ولا تركَنُ لخُلّبِ صحبتِه [٢] ، وإنْ بقيتَ محكِماً حبلَ المودّةِ فأنتَ غِرٌّ [٣] جهولٌ ، أوْ جبانٌ ضعيفُ الإرادةِ .

الغاشُّ في عملِه يميتُ ثقةَ النّاسِ بهِ ، فلا يقبلونَ على تجارتِه، ولا يحفِلونَ بصناعتِه ، ولا يأبهونَ [٤] لعملٍ منْ أعمالِه .

المخادعُ والمرائي والمنافقُ والكاذبُ والطّامعُ والخائنُ والأناني ، كلُّ أولئكَ منفورٌ منهُ ، منْئيٌّ عنهُ [٥] ، وما ذلكَ إلا لفقدِ الثّقةِ بهِ منَ النفوسِ

(١) يأكل لحمك : يغتابك (٢) صحبة خلب : غرارة لا فائدة منها ، كما قالوا : برق خلب للذى لامطر وراءه (٣) الغر : من لم يجرب الامور (٤) لايحفلون : لا يعباون ولا يلتفتون . ومثله لا يأبهون (٥) منئى عنه : مبعود عنه .

فالمُخَادِعُ يُرِيدُ بِكَ المَكْرُوهَ من حَيْثُ لاَ تَعلمُ ، وهُوَ يُظهِرُ لَكَ الحُبَّ وإرَادَةَ الخيرِ ، فَمَتى عَلِمْتَ بِخَتْلِهِ (١) وَمَكْرِهِ نَفَرْتَ منهُ لِضعفِ الثِّقَةِ بِهِ.

وَالمُرَائِي يُرِيكَ خِلاَفَ ما هُوَ عليْهِ : يكُونُ فَاسِقاً سَافِلاً ، فَيُرِيكَ أَنَّهُ صَالحٌ عليٌّ ، وَيكُونُ دَنِيئاً سَاقِطَ الهِمَّةِ ، فيُرِيكَ أَنَّهُ شَرِيفُ النَّفْسِ نَاهِضُ الْعَزِيمَةِ ، وَيكُونُ آكِلا أَمْوَالَ النَّاسِ بالْبَاطِلِ ، فيُرِيكَ أَنَّهُ أَمِينٌ على مَا يُسْتَوْدَعُهُ مِنْ مَالٍ وَيكُونُ وَيكُونُ ، فيُرِيكَ أَنَّهُ عَلى خلافِ مَا يكُونُ ، وَمَتى عَرَفْتَ مَا هُوَ مُنْطَوٍ عليْهِ منَ الأخلاَقِ السَّافِلةِ لَفَظْتَهُ لَفظَ النَّوَاةِ (٢) لِأَنكَ لاَ تَثِقُ بِهِ .

والمُنَافِقُ كالمُرَائِي فى أَنَّ كلاًّ مِنهُمَا يُبْطِنُ خلاَفَ ما يُظْهِرُ ، إلا أَنَّ خُلُقَهُ أَسفَلُ ، لأَنَّهُ لاَ يكونُ قاصِرًا على المُنافِقِ وَالمُنَافَقِ لَهُ ، فالمُرَائِى يُرِيكَ مَايُرِيكَ لِتَميلَ إليْهِ وتَعتَقِدَ فيهِ الاسْتِقَامَةَ ، والمُنَافِقُ يَستُرُ اعْتِقَادَهُ الدِّينِيَّ أَوِ الاجتِماعِيَّ أَوِ السِّياسيَّ ، ثُمَّ هوَ يُصَرِّحُ لأَصْحَابِ المَذَاهِبِ المُخْتلِفَةِ وَالمشَارِبِ المُتبَايِنَةِ (٣)

(١) الختل : الخداع والمكر (٢) لفظته : طرحته . والنواة : بزرة التمر ونحوه
(٣) المتباينة : المختلفة

أَنَّهُ مَعَهُمْ وأَنَّ عقيدَتَهُ كعقيدتِهِمْ ، وَرُبَّمَا كانَ لا يعتقِدُ عقيدةَ أَحَدٍ منهمْ . وقدْ يَميلُ الى مشرَبٍ وهوَ يَعْلَمُ أَنَّ أَهلَهُ فى الضَّلالِ المُبينِ ، فيُطرِي[1] أُصولَهُ وفُروعَهُ ، وَيَجْعَلُ مُتَّبعيهِ فى أَعْلَى عِلِّيِّينَ[2] . وما ذَلِكَ إلاَّ لِمَنفعَةٍ ماديَّةٍ تَجعَلُهُ مَملُوءَ الحَقيبةِ[3] . وَمَتى عُرِفَ أَحدٌ بالنِّفَاقِ طَرَحَهُ النَّاسُ أَرْضاً ، لِفقْدَانِ ثِقَتِهِمْ بِهِ .

والكاذِبُ ، إمَّا أَنْ يَكْذِبَ لِخوْفٍ مَكْرُوهٍ ، أَوْ رَجاءِ مَحبُوبٍ ، وَفِي كِلْتَا الحالَتَيْنِ يكُونُ كِذْبُهُ داعياً لِعَدَمِ الثِّقَةِ بقَوْله ، وسَبَباً لاَعتِقادِ الكَذِبِ فيهِ ، وإنْ كانَ صادِقاً .

وَالطَّامِعُ يَسْعَى أنْ يَنَالَ فَوْقَ مَا يستحِقُّ ، وَيَجتَهِدُ ليقتَطِعَ لِنفسِهِ حَقَّ غيرِهِ . فهُوَ غيرُ مَأمُونٍ علَى حَقٍّ ، ولاَ مَرْكُونٍ اليْهِ فى أَمْرٍ . ومَنْ كانَ كذَلكَ فأَنَّى للنَّاسِ أَنْ تثِقَ بِهِ !

وَأَمَّا الخائِنُ فعَدَمُ الثِّقَةِ بهِ أَمْرٌ واضِحٌ ، وهُوَ فيه آكَدُ مِنْهُ فى غيرِهِ ، وأَدْعَى لِلنفْرَةِ مِنْهُ . لِأَنَّ الخِيانَةَ هيَ مَجْمُوعُ الخِداعِ والرِّيَاءِ والنِّفَاقِ والكَذِبِ والطَّمَعِ . هذهِ هيَ الخِيانةُ

---

(١) يطرىء اصوله : يبالغ فى مدحها . والاطراء : المبالغة فى المدح أو الاتيان بأقصى ماعند المادح منه (٢) اعلى عليين : اعلى المراتب . وعليون فى الاصل : اسم لاعلى الجنة (٣) الحقيبة : خريطة يعلقها المسافر فى الرحل للزاد وغيره

الـكبْرَى ، وهي المُرادَةُ عندَ الإطْلاق . وكلٌّ واحدٍ منْ ذلك المجموعِ خيانةٌ ، لِأَنَّ مَنْ خَادَعكَ أوْ رآكَ أوْ نافقَكَ أَوْ كَذَبَ عليك أَوْ طَمِعَ في حقِّكَ ، فقَدْ خانَكَ وأَراكَ غيرَ الحقِّ .

والأَنانيُّ ، وهوَ مَنْ لا يرَى غيرَ نفْسِهِ ، يَدْعوهُ غرورُهُ [1] الى التَّكلُّمِ عن نفسهِ بأشياءَ لا تَنْطَبِقُ على الواقع ، وكلُّ ذي غرُورٍ معْرُوفٌ بالمُبالَغَةِ والحَيَدانِ [2] عن مَنْهجِ [3] الصوابِ إذا قالَ عن نفسهِ شيئاً ، فهوَ لِذلكَ يكونُ غيرَ موْثوق بهِ ، ويكونُ كلامُهُ غيرَ واقعٍ موْقِعَ القبُولِ .

أَلاَ إنَّ مَدارَ الثقةِ على أَفرادِ الأُمَّةِ : فإنْ كانَ مَبْلَغُهُم منَ الصِّدْق وشَرَفِ النفسِ عظيماً ، كانتِ الثقةُ فيما بينَهم عظيمةً . وإنْ ضَعُفَتْ تلكَ الخِلالُ [4] الفاضلةُ ضَعُفَت الثقةُ . والتَوَى [5] نِظامُ الأَعمالِ ، وكانَ منْ وَراءِ ذلك القَضاءُ على الطُّمأْنينَةِ وسَعادةِ الأُمةِ .

الثقةُ المُتبادلَةُ عُرْوَةٌ تُعلَّقُ اليها الرَّوابطُ الاجتماعيةُ

---

(١) الغرور : ان يرى الانسان في نفسه من الفضائل ماليس فيها .
(٢) الحيدان : الميل والعدول (٣) المنهج : الطريق الواضح (٤) الخلال: الخصال. والمفرد خلة (٥) التوى : عسر وتعوج

والاقتصادية والسياسية . فهي كما تكون بين الأفراد تكون بين الجماعات . وكما تكون بين الجماعات تكون بين الأمم والدول. وبانحلالها تنحل تلك الروابط ، وتختل أناظيم[1] الاجتماع .

تعودوا ، معشر الناشئين ، صدق القول والعمل وألزموا أنفسكم الاباء[2] وايفاء الوعد ، تسكن الثقة بكم طوع يمينكم . ومتى نلتم ثقة الناس بكم كنتم من المفلحين . وإياكم أن تضعفوها ، فإنكم بالثقة تعيشون .

٣٣

الحسد

كبار النفوس لا يحسدون ، لأن الحسد من صغر النفس ، وضعف الارادة ، ولؤم الطبع ، والعظيم الأبي[3] قد بعدت المساوف[4] بينه وبين هذه الأخلاق الوضيعة .

من الكلمات السائرة : « الحسود لا يسود » وهي كلمة

(١) الاناظيم : جمع نظام (٢) الاباء : الامتناع مما يعيب .
(٣) الأبي : الممتنع مما يعيبه (٤) المساوف : جمع مسافة

لوْ تَعلَمُونَ ، عظيمةٌ ، تتضمَّنُ معانيَ كبيرةً ، وهيَ : وإنْ صغُرَ لَفظها ، فقدْ كبُرَ معناها ، وشرُفَ فحواها .

الحسُودُ يكونُ ضيِّقَ الخلُقِ ، مُنقبضَ الصَّدْرِ ، مُضطَربَ الفِكْرِ ، إنْ رَأى ذا نِعمَةٍ ، أوْ شاهَدَ أحَدًا نالَ في النَّاسِ مقامًا رَفيعًا هوَ أهلٌ لهُ ، تمنَّى لوْ تحَوَّلُ تِلكَ النِّعْمَةُ إليْهِ ، ويكُونُ ذَلِكَ المَقامُ طوْعَ يدَيْهِ ، ولوْ نالَ الشَّقاءُ منْ أصحابِهِما مَنالَهُ .

التَّمنِّي ، كما يَقولونَ ، رأْسُ مالِ المُفْلِسِ ، وأنَّى لِمَنْ خلاَ منَ الإرَادَةِ وعِزَّةِ النَّفْسِ ، وكَرَمِ الطَّبْعِ ، أنْ ينالَ المَقامَ المَحْمُودَ ، أوْ يَصِلَ إلى نِعمَةِ المَحسُودِ ! فهوَ بذلِكَ التَّمنِّي السَّافلِ لاَ يَستَطِيعُ أنْ يُحوِّلَ إليهِ نِعْمَةً أنْعمَها اللهُ على غيرِهِ ، ولاَ أنْ يَغتَصِبَ مَقامًا لِغيرِهِ فيُوَسَّدَ[١] إليهِ ، بلْ يَبقَى كما كانَ ، قَليلَ النِّعْمَةِ ، سافِلَ المَقامِ ، دَنيءَ النَّفْسِ ، وَضيعَ القَدْرِ ، وهلْ يُمكِنُ مَنْ كانَ كذَلِكَ أنْ يقبِضَ على نَاصيَةِ السُّؤْدَدِ[٢] ، أوْ يَجُولَ في مَيدَانِ الشَّرَفِ ! لاَ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ، فإنهُ بتِلكَ الأخْلاَقِ لاَ يَسُودُ ، ولوْ عكَفَ على حَسَدِهِ أبَدَ الدَّهْرِ .

(١) يوسد : يسند (٢) الناصية : مقدم الرأس . ويراد بالقبض على ناصية الامر التمكن منه . السؤدد : الشرف

أَمَّا الْكَبِيرُ النَّفْسِ ، فَهوَ إِنْ بَصُرَ فِى غيرِهِ بأمْرٍ يُثْنَى عَلَيْهِ بِهِ ، أَوْ رَآهُ فِى مَنزِلَةٍ يُغْبَطُ[1] عليها ، فلاَ يَجُولُ فِى وَهْمِهِ أَنْ يَحْسُدَهُ على نِعْمَتِهِ ، أَوْ يَحُطَّ مِنْ مَنزِلَتِهِ . بَلْ يَسْعَى كُلَّ السَّعْي لِينَالَ مِثْلَ مَنَالِهِ ، وَيَرْقَى مِثْلَ رُقِيِّهِ ، فإِنْ زَادَ فيهِ الإِباءُ فلاَ يَرْضَى لِنَفْسِهِ إلاَّ بِمَا فَوْقَ ذَلِكَ المَقَامِ ، ولاَ يَخْتارُ لهَا إلاَّ أَرْضَى مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ

وَضَاعَةُ النَّفْسِ تَدْفَعُ الإِنْسَانَ إِلَى أَنْ يَتَمَنَّى زَوَالَ النِّعْمَةِ عنْ غيرِهِ لِتَكُونَ لَهُ ، وَإِباؤُهَا يَحْفِزُهُ[2] إِلَى العَمَلِ لِيفُوزَ بِالْحُسنَى ، وَيَابَى علَيْهِ أَنْ يُرِيدَ بِغيرِهِ السُّوءَ لِيكُونَ لَهُ الخيرُ ، فالفَرْقُ بينَ الخُلُقَيْنِ عظِيمٌ .

وقدْ علِمْتَ بمَا شَرَحنَاهُ مَعْنَى قولِهِمْ : « الحَسُودُ لاَ يَسُودُ » لِأَنَّ مِنْ أَخْلاَقِ الحَسُودِ ضَعْفَ الإِرَادَةِ ، وَصِغَرَ النَّفْسِ ، وَالْجُبْنَ عَنِ الإِقدامِ على عَمَلِ السَّادَةِ . وأَحْرِ بِمَنْ كانَ كَمَنْ شَرَحنا أَنْ لا يكونَ سَيِّدًا . فالسِّيادةُ وهذهِ الأَخلاقُ على طَرَفَيْ نَقِيضٍ

(١) الغبطة : ان تتمنى أن يكون لك من المجد والغنى ونحوهما مثل مالغيرك مع بقاء نعمته عليه . اما الحسد فهو تمنى زوال النعمة لتكون للحاسد (٢) يحفزه : يدفعه .

عَجيبٌ واللهِ أَنْ يَتمنّى المَرْءُ ما لا يكونُ إلاّ بجِدٍّ وعملٍ ، وهوَ كَسولٌ خاملٌ مُهْمِلٌ ، وأَنْ يَرْجُو ما لا يَكْسِبُهُ إلاّ الحسْرَةَ ، ولا يَعُودُ عليهِ إلاّ بانْقباضِ الصَّدْرِ . وهذهِ صِفَةُ الحاسدين ، فاحْذَرْ ، أَيُّها النّاشئُ ، أَنْ تكونَ منَ الجاهلِين .

رُبّمَا تَبْلُغُ نارُ الحسَدِ بالحاسدِ حدًّا يَدْفَعُهُ الى إيذاءِ محْسُودِهِ ، والسَّعْيِ في ضَرَرِهِ ، وَبَذْلِ الْجهْدِ لإيصالِ ضُرُوبِ الشّرِّ اليهِ . وإنّمَا يَعْمَلُ ذلكَ ثائرًا لِنفسهِ الوَضيعةِ ، ظَانًّا أَنَّ هذا العملَ يُطْفِئُ جَمْرَةَ طَبْعِهِ اللّئيمِ .

ومتى بَلَغَ الحسدُ بالحاسدِ هذا المَبْلَغَ كان وحْشاً ضَارِياً ، وَأَفْعَى[1] في أَنْيابِها السُّمُّ نَاقِعٌ[2] . وكثيراً ما يَعُودُ الضَرَرُ عليه ، فيَمُوتُ بِغَيْظِهِ ، ويُحْرَقُ بنارِ حِقْدِهِ .

أَلاَ إنَّ الحسَدَ كانَ فيما مَضَى أَكْبَرَ أَدْوائِنا[3] ، التي قَضَتْ على مَجْدِنَا وَمَدَنِيَّتِنا . وَأَراهُ اليومَ أَفْتَكَ وَبَاءٍ فَاشٍ في مُجْتَمَعِنا . فَلا تَرَى أَحداً يقومُ بِمَا فِيهِ صلاحٌ للْبلادِ ، وَمَنْفَعَةٌ للأُمةِ ، إلاّ وَجَدْتَ إِزَاءَهُ منَ المُقَاوِمِينَ الجَمَّ الغَفِيرَ[4] ، حَسَدًا

---

(١) الافعي : الحية العظيمة (٢) ناقع : مجتمع ثابت . وسم ناقع : بالغ قاتل
(٣) الادواء : جمع داء (٤) الجم الغفير : العدد الكثير

مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ، وبَغْياً على الحقِّ . فإِنْ لم تَتْرُكْ هذا الطَّبْعَ اللَّئِيمَ ، فلا رَجاءَ للخيرِ ، ولا سَبِيلَ الى السَّعادَةِ .

تَجَنَّبْ ، أَيُّهَا الناشئُ ، الحسدَ ، فإِنَّهُ مِنْ خُلُقِ الأَدْنياءِ ، وَصِفَةِ الجُهَلاَءِ ، فإِنْ بَصُرْتَ بقائمٍ بالحقِّ فَاعْضُدْهُ [1] وَيَسِّرْ له السَّبِيلَ . وَإِنْ رَأَيْتَ نِعْمَةً أَسْبَغَهَا [2] اللهُ على عبدٍ من عبادِهِ ، فَاسْعَ الى مثلِها بِقلبٍ طاهرٍ وَوِجْدَانٍ نَقِيٍّ ، فإِنَّكَ تَبْلُغُهَا بإِذْنِ اللهِ .

وَإِيَّاكَ أَنْ يَحْمِلَكَ الحسدُ على مُنَاوَأَتِهِ [3] ، فإِنَّكَ لا تَنالُ منه ما تُرِيدُ ، بَلْ رُبَّمَا وَقَعْتَ فِي حبائلِ [4] حَسَدِكَ . وَقَدْ قِيلَ : « للهِ دَرُّ الحسَدِ ما أَعْدَلَهُ ، بَدَأَ بصاحبِهِ فقتَلَهُ ! »

---

(١) اعضده : اعنه وانصره . من عضده اذا نصره وأعانه . ولا يقال عضده بتشديد الضاد بهذا المعنى (٢) أسبغها : اتمها (٣) المناوأة : المعاداة والمعاكسة (٤) الحبائل : المصايد . والمفرد حبالة . ويراد بها المكيدة كما هي هنا .

٣٤
التعاون

كُنْ عَوْناً لِغَيْرِكَ يَكُنْ غيرُكَ عَوْناً لَكَ . وَأَحْبِبِ الخيرَ لَهُ يُحْبِبِ الخيرَ لَكَ . فَالتَّعاوُنُ مِنَ الأُمُورِ التي يَتَبادَلُهَا النَّاسُ . وَقَلَّ مَنْ لاَ يُرِيدُ لكَ السَّعادة ، ولا يُقدِمُ على إعانتِك ، إذا عَرَفَ مِنْكَ أَنَّكَ تَوَدُّ له ذلكَ ، وَتُسْرِعُ لِمَعُونَتِهِ إنْ مَسَّتِ الحاجةُ إليها ، اللهُمَّ إلاَّ إنْ كانَ مِمَّنْ فَسَدَتْ أخلاقُهمْ ، وسَفُلَتْ تَرْبِيتُهمْ ، فَكَانَ مِمَّنْ يغضُونَ[1] عَنْ مُقَابَلَةِ المُحْسِنِ بالإحسَانِ ، فلاَ يَمُدُّونَ إليهِ يَدَ المُسَاعَدَةِ ، ولاَ يَنظُرُونَ إلَيْهِ بِطَرْفِ المُرُوءَةِ[2] .

وكَثيراً ما يَدفَعُ اللُّؤْمُ بِهَذَا الصِّنْفِ مِنَ الناسِ إلى أَنْ يَجزُوا مِنَ الحَسنةِ السَّيِّئَةَ ، وَيَسْتَبْدِلوا الذِي هوَ أَدْنَى بالذِي هوَ خيرٌ ، ومَنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ مِمَّنْ صَدَقَ عليهِ الأَثَرُ : « اتَّقِ شَرَّ مَنْ أحسَنْتَ إليهِ »

---

(١) اغضى عن الامر وتغاضى عنه : تغافل عنه (٢) الطرف : العين . والمروءة النخوة وكمال الرجولية

أَقَلُّ مَرَاتِبِ التَّعَاوُنِ أَنْ تُعِينَ غيرَكَ حِرْصاً على أَنْ تُعانَ إِنِ احْتَجْتَ إلى المَعُونَةِ ، وَأَكْمَلُ تِلْكَ المَرَاتِبِ أَنْ تَنْدَفِعَ فى هٰذا الأَمْرِ ، وأَنتَ غيرُ آمِلٍ مِنْهُ فائِدَةً ، ولاَ رَاجٍ مِنْهُ عَائِدَةً[1] ، بَلْ إِنَّكَ تُقْدِمُ لِأَنَّهُ فَضِيلَةٌ فى نَفْسِهِ ، وأَثَرٌ صَالِحٌ يَحْتَذِى النَّاسُ مِثَالَهُ[2] ، لِتَنْمُوَ رُوحُ التَّعاوُنِ بينَ الأُمَّةِ ، فيكُونَ مِنْ وَرائِهَا اجْتِماعُ القُلُوبِ ، وائْتِلافُ المَجْمُوعِ ، وَاتِّحَادُ الأَفْكارِ ، وتَقَارُبُ المُيُولِ .

إِنَّ مَنْ تُحْسِنُ إِليهِ فقَدْ نَقَشْتَ فى قَلْبِهِ مَحَبَّةً لاَ تَمْحُوهَا إِلَّا الإِساءَةُ ، والكَرِيمُ لاَ يُسِيءُ بَعْدَ الإِحْسَانِ .

وإِنْ أَحْسَنْتَ إلى الأُمَّةِ كلِّهَا فقَدْ أَقَمْتَ فى كلِّ فُؤَادٍ مِنْ أَفْئِدَةِ أَبنائِهَا تِمْثَالاً منَ المِقَةِ[3] ، ومِحْرَاباً[4] منَ المَحَبَّةِ ، يَبْقَيانِ ما بَقِيَتِ الأُمَّةُ .

أَفْرَادُ الأُمَّةِ يَحْتاجُ كلُّ واحِدٍ مِنْهُمْ إلى الآخَرِ ، فإِنْ سَلَكُوا ، سَبِيلَ التَّعاوُنِ ، ونَصَرَ القَوِىُّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ ، وخَفَّفَ الغَنِىُّ آلاَمَ الفَقِيرِ ، وَعَلَّمَ العَالِمُ الجاهِلَ ، وأَرْشَدَ

---

(١) العائدة : الفائدة تعود على الانسان (٢) يحتذون مثاله : يقتدون به ويصنعون مثله
(٣) المقة : المحبة (٤) المحراب : الغرفة ، وصدر المجلس ، وصدر البيت ، وأكرم شيء فيه . ومنه محراب المسجد وهو مقام الامام فيه

المُهتَدِي الضَّالَّ، وأَحَبَّ كلُّ فَرْدٍ لِغيرِهِ مَا يُحِبُّهُ لنفسِهِ — كانَ مِنْ وراءِ ذلكَ سعَادَةُ المَجمُوعِ، ونُهُوضُ الأُمةِ مِنْ عثْرَةِ التَّخاذلِ، وتَنبُّهُها مِنْ فِرَاشِ الغَفْلَةِ، وبَعثُها مِنْ مَرْقَدِ[1] الخُمولِ.

وَليسَ التّعاوُنُ قاصِرًا على الأُمُورِ المَادِّيةِ فَحسْبُ[2]، بلْ هوَ عامٌّ شَامِلٌ لِلأُمُورِ المَعنَويةِ أيضًا، وهوَ فِيهَا آكَدُ مِنهُ فِي غيرِهَا.

إنْ رأَيْتَ حَائِرًا في أمْرِهِ فأَعِنهُ بثَاقِبِ فِكْرِكَ[3]، وأَوْضِحْ لهُ طَرِيقَ رُشْدِهِ.

وإنْ وَجَدْتَ مَحْزُونًا فَخَفِّفْ عنهُ حُزنَهُ بمَا تُلْقِيهِ عليْهِ مِنْ دُرُوسِ التسْلِيَةِ، وَمَا تُرَوِّحُ بهِ الهَمَّ عنهُ مِنْ كلِمَاتِ التَّفْرِيجِ حَتى تُسَرِّيَ[4] عنهُ مَا أَلَمَّ[5] بهِ مِنْ هَمٍّ وحَزَنٍ.

وإذَا أَلْفَيْتَ[6] حَائِدًا عَنْ سَبِيلِ الهُدَى، سَالِكًا طَرِيقَ الرَّدَى، تائِهًا فِي مَفاوِزِ[7] العَمَى، فابْذُلِ الجُهدَ لإِرْشَادِهِ بلِيِّنِ

(١) المرقد : مكان الرقود وهو النوم (٢) حسب : كاف . يقال : فلان صديق فحسب اى يكفيني عن غيره . والفاء فى فحسب زائدة لتزيين اللفظ (٣) الفكر الثاقب : الوقاد المشتعل (٤) سرى عنه الهم : فرجه عنه (٥) الم به : نزل به (٦) ألفيت : وجدت (٧) المفاوز : جمع مفازة . وهى القفر الخالي

الْكلامِ والمَوْعِظَةِ الحسنةِ والمَعْرُوفِ منَ القَوْلِ ، حتى تحملهُ على سُلوكِ الصِّرَاطِ[1] المُستقيمِ ، والتَّجمُّلِ بالخُلُقِ الكريمِ .

على هذا دَرَجَ[2] السَّلَفُ الصَّالحُ ، وفي سُنَّةِ[3] التَّعاوُنِ المَادِّيِّ والمَعنويِّ قدْ سلَكُوا ، وَما أَضَرَّنَا وأَضَرَّ الأُمَمَ قبلَنا إلاَّ إهمَالُ هذا الرُّكْنِ الاجتِماعِيِّ الرَّكينِ[4] ، فقدِ استَبدَلوا بهِ قلوبًا أَصلبَ منَ الجَلْمَدِ[5] ، وأخلاقًا ما لانحطَاطِها نهايةٌ ، حتى صارَ أحدُنا لِلآخرِ عقربًا لاسعةً ، وأفعى لادِغَةً ، وما بهذا أُمِرْنَا ، ولاَ لِمثلِ ذلكَ خُلِقنا .

لمْ نُخلَقْ ، أيُّها النَّشْءُ ، إلا لِنكُونَ مُتعاونينَ على دَفعِ مَا يُصيبُنَا منَ الشَّقاءِ ، مُتسانِدينَ[6] في السَّرَّاءِ[7] والضَّرَّاءِ[8] ، عامِلينَ على محوِ مَا ينزِلُ بالأُمةِ منَ اللأْواءِ[9] .

إنَّ الأُمَةَ مُحتاجةٌ إلى المعُونَةِ ، فَمُدُّوا إليْهَا يدَكُمْ .

هِيَ جاهِلةٌ فأَعِينُوها بالعِلمِ .

هِيَ فَاسِدَةٌ فأَعِينُوهَا بالإصلاحِ .

---

(١) الصراط : الطريق (٢) درج : مشى (٣) السنة : الطريق (٤) الركين : القوى (٥) الجلمد : الصخر (٦) متساندين : متعاونين يسند كل واحد الآخر (٧) السراء : الرخاء (٨) الضراء : الشدة (٩) اللأواء : الشدة يكون منها الضرر .

هيَ فقيرةٌ فأعينُوهَا ببذْلِ المَـالِ ، لِتفتَحَ بهِ المدارِسَ ، وتُنْشِئَ المَعاملَ والمَصانعَ .

فإنْ فَعلْتُمْ ذلكَ كُنتمْ أَبْناءَهَا البـارِّينَ[1] ، ورِجالَهَا العامِلِينَ ، فتعاوَنُوا على ذلكَ ، إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتعاوِنينَ .

٣٥

التقريظ[2] والانتقاد

رَأَيْتُ كثيرًا منَ النَّاسِ يَسُرُّهمُ المَدْحُ وإنْ كانَ بالْباطِلِ ، ويَسُوءُهمُ الانْتِقَادُ وإنْ تجسَّمَ فيـهِ الحقُّ ، وما ذَلكَ إلاَّ منْ غُرُورِ النفسِ ، وَوَلَعِها بالْباطلِ .

المَغْرُورُ يُطْرِبُهُ التقْرِيظُ ، ويُرَنِّحُهُ[3] المدْحُ ، فَكأنَّ الثَّناءَ عليهِ رَاحٌ[4] متى خالَطَتْ جوْفَهُ ظَنَّ أنهُ مَلَكَ البَسيطةَ ومَنْ علَيْها ، وما يَسْتَحِقُّ ، لوْ أَنْصفَهُ مُقَرِّظُهُ ، غيرَ الصفْعِ[5] والقَصْعِ[6] ، وإنِ انْتَقَدَ عليهِ أحَدٌ عملَهُ ، وأَبانَ لهُ طَرِيقَ

(١) البار : المحسن (٢) التقريظ : المدح في حياة الممدوح بحق أو باطل (٣) يرنحه : يجعله يتمايل (٤) الراح : الخمر (٥) الصفع : الضرب على القفا بجمع الكف
(٦) القصع : الضرب على الرأس ببسط الكف

الرُّشْدِ فيهِ ، عبَسَ وبَسَرَ[١] ، وَوَلّى واَستَكْبَرَ ، واَستَشَاطَ[٢] غَضَباً وزَمْجَرَ[٣]

أمَّا العاقِلُ الخبيرُ ، فلاَ يَسُرُّهُ مَنْ يَمْدَحُهُ ، لأَنَّ المُقَرِّظَ لاَ يَذْكُرُ إلاَّ حَسنَاتِهِ ، ويَطْوِى كَشْحًا[٤] عَنْ ذِكْرِ سَيِّئَاتِهِ ، والمَرْءُ أدْرَى بِمَا لهُ منَ الحَسَنَاتِ ، فلاَ يَحْتَاجُ فيهَا إلى إثْباتٍ ، وإنمَا يُلَذِّذُهُ[٥] أَنْ يرَى مَنْ يُقَابِلُهُ بالانْتِقادِ الصَّحيحِ ، لأَنَّ المُنْتَقِدَ يُظْهِرُ لهُ عيُوبَهُ ، ويُوضِحُ خَطأهُ ، ويَنْشُرُ مَا طُوِىَ منْ زَلاَّتِهِ[٦] ، فمَتى عَلِمَ بِهَا المُنْتَقَدُ عليْهِ اجْتَنَبهَا ، وَباعَدَ ما بَيْنَهُ وبيْنَها ، فيَطْهُرُ بذلِكَ منْ وَضَرِ[٧] العُيُوبِ ، وَيَنْقَى منْ جَرَائِرِ[٨] السَّيِّئَاتِ ، وَصَدِيقُكَ مَنْ صَدَقَكَ ، لاَ مَنْ صَدَّقَكَ .

لوْلاَ الانْتِقَادُ لَظَلَّ النَّاسُ فى الغُرُورِ سَائِرِينَ ، وَلِلآثامِ مُرْتَكِبينَ ، وعنِ الحقِّ ضَالِّينَ ، وَفى كُؤُوسِ هوَى النفْسِ كَارِعينَ ، فَهوَ المِنْهَاجُ[٩] الأقْوَمُ ، وَالدَّلِيلُ الأَقْوَى ، وَبِهِ

(١) بسر : قطب وجهه وتكره (٢) استشاط : التهب واحترق (٣) زمجر : اكثر الصخب والصياح (٤) طوى عن الامر كشحاً : تركه واهمله (٥) يلذذه : يجعله يلتذ (٦) الزلات : السقطات (٧) الوضر : الوسخ (٨) الجرائر : الذنوب والمفرد جريرة (٩) المنهاج : الطريق الواضح .

تَتَمَحَّصُ[١] الحقَائقُ ، وتَظهَرُ الفَضائلُ ، وتَخفَى الأَباطِيلُ ، وتَعشُو[٢] عُيُونُ الأَضالِيلِ .

وما منْ أُمَّةٍ طَرَحَتْ عنهَا رِدَاءَ الجَهلِ ، وكسَرَتْ عنْ عقولِها قيُودَ الوَهْمِ ، فتَقَدَّمَتْ فى سَبيلِ العُمْرَانِ ، وبَلَغَتْ منَ المدَنيَّةِ أَقْصَى[٣] مكَانٍ، إلاَّ كانَ الانْتِقَادُ رَائِدُ[٤] فلاَحِهَا ، ونَسَمَة[٥] نجَاحِهَا ، وما منْ قَوْمٍ غرَّتهم حَلاوَةُ التَّقْرِيظِ ، وأَسكَرَتْهمْ خَمْرَةُ المَدِيحِ ، وخَدَّرَتْ هِمَمَهمْ مَرَافِينُ[٦] الثَّنَاءِ ، إلاَّ ضَرَبَهمُ الدَّهْرُ بضَرَبَاتِهِ ، ورَماهُمْ بنَكَبَاتِهِ[٧] .

والسِّرُّ فى ذلِكَ أَنَّ الانْتِقادَ يَحفِزُ[٨] الهِمَّةَ لِيَبْتَعِدَ المَرْءُ عمَّا هوَ فيهِ مِنْ سُوءِ الحَالِ ، ويَدْفَعُهُ إلى مَيْدَانِ العَمَلِ ، لِيَحْمَدَ المَآلَ[٩] ، فيَبْذُلُ الجُهدَ ليكُونَ منَ المُتقَدِّمِينَ فى صَالِحِ الأَعمَالِ ، التى تُنيلهُ السَّعادَتينِ ، وتَنفَعُهُ وأُمَّتَهُ فى الحَياتَيْنِ .

أَمَّا التَّقْرِيظُ ، وأَقْبَحُهُ مَا كانَ فى بَاطِلٍ ، فهوَ يَنفُخُ

---

(١) تتمحص : تتنق من الاخلاط (٢) تعشو العيون : يسوء بصرها (٣) اقصى : ابعد (٤) الرائد : الدليل (٥) النسمة : نفس الروح (٦) المرافين : جمع مرفين وهو شىء كالبنج . وهى كلمة افرنجية عربت حديثاً (٧) النكبات : المصائب (٨) يحفز : يدفع ويسوق (٩) المآل : المرجع والمصير .

فى أَنْفِ المَمْدُوحِ المَغْرُورَ ، وَيُدْخِلُ فى يَافُوخِهِ [١] شَيْطَانَ العَظَمَةِ والكِبْرِيَاءِ ، فيظنُّ فى نفسِهِ أنهُ بلغَ منَ الكمالِ السَّماءَ ، حتى طَالَ الجوْزَاءَ [٢] ، فتضعفُ هِمَّتُهُ عنْ كسْبِ الفَضائلِ ، وتفتُرُ عَزِيمَتُهُ عنِ اقترَاعِ العَظائِمِ [٣] فلاَ تنْمُو مَعارِفُهُ ومَوَاهِبُهُ [٤] ، إنْ كانَتْ لهُ علومٌ وشَمائِلُ [٥] ويَظَلُّ جَاهلاً رَذِيلاً ، إنْ كانَ خَالياً منَ العِلمِ والفَضيلةِ .

وانَّ هُنَاكَ قوْمًا لاَ يَعْمَلونَ ، إلاَّ إذَا عَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ يَمْدَحُونَ أَعمَالَهمْ ، ويُقرِّظُونَ إقْدَامَهمْ ، وَنرَى قوْمًا يَزِيدُهُمُ التقْرِيظُ هِمّةً إلَى هِمَّتِهمْ ، ونفَاذًا فى الأَمْرِ على نَفَاذِهمْ فِيهِ ، فلاَ بأْسَ بتَقْرِيظِ عملِهمْ ، والثَّناءِ عليْهمْ ، لِيزْدَادُوا إقْدَامًا معَ إقْدَامِهِمْ .

ونحْنُ لمْ نَذُمَّ التقْرِيظَ مُطلَقًا ، بَلْ ذَمَمْنا مَنْ يُرِيدُ منْ غيرِهِ أَنْ يُقرِّظَهُ بحقٍّ أَوْ بَاطلٍ ، ويَسُوءُهُ مِنهُ أَنْ يَنْتَقِدَ عليهِ عملَهُ إنْ فعلَ مَالاَ يُسكَتُ عنهُ ، وإنَّ مَنْ كانَ كذَلكَ

---

(١) اليافوخ : الموضع الذى يتحرك من الرأس عند مايكون الانسان طفلا . وهو ماتسميه العامة النافوخ بالنون (٢) الجوزاء : برج فى السماء (٣) افتراع العظائم : الغلبة عليها (٤) المواهب : العطايا . والمراد بها هنا الصفات الغريزية لانها هبة من الله للانسان (٥) الشمائل : الاخلاق . والمفرد شمال بكسر الشين

فهوَ منَ الذينَ يُحبُّونَ أنْ يُحْمَدُوا بما لمْ يفعلوا، وأُولئكَ همْ في مَجهلٍ [١] منْ سَفالةِ الأخلاقِ، يَهلكُ فيهِ المَغرُورُونَ، فمَنْ سَرَّهُ التقريظُ فلا يَسُوؤهُ الانتقادُ، فالتقريظُ إنْ كانَ داعياً للإقدامِ على العَمَلِ الطيِّبِ، فالانتقادُ يَرْبأُ [٢] بالإنسانِ أنْ يَرِدَ مَوَارِدَ الخَطَلِ [٣]، أوْ يَسقُطَ في مَزَالقِ [٤] الزَّلَلِ [٥].

وما الأمرُ بالمَعرُوفِ والنَّهيُ عنِ المُنكرِ، إلا ضَرْبٌ [٦] منْ ضُرُوبِ الانتقادِ، ولولاهُما لظَلَّ الجاهلُ الفاسِدُ سادِرًا [٧] في غُلْوَائهِ [٨]، ناشِرًا للفُسُوقِ عَنِ الحَقِّ [٩] كَبيرَ لِوائِهِ.

وبعدُ فإنَّ فِئةً منَ الناسِ قدِ اتَّخذَتِ الانتقادَ ذَريعَةً [١٠] للنَّيلِ منَ الخَلقِ [١١]، وحُجةً للوَقيعةِ [١٢] في أعْرَاضِهمْ، فرَاشُوا [١٣] سِهَامَ السِّبابِ، والفُحْشِ منَ القوْلِ، ورَمَوْا بها مَنْ أرَادُوا أنْ ينتقِدُوهُ، فترَاهمْ لا يَترُكُونَ شَارِدَةً منَ السَّفاهةِ والبَذاءِ [١٤]

---

(١) المجهل : الارض التى لايهتدى فيها (٢) يربأ : يرفع وينهض (٣) الخطل : المنطق الفاسد (٤) المزالق : الاماكن التى تزلق فيها الارجل (٥) الزلل : الخطأ ، والانحراف عن الصواب (٦) الضرب : النوع (٧) السادر : الذى لايهتم ولا يبالى بما صنع ، والذاهب عن الشيء ترفعاً عنه (٨) الغلواء : الغلو، وأول الشباب، والسادر فى غلوائه هو الذى يمشى كما تأمره النفس الامارة بالسوء غير مهتم بالعواقب

(٩) الفسوق عن الحق : الخروج عنه والعدول عنه (١٠) ذريعة : وسيلة وواسطة (١١) نال منه نيلا : سبه وشتمه (١٢) الوقيعة : السب والشتم . وقع فيه : سبه وعابه (١٣) ريش السهام : كناية عن التهيؤ للرمي (١٤) البذاء : التكلم بفحش

والمُنْكَرِ منَ الكلامِ إلاَّ وَجَّهُوهَا إليهِ ، وَمَا هذا بالانْتِقَادِ ، وإنمَا هوَ التَّشَفِّي [١] والتَّقْرِيعُ [٢] ، وذَلِكَ لُؤْمٌ وخِسَّةُ طَبْعٍ ، يَتَجَافَى [٣] عنهُما أُولُو المُرُوءَةِ .

إنَّ الغايَةَ منَ الانْتِقَادِ صَرْفُ المُنْتَقَدِ عليْهِ عمَّا هُوَ فِيهِ من جَهلٍ أَوْ خَطأٍ . فالتَّسَرُّعُ في الانتقادِ وعَدَمُ الرِّفْقِ فيهِ دَاعيانِ لِتَعَصُّبِهِ لِمَا هُوَ فيهِ ، وإنْ وَضَحَ لهُ الأَمْرُ أَيَّمَا وُضُوحٍ . وقدْ وَرَدَ : « مَنْ أَمَرَ بِمعرُوفٍ فلْيَكُنْ أَمْرُهُ بمعْرُوفٍ » فالنَّقْدُ يَجِبُ أَنْ يكُونَ بالَّتِي هيَ أَحْسَنُ ، ليكُونَ منْ وَرَائِهِ نَجَاحُ القَصْدِ ، وفلاَحُ السَّعْيِ . « ولاَ تَسْتَوِي الحسَنَةُ ولا السَّيِّئَةُ ، ادْفَعْ بالتي هِيَ أَحسَنُ ، فإذَا الذي بَينَكَ وبينَهُ عَدَاوَةٌ كأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ [٤] ، وما يُلَقَّاهَا إلاَّ الذِينَ صَبَرُوا ، وما يُلَقَّاهَا إلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ »

لاَ تَغُرَّنَّكُمْ ، مَعشَرَ النَّاشِئِينَ ، أقْوَالُ المُحَبِّذِينَ [٥] ، ولاَ كَلِمَاتُ المُقَرِّظِينَ ، فَكَثِيراً مَا يَقُولونَ غيرَ الحَقِّ ، طَمَعاً

القول (١) التشفي : الانتقام (٢) التقريع : التعنيف والاغلاظ (٣) يتجافى: يترفع ويتنحى (٤) الولي: الناصر ، والصديق ، والمحب ، والحميم ، : الصديق كل الصديق (٥) المحبذ من يقول لك حبذا ما تفعل بمدح عملك .

فى اكتساب قلوب المقرظين ، أو فى دريهمات تسقط من أيديهم عليهم ، وإياكم أن تسلكوا هذا الطريق ، فهو يؤدى إلى الكذب ، وما أقبح ذنب الكاذبين ، وتمسكوا بأذيال من ينتقد أعمالكم ، ويبين خطأكم ، ترشدوا إلى أقوم سبيل .

وإذا رأيتم من غيركم ما ينتقد ، فسددوا[1] خطواته ، وانصحوا له بالإقلاع[2] عن زلاته[3] ، بالكلم الطيب ، والمعروف من القول .

وإياكم أن تستعملوا خشونة الكلام ، فإنها أوخز[4] من السهام[5] ، وأشد من وقع الحسام[6] ، وهى مضيعة للفائدة ، منفرة للقلوب .

بل كونوا من أهل اللين والرفق ، تنالوا ما تريدون ، وقد قيل : « الماء مع رقته ، يقطع الحجر مع شدته » وقد خاطب الله نبييه هرون وموسى فى شأن فرعون بقوله :

(١) سددوا خطواته : ارشدوه الى السداد والاستقامة (٢) الاقلاع : الابتعاد والترك (٣) الزلات : الخطيئات (٤) اوخز : اشد وخزاً . والوخز : الطعن بالرمح والابرة ونحوهما (٥) السهام : النبال (٦) وقع الحسام : شدة ضربته . والحسام : السيف القاطع

« اذْهَبَا إلى فِرْعَوْنَ إنهُ طَغَى [١] فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لعلّهُ يَتذَكَّرُ أوْ يَخْشَى [٢] »

٣٦

التعصب [٣]

تَعَصَّبْ لجِنْسِكِ ولُغَتِكَ ودِينِكَ ومَذْهَبِكَ الاجْتِماعِيِّ ، ونِحْلَتِكَ [٤] السِّيَاسِيَّةِ ، ولاَ يَسُوْؤكَ منْ غيركَ هذا التَّعَصُّبُ ، بَلْ دَعْ كلَّ إنْسَانٍ ومُعْتَقَدَهُ ، فلَسْتَ على أَحَدٍ بِمُسَيْطِرٍ [٥] ، وكلُّ امْرِىءٍ حُرٌّ في أَنْ يَدِينَ بما يَشاءُ ، وأَنْ يَتعَصَّبَ لِمَا يُرِيدُ.

بهٰذا قَضَتِ الأدْيانُ ، وحَكَمَتِ المَذَاهِبُ الاجْتِماعيّةُ الصّحيحَةُ ، وفي هٰذهِ السَّبِيلِ سَارَ المُتَمَدِّنونَ منَ الأُمَمِ ، كَمَا سَارَ آبَاؤُكَ ، أيُّها النَّاشِىءُ منْ قَبْلُ .

التَّعَصُّبُ شَيْءٌ جَمِيلٌ ، وَمَبْدَأٌ قَوِيمٌ ، وَسُنّةٌ [٦] وَاضِحَةٌ

(١) طغى : جاوز الحد (٢) يخشى : يخاف . (٣) التعصب : التشدد . تعصب في دينه ولغته : كان شديداً غيوراً مدافعاً عنهما . وتعصب لفلان : ومع فلان : مال اليه وانتصر له . وتعصب عليه : قاومه ومال عليه (٤) النحلة : المذهب والعقيدة

(٥) المسيطر : الرقيب الحافظ . والمتسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله . فكأنه مأخوذ من سطر يسطر سطراً بمعنى كتب (٦) السنة : الطريقة

ومَنْهَجٌ سَدِيدٌ[١] فَهوَ الذِي يَحْفَظُ على الأُمّةِ لُغَتَهَا وَجِنْسِيَّتَها وأَخْلاَقَها الفَاضِلَةَ وعادَاتِها الطَّيِّبَةَ ، ويَحْمِلُها على أَنْ تَكُونَ شَدِيدَةَ البَأْسِ[٢] قَوِيَّةَ السَّاعِدِ ، مَنِيعَةَ الجانِبِ ، ومَتَى فَقَدَتْ هٰذا الخُلُقَ ، خُلُقَ التَّعَصُّبِ الكَرِيمَ ؛ بِمَا طَرَأَ عليْها منْ فَسَادِ التَّرْبِيَةِ ، أَضَاعَتْ مُمَيِّزَاتِها ، وخَسِرَتْ قُوَّتَها وبأْسَها ، فكَانَتْ مَعَ الهَالِكِينَ ، والذَّاهِبِينَ الأَوَّلِينَ ، وما هَلاَكُها إلاَّ مَوْتُ الشُّعُورِ ، وفَسادُ الأَخْلاَقِ ، وذَهَابُ المُمَيِّزَاتِ ، وإنما الأُمَمُ الأَخْلاَقُ .

***

تَعَصُّبُكَ لِدِينِكَ يَدْعُو غيرَكَ أَنْ يَحْتَرِمَكَ ، وعَدَمُ الاكْتِرَاثِ لهُ يَحْمِلُهُ على أنْ لاَ يَعْبأَ بِكَ[٣]

ومَعْنَى التَّعَصُّبِ لِلدِّينِ القِيامُ بِفُرُوضِهِ ، وانتِهاجُ سُنَنِهِ[٤] واتِّبَاعُ أَوَامِرِهِ ، واجْتِنابُ نَوَاهِيهِ ، والتَّخَلُّقُ بالأَخْلاَقِ الجَمِيلَةِ ، التِّي يَحْفِزُ[٥] التَّدَيُّنُ الهِمَمَ إلَيْها .

---

(١) المنهج : الطريق الواضح . والسديد : القويم (٢) البأس : القوة والشدة
(٣) أكترث له وعبأ به : اهتم به وبالاه (٤) انتهاج : سلوك . والسنن جمع سنة وهى الطريقة . والسنة فى الدين ما كانت دون الفرض (٥) يحفز : يدفع ويسوق .

وليْسَ مَعْناهُ أَنْ تَكْرَهَ غيرَكَ مِمَّنْ لَيْسَ على دِينِكَ ، وَتَنْصِبَ الحَبَائِلَ[1] للضَّرَرِ بهِ ، وتبذُلَ الجهْدَ لِتَلْحقَ بهِ الأذَى والمَكْرُوهَ ، فإنَّ هذا لَيْسَ مِنَ التَّعَصُّبِ لِلدِّينِ في شيْءٍ ، وإنما هوَ تَعَصُّبٌ للوَحْشيَّةِ على المدَنيةِ ، وضَرْبٌ مِنْ ضُرُوبِ الهَمَجِيةِ ، لأنَّ كُرْهَ المُخالفِ في الدِّينِ ، وإلحاقَ الأذَى بهِ ، عمَلُ مَنْ لمْ يَعْرِفْ منَ الدِّينِ إلاّ الانْتِسابَ إليْهِ ، فالدِّينُ وهذا العمَلُ على طرَفَيْ نقيضٍ[2] .

أَمَّا مَا يفعلُهُ بَعْضُ مَنْ لاَ خَلاَقَ لهمْ مِمَّنْ لَبِسُوا الدِّينَ مَقْلوباً ، فهؤلاءِ ليْسُوا في العيرِ ولاَ في النَّفيرِ[3] وما هُمْ بِحُجةٍ على الدِّينِ ، بَلْ للهِ الحُجَّةُ البالِغَةُ[4] ، وليْسَ في دِينِ اللهِ شيْءٌ مِمَّا يَزْعمُونَ .

إنَّ مَنْ يَدَّعُونَ التَّعَصُّبَ لِلدِّينِ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلونَ ، ولاَ يَعْرِفُونَ مِنْهُ إلاَّ أنَّ آباءَهُمْ كانوا بهِ يَدِينُونَ ، فهمْ في ظاهِرِ الأمْرِ مُسْلِمُونَ أوْ مَسيحيُّونَ أوْ يَهُودِيُّونَ ، ومَاهُمْ في الحَقيقةِ إلاّ مُقَلِّدُونَ ، يَلوكُونَ مِنَ الكَلاَمِ مَالاَ يَفْهَمُونَ ، ويَنْتَسِبُونَ

(١) الحبائل : المكايد ، وأصل معناها : المصايد (٢) على طرفى نقيض أى هما متخالفان
(٣) ليسوا في العير ولا في النفير : أي ليسوا ممن يعبأ بهم (٤) الحجة البالغة : الدليل

إِلَى مَالاَ يَفْقَهُونَ [(١)] ، وَيُبْغِضُونَ مَنْ لاَ يَدِين بِدِينِهِم وَيَكْرَهُونَ ، مُعْتَقِدِينَ أَنَّهمْ بِمِثْلِ هٰذا يَنْجُونَ ، وَإِلَى اللّٰهِ يَتَقَرَّبُونَ ، أَلاَ سَاءَ ما يَزِرُونَ [(٢)] ، وَقَبُحَ ما يَفْعلونَ .

وهُنَاكَ طائِفَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الْعامَّةِ الجاهِلةِ ، ولاَ مِنَ الخَاصَّةِ الرَّاقِيَةِ ، تَزْعمُ التَعَصُّبَ لِلدِّينِ ، وهيَ لاَ تَقُومُ بِشَعَائِرِهِ [(٣)] ، ولاَ تَتَمَسَّكُ بِسُنَنِهِ وفَرَائِضِهِ ، وتَدْعُو النّاسَ بِاسْمِهِ ، ورُبمَا كانَتْ جَعْبَةُ [(٤)] عَقِيدَتِها أَفْرَغَ مِنْ جَوْفِ الطَّبْلِ ، وَمَا التَعَصُّبُ لِلدِّينِ ، كَما أَسْلَفْنا ، إلاّ التَّخَلُّقُ بِأَخلاَقِهِ ، والقِيامُ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ ، والبُعْدُ عمَّا يَنْهَى عنْهُ ، فَهمْ يَغُرُّونَ الْعامةَ ، لِيُغَرِّرُوا بِعقُولِهَا [(٥)] وهذِهِ الطائِفَةُ أَيْضاً لَيْسَتْ حُجةً على الدِّينِ ، لأَنَّها تَدْعُو بِاسْمِهِ رَجاءَ المَنْفَعَةِ الخاصةِ ، وتُنَفِّرُ السُّذَّجَ مِمَّنْ لاَ يَدِينُ بِدِينِهِم بُغْيةَ السَّيْطَرَةِ على عُقولِهِمْ ، وأَمَلاً بِالسُّلْطَةِ على أَرْوَاحِهِمْ ، واللّٰهُ بَرِيءٌ مِنها ومِنْ أَعمَالِها .

***

الذى يحمل الخصم على الخضوع (١) يفقهون يعلمون ويفهمون (٢) يزرون : يحملون . والمراد ما يحملون من اثقال هذه الاعمال المخالفة للدين . والماضى وزر . والوزر بالكسر : الحمل الثقيل ، والذنب (٣) شعائر الدين : أعماله التى تقرب الى الله . والمفرد شعيرة . والشعيرة أيضا : العلامة . (٤) جعبة عقيدتها : وعاؤها . والجعبة فى الاصل : وعاء السهام (٥) غرر به : عرضه للهلكة

وتعصبك لجنسك ولغتك يجعلك مرهوب[1] البأس عند غيرك ، رفيع المنزلة لديه ، واحتقارك إياهما يدعك مسخوراً[2] بك عند من لا تجمعك وإياه لغة ، ولا تضمكما جنسية . وهذا أمر واضح ظاهر عياناً

وكما أن تفسير التعصب للدين على غير وجهه أمر مذموم كما علمت ، فكذلك تفسيره في مقام الجنسية واللغة باحتقار لغات الناس وجنسياتهم ، وإلحاق الأذى والمكروه بهم ، أمر لا يتفق مع التعصب المحمود ، ولا يجري مع الحق في ميدان ، فعليك ، أيها الناشئ ، أن تحترم لغة غيرك وقوميته كما تحب منه أن يحترم منك ذلك .

***

وتعصبك لما تراه حقاً من المذاهب السياسية والاجتماعية ومناضلتك[3] عنه أمر يدعوك إليه الواجب ، ويطلبه منك الوجدان ، فناضل عن ذلك بالبرهان الساطع[4] ، والدليل القاطع ، والحجة القامعة[5] والمجادلة النافعة ، وارأ[6] بنفسك

---

(١) مرهوب : مخوف (٢) مسخوراً بك : مستهزأ بك (٣) المناضلة : المدافعة والمحاماة (٤) البرهان : الدليل والحجة . والساطع : اللامع . وأصل معنى السطوع : الارتفاع والانتشار . (٥) القامعة : القاهرة المذللة (٦) أربأ بنفسك : ارفعها ونزهها

أنْ تَرِدَ مَوَارِدَ الشَّطَطِ[١] فى القَوْلِ أَوْ تَلِجَ[٢]، للتَّوَصُّلِ إلَى بُغْيَتِكَ، أَبوابَ الفُحْشِ والبَذَاءِ[٣]، فإنّ لِغيرِكَ رَأْياً يَجِبُ أَنْ يُحتَرَمَ، ومَبْدأً يَجِبُ تَعزِيزُهُ[٤]، كما تُحِبُّ تَعزِيزَ مَبْدَئِكَ، واحتِرَامَ مَذْهَبِكَ، فإنِ استَطعْتَ أنْ تُرْجِعَهُ عَنْ مذْهَبِهِ إلَى مَذْهَبِكَ بالحُجَّةِ البَالِغَةِ، والبرْهَانِ الدَّامِغِ[٥]، واللِّينِ مِنَ القَوْلِ فافعلْ، وإلاَّ فَدَعْهُ وَشأْنَهُ، فلَسْتَ عليهِ بمُسَيْطِرٍ.

واحْذَرْ أَنْ تَتَّخِذَ تَعَصُّبَكَ ذَرِيعَةً[٦] للانْتِقامِ، فلَيْسَ هٰذا مِنْ شأْنِ الكِرَامِ، ولاَ تَدَعِ الاخْتِلاَفَ فى الرَّأْىِ، والتَّفرُّقَ فى الدِّينِ أَوِ الجِنْسِ أَوِ اللُّغَةِ، يَنْهَشَانِ جِسْمَ الاجْتِماعِ، ويَفرِيَانِ إهَابَ المدَنيَّةِ[٧]، ويُمَزِّقَانِ شَمْلَ الإنْسَانيَّةِ، خُصُوصاً إذَا كانَ الاخْتِلاَفُ مَعَ أَبْنَاءِ الأُمَّةِ الوَاحِدَةِ، والوَطنِ السِّياسيِّ الوَاحِدِ.

فإلى التَّعَصُّبِ الحَميدِ، أَيُّها النَّاشئُ، أَدْعُوكَ، فإنهُ رَسولُ السَّعادَةِ، وبَرِيدُ[٨] التَّرَقِّى، فتَعَصَّبْ لِمَا تَعتَقِدُ أَنهُ الحَقُّ،

(١) الشطط: مجاوزة الحد (٢) تلج: تدخل (٣) الفحش والبذاء: قبيح القول (٤) تعزيزه: تقويته وتشديده (٥) الدامغ: القاهر الذى يبطل حجة الخصم، وأصله من الدمغ وهو شج الرأس حتى تبلغ الشجة الدماغ (٦) ذريعة: وسيلة (٧) يفريان: يشقان ويقطعان. والاهاب: الجلد (٨) البريد: الرسول.

وَتَمَسَّكْ بِدِينِكَ وَقَوْمِيَّتِكَ وَلُغَتِكَ عَلَى الوَجْهِ الَّذِي شَرَحْتُهُ لَكَ ، تَكُنْ مِنَ المُفْلِحِينَ .

٣٧

وُرَّاثُ الأَرْضِ

مَنْ أَصْلَحَ أَمْرًا كَانَ صَالِحًا لأَنْ يُهَيْمِنَ[١] عَلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يُوَرِّثْهُ إِيَّاهُ آبَاؤُهُ وَأَجْدَادُهُ ، وَمَنْ أَفْسَدَهُ أَفْلَتَ مِنْ يَدِهِ ، وَصَارَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَإِنْ كَانَ بِيَدِهِ صُكُوكٌ[٢] تُثْبِتُ وِرَاثَتَهُ إِيَّاهُ ، وَشُهُودٌ عَدْلٌ تُقِرُّ أَنَّهُ مُلْكُهُ .

كُلُّ مَا فِي الوُجُودِ مُلْكٌ لِلَّهِ يُصَرِّفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ ، وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ شَاءَ إِلَى مَنْ شَاءَ ، وَقَدْ عَلَّقَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَشِيئَتَهُ عَلَى وُجُودِ أَسْبَابٍ تَدْعُو إِلَى ذَلِكَ ، فَمَنْ سَعَى لِهَذِهِ الأَسْبَابِ

---

(١) يهيمن : يراقب ويحافظ . والمهيمن : الحافظ الرقيب . وهو من أسماء الله أيضاً لانه قائم حفيظ على خلقه وأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم (٢) الصكوك : جمع صك وهو الكتاب ، وكتاب الاقرار بالمال أو غيره . ومن الغريب ان الافرنج أخذوا هذه الكلمة من لغتنا الي لغتهم مصحفة فقالوا « شيك » ونحن اليوم أخذناها عنهم بتصحيفها واستعملناها في مصالحنا التجارية وغيرها . وحبذا لو نرجع الى تراث آبائنا في الاقوال والاعمال .

سَعْيِهَا ، ودَخَلَ الْبُيُوتَ منْ أبْوَابِها ، كانَ أَحَقُّ بوِرَاثَةِ الأمْرِ مِمَّنْ لاَيَصلُحُ لهُ .

الأُمَمُ على هذهِ الْبَسِيطَةِ خَدَمَةٌ لِلّهِ فيها وأُجَرَاءُ يَعمَلُونَ لِعُمْرَانِهَا ، فَمَنْ كانَ صَالِحًا لِهذهِ الخِدْمَةِ أفْسَحَ لهُ فِى الوِلاَيَةِ علَيْها ، ومنْ أَسَاءَ انتزَعَها منهُ قَسْرًا[1] .

إذَا استَخدَمْتَ أَحداً ليَعْمَلَ لَكَ شيئًا ، فإنَّكَ تُرَاقِبُهُ مُرَاقَبَةً تَامَّةً ، فإِنْ رَأَيْتَهُ أَحْسَنَ الخِدْمَةَ أَبْقَيْتَهُ على عَمَلِهِ ، وإنْ زَادَ فِى الإحْسَانِ زِدْتَهُ فِى الأجْرِ ، وإنْ بَصُرْتَ بهِ قدْ أَسَاءَ وشَوَّهَ مَا تُرِيدُ تحْسِينَهُ أَنذَرْتَهُ بَادِىءَ ذِى بَدْأَةٍ ، حَتى إذَا لَمْ يَبْقَ لَكَ أَمَلٌ فِى تجْوِيدِهِ الْعَمَلَ ، انتزَعْتَ مَا كانَ بِيَدِهِ منْ عَمَلِكَ ، وَطَرَدْتَهُ منْ خِدْمَتِكَ ، وتَكُونُ قدْ أَحْسَنْتَ فِيما فَعَلْتَ كلَّ الإحْسَانِ ، وَإنْ تغَافَلْتَ عَنْ إسَاءَتِهِ ، أَوْ لمْ تُدْرِكْ فَسَادَ صُنْعِهِ ، كانَتْ عاقِبَةُ أَمْرِكَ الْخُسْرَانَ ، وَنِهَايَةُ مَصْلَحَتِكَ الْخَرَابَ ، ولاَ يَرْضَى بذَلِكَ إلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ .

الإنْسَانُ خَلِيفَةُ اللهِ فِى الأرْضِ ، وإِليْهِ وَكلَ[2] أَمْرَ عُمْرَانِهَا وتجْوِيدِهَا :

---

(١) قسراً : قهراً (٢) وكل : سلم .

فإنْ أحسنَ السَّيْرَ فى مناكبها[1]، فدبَّر شؤونها، وعمَّر أقطارها، واستخرج خيراتها، وأثار[2] كامنَ[3] ثروتها، وسار فى مناهج[4] العدْل فيها، ونشر العِلْمَ الصحيح بين سكَّانها، ولم يحِدْ عن العمل بالأناظيم[5] التى سنَّها الخالق سبحانه — كان خليفته فيها حقًّا، وظلَّ بيده زمام أعمالها.

وإنْ أساء السِّيرةَ، ولم يحسن القيام على ما استُودِع، حلَّ به ما حلَّ بغيره، فصار ذليلاً بعد العزّ، ووضيعاً بعد الرِّفعة، محكوماً بعد أنْ كان حاكماً، فقيراً بعد أنْ كان غنيًّا، وأورث اللهُ ما كان بيده غيرَه، ونزع عنه لباس الإمارة، وألبسه من اختاره لها، وإلى ذلك الإشارةُ بقوله تعالى: « ولقد كتبنا فى الزَّبور[6] من بعد الذِّكر أنَّ الأرض يرثها عبادى الصالحون » والمرادُ بالصالحين فى هذا المقام من كانوا صالحين لعمارتها، وتجويد أعمالها، وتحسين حال سكَّانها، بنشر العلم، وبسط لواء العدل، والاحتياط لدفع العدوّ،

(١) مناكب الارض: نواحيها وجوانبها وطرقها (٢) اثار: استخرج واظهر. وأصل معنى الاثارة: التهييج والتحريك (٣) الكامن: المختبئ (٤) المناهج: جمع منهج وهو الطريق الواضح (٥) الاناظيم: جمع نظام (٦) الزبور: الكتاب المنزل على نبي الله داود عليه السلام. والزبور فى اللغة: الكتاب

والأَخْذِ بِيَدِ الأعمالِ النّافِعةِ . كالزِّراعةِ والصِّناعةِ والتِّجارةِ ، وليسَ المُرادُ بِهم مَنْ يُطيلونَ الرُّكوعَ والسُّجودَ ، وهُمْ عَنِ اتّخاذِ الأسْبابِ لِوِراثةِ الأرْضِ هُجُودٌ[1] ، فهذا أَمرٌ رُوحِيٌّ مَحْضٌ[2] ، تَعودُ مَنفَعَتُهُ في الآخرةِ على القائِمِ بهِ وحدَهُ ، وذلِكَ أَمرٌ مادِّيٌّ لا يكونُ إلاّ بالوَسائلِ التي هَدَى اللهُ إليْها ، والأسْبابِ التي مَنْ رَعاها[3] حَقَّ رِعايَتِها ، كانَ بيدِهِ زِمامُ الامرِ والنهيِ .

أَيُّها النّاشِئُونَ : إنَّ أُمّتَكُم قد عَراها[4] فَسادٌ في أخلاقِها صَرَفَها عَنِ العَمَلِ النّافِعِ ، وصَدَفَها[5] عنِ الأسْبابِ التي تجعَلُها صالِحةً لِعُمْرانِ الأرضِ حتى تكونَ وارِثَتَها ، فَحَلَّ فِيها الشقاءُ ، ونَزَلَ بِها البلاءُ ، وأَناخَتْ[6] فيها اللأْواءُ[7] ، واستَحكَمَ فِيها الدّاءُ ، وأَنتُمْ مَوْرِدُ سَعادَتِها ، ومَنْهَلُ[8] رَجائِها ، ومُخَفِّفو شِدَّتِها ، وأَطِبّاءُ أَدْوائِها[9] ، فأَصلِحُوا مِنْ أَمْرِها ، وسَدِّدُوا خُطُواتِها[10] وسَيِّرُوها في مَناهِجِ العَمَلِ الصّالِحِ ، حتى تكونَ لِلأرْضِ

(١) هجود : نائمون . والمفرد هاجد (٢) المحض : الخالص الذى لم يخالطه غيره (٣) رعاها : حفظها وتعهدها (٤) عراها : أصابها (٥) صدفها : صرفها (٦) اناخت : نزلت وحلت (٧) اللأْواء : الشدة (٨) المنهل : المورد (٩) الادواء : جمع داء (١٠) سددوا خطواتها : ارشدوها طريق السداد والصواب

وَارِثَةً ، ولِعُمْرَانِها خَادِمةً ، فَتعُودَ إلى سِيرَتِها الأُولَى ، وتَرْجِعَ فى حافِرَةِ مَجْدِها[١] السَّابقِ ، فقَدْ كَفاهَا ما تَقَصَّهُ العَدُوُّ منْ بلادِهَا ، ومَا أَصابَهَا منْ ضَعْفِ أَخلاقِها و مُمَيِّزَاتِها ومُقَوِّماتِها .

أَنتم أَنتمْ ، أَيُّهـا النَّابِتون، نِبرَاسُ[٢] الأَمَلِ ، ونَجمُ الهُدَى، وهَدَفُ[٣] العُلَى ، وغَرَضُ المُنى ، فأَحسِنُوا لأُمَّتِكُمْ ، وابْذُلوا كلَّ هِمَّتِكُمْ ، وأَوْقِدُوا نَارَ عَزِيمَتِكُمْ ، تَكُنْ لَكُمْ أُمَّةٌ صَالِحَةٌ تَحْيَوْنَ بهَا حَيَاةً طَيِّبَةً ، وتَحْيَا بكُمْ نَاهِضَةً عَظِيمَةً رَاقِيَةً .

٣٨

الحادث الاول

تَنَبَّهْ لِلْحادِثِ الأَوَّلِ ، فإِنَّ فِيـهِ الصُّعُودَ أَو الهُبُوطَ ، والتَّقَدُّمَ أَو التَّأَخُّرَ ، والمَوْتَ أَو الحَيَاةَ .

رَأَيْنا كَثِيرًا لا يأْبَهُونَ[٤] لِأَوَّلِ طَارِئٍ ، ولا يُبالونَ بهِ ،

---

(١) رجع فلان في حافرته : عاد فى الطريق التى جاء فيها (٢) النبراس : المصباح (٣) الهدف : الغرض الذى ينصب ليرمى اليه . (٤) لا يأبهون : لا يلتفتون ولا يعبأون .

كأنما هوَ أمرٌ غيرُ ذي بالٍ[1]، ولوْ علِموا أنَّ عواقبَ الأمُورِ تَلْحَقُ أَوَائِلَها وتسيرُ سِيرتَها، لَتَنَبَّهُوا لِلحَادِثِ الأوّلِ، وَبَذَلوا كلَّ جُهْدٍ لِدَفعِهِ، وتَلَقَّوْهُ كما تتَلَقَّى الجِبالُ الرّاسياتُ، طَوَارِئَ[2] النّكبَاتِ[3].

النَّتَائجُ تَتْبَعُ المُقَدِّماتِ فَسَادًا وصَلاحًا، فإنْ صَلحتِ المُقَدِّماتُ صَلحَتِ النَّتَائجُ، وإنْ فَسَدَتْ فَسَدَتْ.

يَقُومُ بَعْضُ النّاسِ بِعَمَلٍ، ويَسْعَى إليْهِ كلَّ السَّعْيِ، وبينَا هُوَ قائِمٌ بهِ يَطرَأُ عليْهِ طارِئٌ مَا، حَقِيرًا كانَ أوْ عظِيمًا، فيَجْبُنُ عَنْ إتْمَامِ مَا قَصدَ إليْهِ، ويَتَثَبَّطُ[4] عَنْهُ، وتَضعُفُ عَزِيمَتُهُ قَبْلَ بُلوغِ المُرَادِ، ومَا ذَلِكَ إلاّ منْ فَقْدِ الصبْرِ، وجُبْنِ النَّفْسِ وإنّما الصّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولى.

ويَنْهَضُ غيرُهُ إلى أمْرٍ، فتَنْصَبُّ عليْهِ الطَّوَارِئُ، وتُحِيطُ بهِ العَوَائِقُ، وتَنْهَدُ[5] إليهِ المُثَبِّطَاتُ[6] مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فيَتَحَمَّلُها رَابِطَ الجَأْشِ، ثابِتَ العَزِيمَةِ، إلى أَنْ يَتَغلَّبَ علَيْها،

(١) امر غير ذي بال : لا يفتكر به (٢) الطوارىء : الحوادث (٣) النكبات المصائب (٤) يتثبط : يتعوق ويتباطأ (٥) تنهد : تسرع وتصمد (٦) المثبطات : المعوقات .

ثمّ يَسيرُ نحْوَ مَا قَصَدَ لهُ بِهمّةٍ لاَ تعرِفُ المَلَلُ ، حتّى يَنالَ مَا يُريدُ ، ومَا ذَلِكَ إلا لأنَّهُ صَبَرَ على الحادِث الأوّلِ ، وتَنَبّهَ لِبَادىءِ الطّوَارِئ ، وَدَفعَ عَنْهُ هاجِسَ[1] الْجُبْنِ والجَزَعِ[2] ، بِسَبَبِ ما أُوتِيَهُ مِنْ شجَاعةِ القلبِ ، ومَا تَرَبّى عليه من الصبر عند أُولى الصّدَمَاتِ .

ومَا تَرَاهُ مِنْ فَشَلٍ كَثيرٍ مِمّنْ يَقُومُ بالأعمال، مُسَبّبٌ عن الجَزَعِ عنْد الحادثِ الأوّلِ . فتَنَبّهْ لِلحادث الأوّلِ :

السكوتُ عِنْدَ أَوّلِ فَسادٍ يَعْرُو[3] مَا تَعْتَنِقُهُ مِنَ المَبادِئ داعٍ لِسَرَيانِ الْفسَادِ إلَى سائِرِهِ .

وجُبْنُكَ فِي الدّفاعِ عَنْ ثَغْرِ[4] حقكَ ، سَبَبٌ لِتَغَلْغُلِ العَدُوِّ فِي أَحْشائِهِ

ومَا وُلُوعُ الانْسانِ بالشّرِّ ، وَضرَاوَتُهُ[5] بالمُنْكَرِ ، إلا لاسْتِهانتهِ بِكَبْحِ[6] جِماحِ[7] نَفْسِهِ الامّارَةِ عِنْدَ أَوّلِ مَيْلٍ لِلفَسَادِ .

---

(١) الهاجس : مايدور فى الخلدويخطر بالبال (٢) الجزع : الاضطراب، وهو نقيض الصبر (٣) يعرو ، يصيب (٤) الثغر : الشق بين الجبلين : وموضع المخافة من البلد يخاف منه هجوم العدو : واضافة الثغر الى الحق مجاز (٥) الضراء بالامر : تعوده حتى يصير عادة (٦) الكبح : جذب الدابة باللجام لتقف فلا تجرى (٧) الجماح : أن يركب الفرس رأسه لا يثنيه شىء ولا يرده شىء .

وَالْغَيْثُ[١] أَوَّلُهُ الْقَطْرُ . وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ . والنَّوَى[٢] أَوَّلُ الشَّجَرِ

وَدَاءُ الْخُمَارِ[٣] ، والانْهِمَاكُ فِي الْعُقَارِ[٤] ، مِنَ الكَأْسِ الأُولى

وَتَتْيِيمُ[٥] الغَرَامِ ، مِنْ أَوَّلِ السِّهَامِ .

وَالحَرْبُ أَوَّلُهَا الكَلامُ ، وأَوْسَطُها الضِّرَامُ[٦] ، وَخِتَامُها الحِمَام[٧]

وَإِنْ تَجْبَهْ[٨] كلَّ حَادِثٍ قَبْلَ أَنْ يَجْبَهَكَ ، وَتَدْفَعْ كلَّ طَارِئٍ قَبْلَ أَنْ يَعُشَّكَ[٩] تأمَنِ الغَوائلَ[١٠] ، وَتَعِشْ آمِنًا فِي سِرْبِك[١١] ، سَعِيداً في عَمَلِكَ ، عزيزاً بين قومِكَ .

أَيُّهَا النَّاشِئُون ، إِنَّ مِنْ أَدْوائِنا[١٢] الّتِي تَحُولُ بَيْننا وَبينَ مَا نَشْتَهِي الجَزَعَ عِنْدَ الحَادث الأَوَّل ، وَعَدَمَ الصبرِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى . فَذَلِكَ الخُلُقُ ما مَلَكَ نُفُوسَ قَوْمٍ إلا صيرَّهم عَبِيدَ الْعَصَا[١٣] ، وَأَلْبَسَهمْ رِداءَ الذُّلِّ ، وَجَعَلَ

(١) الغيث: المطر (٢) النوى : بزر التمر ونحوه (٣) الخمار : صداع الخمر واذاها
(٤) العقار: من اسماء الخمر . (٥) تتييم الغرام : تذليله صاحبه وتعبيده اياه
(٦) الضرام : الاشتعال (٧) الحمام : الموت (٨) تجبه :تدفع وتمنع ، واصل معنى الجبه :ضرب الجبهة (٩) يعشك: يطلبك (١٠) الغوائل : المهلكات (١١) السرب بكسر السين :النفس والعيال والحرم (١٢)الادواء : جمع داء (٣١) عبيد العصا :اذلاء

سَعْيِهِمْ سُدًى، وَعملهم هَبَاءً مَنْثُوراً (١) تذْرُوهُ (٢) رِيَاحُ الْجُبْنِ وَالْجَزَعِ .

فَتَعَوَّدُوا رَعَاكُمُ اللَّهُ ، الصَّبْرَ ، وَتَشَدَّدُوا عِندَ الحادثِ الأوّل ، يَسْهُلْ عليكم تلقّى مابَعدَهُ ، وَتكونُوا فى أعمالكم ناجحين .

٣٩
انتظر الساعة

نَجَاحُ العَمَلِ أنْ يَتَوَلاَّهُ أهلُهُ . وَالفَشَلُ فيهِ أَنْ يُوَسَّدَ (٣) إلى غيرِ أَهْلِهِ .

مَا رَأَيْنَا عَملاً مِنَ الأَعْمَالِ تَوَفَّقَ فيهِ القَائمونَ بهِ إلاّ كانوا مِنَ الصّالِحِينَ لهُ . ومَا شَاهَدْنَا مَصلَحَةً مِنَ المصَالِحِ أَخْفَقَ (٤) فيهَا عمّالهَا ، إلاّ كانُوا مِنَ الطُّفَيْلِيينَ (٥) عَلَيْهَا

(١) الهباء : الغبار ، أو شيء يشبه الدخان ينبث فى ضوء الشمس . منثوراً : متفرقا
(٢) تذروه : تذره وتفرقه وتطيره . (٣) يوسد : يسند (٤) اخفق فى الامر لم ينجح فيه (٥) الطفيلى : من يدخل فى أمر لم يدع اليه ، نسبة الى طفيل رجل من أهل الكوفة كان يأتى الولائم من غير أن يدعى اليها

إنّ لكلّ عمل وسِّدَ إلى غير أهلِه نهايةً هيَ الخرابُ ، وساعةً ينتهي إليها أهلُه هيَ الفشلُ فيه . وإلى ذلكَ الإشارةُ في الحديثِ الصّحيح : «إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهلِه فانتظرِ السّاعةَ» أيْ ساعةَ الإخفاق فيهِ وفسادِه .

ومتى فسَدَ هذا الكَوْنُ ، وتمادَى مَنْ عليهِ في الفُسوقِ والعِصيانِ ، وأوْسعُوا الخُطى[1] في التفرّق بعدَ الاجتماعِ والتّخريبِ بعْدَ العُمْرانِ ، والكُفرِ بسُنَنِ[2] اللهِ بعْدَ الإيمانِ كانتْ ساعتهُ ، وقامتْ قيامتهُ ، وصدمتْهُ الصّدماتُ تتلوها[3] النّكباتُ ، يَوْمَ ترْجُفُ[4] الرّاجفةُ[5] تتبعُها الرّادفةُ[6] ، قلوبٌ يومئذٍ واجفةٌ[7] ، أبصارُها خاشعةٌ[8] وإنّما يكونُ ذلكَ ، لأنّ أهلَهُ لم يعُودُوا صالِحينَ له ، بما أتوْهُ منْ ضُروبِ الفُسوقِ[9] عنِ الأنظمةِ التي سنّها اللهُ ليعمَلوا بها ، فحادُوا عنها ، وسلكُوا غيرَ سبيلِها . وانّ اللهَ يُمهِلُ ولا يُهمِلُ ، حتّى إذا لَمْ يبْقَ في قوْسِ الرّجاءِ منْزعٌ[10] ، أخذَ الفاسقَ عنْ

(١) الخطى : جمع خطوة (٢) سنن الله : انظمته التى سنها لعباده (٣) تتلوها تتبعها (٤) ترجف : تضطرب (٥) الراجفة : المراد بها النفخة الاولى التى تكون مقدمة ليوم القيامة (٦) الرادفة : التابعة : والمراد بها النفخة الثانية (٧) واجفة مضطربة خائفة (٨) خاشعة : ذليلة خاضعة (٩) الفسوق عن الشيء : الخروج عنه (١٠) لم يبق فى قوس الرجا منزع : لم يبق امنزل ولا رجاء .

سُنَّتِهِ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ ، وأَوْرَدَهُ مَوارِدَ ما كَسَبَتْهُ يداهُ .

تِلْكَ سُنَّةُ اللهِ ، وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً .

مَا مِنْ قَوْمٍ عُهِدَ إِلَيْهِم فِي أَمْرٍ فَلَمْ يُحْسِنُوا فِي سِياسَتِهِ ، وَلَم يَرْعَوْهُ(١) حَقَّ رِعايَتِهِ ، إلاَّ انْتَزَعَهُ مِنْهُم مَنْ عَهِدَ فيهِ إِلَيْهِم وَتَقَدمَ بِهِ إِلى غَيْرِهِم مِمَّنْ يَرَاهُ صالِحاً له . فَإِنْ أَبْقَاهُ فِي يَدِ مَنْ أَساءَ التَّصَرُّفَ فيه فَانْتَظِرْ ساعةَ خَرَابِهِ .

التَّوْفِيقُ فِي الأَعْمَالِ أَنْ تُوَسَّدَ إلى صالِحِ أَهْلِها :

فَإِنْ عُهِدَ فيما يَرْجِعُ للعِلْمِ إِلى الجُهَّال ، عَمَّ الجَهْلُ ، وسَادَ أَهْلُه ، فَسَاءَ بِذَلِكَ المَصِيرُ .

وَإِنْ يُتَقَدَّمْ فِي الصِّناماتِ إِلى مَنْ لاَ يُحْسِنُها ، كانَتْ عاقِبَةُ ذلِكَ الخُسْرَانَ وَفَسَادَ الأَعْمَالِ .

وَإِنْ أُلْقِيَتْ إِلَى الفُسَّاقِ أَوِ الجَهَلَةِ فِي الدِّينِ مَقَالِيدُ(٢) الْوَعْظِ والإِرْشَادِ ، وَمُنِحُوا مَناصِبَ التَّدْرِيس ، وَأُقْعِدُوا عَلَى مَنَصَّاتِ(٣) الأَعْمَالِ الدِّينِيَّةِ — ضَلَّلُوا النَّاسَ ، وَسَلَكُوا

---

(١) لم يرعوه : لم يحفظوه ولم يتعهدوه (٢) المقاليد : المفاتيح . والمفرد مقلاد

(٣) المنصات : جمع منصة بفتح الميم وكسرها وهى الكرسى . وأصلها الكرسى توضع عليه العروس فى جلائها لترى من بين النساء .

بهم غيرَ سبيلِ الهُدَى . وَفي ذلكَ مافيهِ منْ إضعافِ الدِّينِ في نفوسِ العامَّةِ ، وَتشويهِ محاسنِه في عيونِ الغَريبِ عنهُ

ومتى وُسِّدَتِ أعمالُ الدَّولةِ إلى الأغرارِ (١) الذينَ لايعرفونَ منها إلاّ أسماءَها ، أوْ إلى الذينَ لا يرقبونَ في مصالحِها إلاّ (٢) ولا ذِمةً ، بلْ يعملونَ ليلَ نهارَ على مايُضعفُ بأسها ليملأوا منْ ذلكَ حقائبَهمْ (٣) ويُشبعوا بطونَهم ، ولوْ كانَ في ذلكَ الخرابُ — فانتظرِ السّاعةَ ، وارتقبْ (٤) قيامةَ الدَّولةِ .

وَإلى كلِّ ذلكَ الإشارَةُ في الحديثِ : « استعينوا على كلِّ عمَلٍ بِصالحِ أهلِهِ » ، فإنِ استعنّا بالصّالحِ للأمرِ عليهِ ، كانَ منْ ورائِهِ التّوفيقُ فيهِ والنّجاحُ ، وإنْ عهدْنا في العَمَلِ إلى غيرِ صالحٍ له ، فقدْ أسلمْناهُ إلى الخرابِ ، وقذفْنا بهِ في لُجَجِ (٥) الدَّمارِ .

فأوصيكَ أيُّها النّاشئُ ، أنْ لاتستعينَ في عَمَلٍ منَ أعمالِكَ إلاّ بمَنْ يكونُ لهُ أهلاً ، وإلاّ أخفقتَ في سعيِكَ ، وفشلْتَ في أمرِكَ

---

(١) الاغرار : جمع غر وهو من لم يجرب الامور (٢) الالّ : العهد (٣) الحقائب : جمع حقيبة وهى خريطة يعلقها المسافر فى الرحل للزاد ونحوه (٤) ارتقب : انتظر (٥) اللجج : جمع لجة وهى معظم الماء . والدمار : الهلاك

وإيَّاكَ أَنْ تتولَّى عملاً لا تَصلُحُ له ، فتكونَ من النَّادمينَ ، وَيكونَ مُوَلِّيكَ منَ الخاسِرينَ ، يومَ تأْتيكَ ساعةُ الشُّؤمِ ، فتذرُكَ[1] وعملَكَ في الهاوِيَةِ[2] ، فاحْذَرْ ذلكَ إنِّي لَكَ منَ النَّاصِحينَ .

٤٠

التجويد[3]

تجويدُ العَمَلِ مَعَ الإبْطَاءِ[4] بِهِ ، خيرٌ مِنَ الإسْرَاعِ بِهِ مَعَ إرْدَائِهِ[5]

ولأَنْ تمْشيَ كلَّ يَوْمٍ ساعةً وتَستريحَ سائرَ اليومِ ، حتَّى تَصلَ إلى المَقْصِدِ[6] في رَاحَةٍ ، خيرٌ مَنْ أنْ تسيرَ النَّهارَ كلَّهُ ، حتى تبلُغَ ما أنتَ تقصِدُ لَهُ في مَشقَّةٍ وعناءٍ[7] .

وَعَمَلُكَ كلَّ يَوْمٍ ساعاتٍ مَعْدُودَةً مَعَ إتقانِ صُنْعِكَ، أَوْلى

(١) تذرك : تدعك وتتركك (٢) الهاوية : الحفرة العظيمة . (٣) التجويد : التحسين والاتقان (٤) الابطاء بالشيء : تأخيره (٥) الارداء: الافساد . اردأ الشيء : أفسده : واردأ الرجل : فعل فعلا رديئاً (٦) المقصد : مكان القصد (٧) العناء : التعب والمشقة

منْ أَنْ تَجْهَدَ(١) نَفْسَكَ الْيومَ كلَّهُ حتى تَمَلَّ ، فإنَّ المَلَلَ داعيةُ الاساءَةِ في الْعَمَلِ ، وسبَبُ الانْقِطاعِ عنهُ .

الْعِبادَةُ شيْءٌ جميلٌ تَصبُو(٢) إليْهِ نفُوسُ الْمُؤْمنِينَ ، ومعَ هذا فالانْقِطاعُ إليْها ، وتفْرِيغُ النفْسِ إلى إقامَةِ شَعائِرِها(٣) ، أمْرٌ ذمَّهُ الشرْعُ ، لِمَا في الاكْثارِ منها منْ إرْدائِها وعَدَمِ تجْوِيدِها ، حتى تكُونَ نِهايَةُ الأمْرِ السآمَةَ مِنْها ، وقدْ وردَ في الحديثِ : « إنَّ لِرَبِّكَ عليكَ حقًّا ، وإنَّ لِنَفْسِكَ عليكَ حقًّا ، وإنَّ لِأَهْلِكَ عليكَ حقًّا ، فأدِّ كلَّ ذِي حقٍّ حقَّهُ »

رَأَيْتُ كثيرًا منَ النَّاسِ يَعْملُونَ كثيرًا في وَقْتٍ قليلٍ حتى إذَا آنَ(٤) وَقْتُ استِثْمارِ(٥) الْعَمَلِ ، لمْ يُوافِقْ حِسابُ الْحَقْلِ حِسابَ الْبَيْدَرِ(٦) ومَا ذَلكَ إلاَّ لِأنَّ الناسَ لاَ يَخْتارُونَ منَ الْعَملِ إلاَّ مَا كانَ جيِّدًا مُتقَنًا ، فيَبْذُلونَ في سَبِيلِهِ مَا يَليقُ بِهِ منَ الثمَنِ ، وإنْ أخَذُوا الرَّدِيءَ ، فلاَ يَنْفَحُونَ(٧) صاحِبَهُ الاَّ بالنَّذْرِ(٨) الْيَسيرِ الذِي يُساوِيهِ .

---

(١) تجهد نفسك : تتعبها وتحملها على مالا تطيق (٢) تصبو : تميل (٣) شعائرها اعمالها (٤) آن : حان وقرب (٥) استثمار العمل : الانتفاع بثمراته (٦) الحقل : الزرع مادام أخضر ، والارض الطيبة المخصصة للزرع ، والبيدر الموضع الذى يداس فيه الحب ، والعبارة مثل للعامة يقال لما لم توافق مقدماته نتائجه

(٧) ينفحون : يعطون ، نفحه بشيء : أعطاه اياه (٨) النذر : القليل اليسير .

ورَأَينا بعضَ النَّاسِ يَعمَلونَ العَمَلَ القَليلَ في مُتَّسَعٍ منَ الوَقتِ، لِيَزيدُوا في إتقَانِهِ، ومَتى دَنَتْ[١] ساعَةُ النَتيجَةِ، قَطَفُوا منْ أشْجارِ صُنعِهِمْ ثمَرَاتٍ كَثيرَةً يانِعَةً[٢]، ومَاهِيَ إلاَّ ثمَرَاتُ التَحسينِ والتَّجويدِ.

التَّجْويدُ ضَرُوريٌّ لِحَياةِ الأعمَالِ، وضَرْبَةُ لاَزِبٍ[٣] لِمَنْ أَرَادَ التَّوفيقَ فِيهَا، فَقدْ وَرَدَ في الحَديثِ: «كَتَبَ اللهُ الإحسَانَ على كلِّ شَيْءٍ» والإحسَانُ مَعْناهُ الإتقانُ والتَّجْويدُ، فَمَنْ أَحسَنَ في عَمَلِهِ، وجَوَّدَهُ فأَتْقَنَ تجْويدَهُ، جَنى منْ وَرَاءِ إتقَانِهِ مالاَ يَعرِفُهُ إلاَّ المُحسِنونَ في أعمَالِهِمْ، ومَنْ أَساءَ فيهِ، كانَتْ عاقِبَتُهُ الحِرْمانَ والنَّدَمَ.

وَما الأعْمَالُ إلاّ كالبَسَاتينِ.

فَكمَا أَنَّ البُسْتانَ الذي يُجَوِّدُهُ البُسْتانيُّ، ويَخْدُمُهُ خِدْمَةً صَادِقَةً، يُؤتي أُكُلَهُ[٤] جَنِيًّا[٥]، فكَذَلِكَ سَائِرُ الأعْمالِ.

لَيْسَتِ العَجَلَةُ في العَمَلِ سَبَبَ التَّوفيقِ فيهِ، فَرُبَّ عَجلَةٍ

---

(١) دنت: قربت (٢) يانعة: طيبة. ينع الثمر وأينع: ادرك وطاب وحان قطافه (٣) هذا الامر ضربة لازب وضربة لازم: أي ثابت لازم لابد منه (٤) الاكل بضم الكاف وتسكينها: الثمر، والرزق الواسع (٥) جنياً: غضاً طريا: والجنى: الثمر الذى قطف من ساعته

أَعقَبَتْ رَيْثاً [١]، وأَوْرَثَتْ نَدَامةً، وإنمـا التَرَوِّى فى تجْويدِهِ هُوَ الدّاعِى إلَى النّجَاحِ فيهِ، وقدْ وَرَدَ فى الحَدِيثِ: «إنَّ هـٰذا الدِّينَ مَتِينٌ، فأَوْغِلْ فيهِ [٢] بِرِفْقٍ، ولاَ تُبغِّضْ لِنَفْسِكَ عِبادَةَ اللهِ، فإِنَّ المُنْبَتَّ [٣] لاَ أَرْضاً قَطَعَ، ولاَ ظَهْراً أَبْقَى»

فاحْذَرُوا أَيُّها النابِتُونَ، الإِسْرَاعَ فى العَمَلِ منْ غيرِ تجْوِيدِهِ فالاسْرَاعُ قَبْلَ التَرَوِّى دَاعِيَةُ الفَشَلِ والاِخْفاقِ [٤]، والتأنى مَعَ التّحْسِينِ سَبَبُ التوفيقِ، فإِنَ النَّاسَ كمَا قالَ الفَيْلَسُوفُ، لاَيَسأَلونَ عَنْ سُرْعَةِ العَمَلِ، وَإِنمَا يَسأَلونَ عَنْ جودَتِهِ [٥]

٤١

المرأة

مِنْ أَمْثَالِ العَرَبِ: «كلُّ ذَاتِ صِدارٍ [٦] خَالَةٌ». أَىْ مِنْ حَقِّ الرّجُلَ أَنْ يَغَارَ على كلِّ امْرَأَةٍ كمَا يَغَارُ على حَرَمِهِ

(١) الريث : البطء (٢) أوغل فيه : ادخل فيه، أوغل فى البلاد ايغالا : ذهب فيها وبالغ وامعن (٣) المنبت : المنقطع عن رفاقه فى السفر بسبب ماحمله لدابته من التعب فانقطعت به (راجع شرحه فى العظة ٢٨) (٤) الاخفاق : الفشل (٥) الجودة بضم الجيم : الصلاح • (٦) الصدار : ثوب صغير يلى الجسم

لِأَنَّ كلَّ امرَأَةٍ أُخْتٌ لِأُمِّهِ فى الجِنْسِيَّةِ ، فتكونُ حَالَةٌ لهُ كانَتْ حَالةُ المَرْأَةِ الاجتماعيةِ ، ولم تَزَلْ على أَطْوارٍ مختلفةٍ، وشُكُولٍ[1] مُتَبَايِنَةٍ[2] ، بالنِّسْبَةِ إلَى تَنَوُّعِ الأَزْمِنَةِ وَالْبِيئَاتِ[3] . فَهِيَ بَيْنَ صُعُودٍ وَهُبُوطٍ ، وَاحترامٍ واحتِقَارٍ وَعِلْمٍ وَجهلٍ ، تَابِعَةً تَرَقِّي البِيئَةِ وَتَدَنِّيها[4] ، ونُورَ الزَّمَنِ وَظُلْمَتَهُ

المَرْأَةُ لم تُخْلَقْ إلاّ لِتكُونَ وَالرَّجلَ عامِلَيْنِ فِي بُسْتَانِ الحَيَاةِ غيرَ أنّ لِكلِّ وَاحِدٍ منهُما عملاً خَاصًّا بهِ لاَ يَجْمُلُ[5] بهِ أَنْ يَتَعَدَّاهُ . فَالرَّجلُ يَفْلَحُ أَرْضَهُ ، وَيَغْرِسُ غَرْسَهُ ، وَيَبْذُرُ حَبَّهُ[6] . وَالمَرْأَةُ تَتَعَهَّدُ الحَبَّ وَالْغَرْسَ بالسَّقْيِ ، وَتَنْفِي مَا يُجَاوِرُهُمَا مِنْ فَاسِدِ النَّبَاتِ

وَمَا الْبُسْتَانُ إلاَّ الْبَيْتُ ، ومَا عَمَلُ الرَّجلِ إلاَّ السَّعْيُ لِمَنْ يَحْوِيهِ مِنَ الأَهْلِ ، وَبَذْلُ الْجُهْدِ لِيَحْيَوْا حَيَاةَ السَّعَادَةِ . وَمَا عَمَلُ المَرْأَةِ إلاّ تَنْظِيمُ المَنْزِلِ وَتَرْبِيَةُ الأَطْفَالِ

(١) الشكول : الأشباه والامثال ، والامور المختلفة المشكلة . والمفرد شكل
(٢) متباينة : مختلفة متضادة (٣) البيئات : جمع بيئة وهى المنزل ، ويراد بها مايحيط بالانسان من المؤثرات (٤) التدنى : الانحطاط (٥) لايجمل به : لايحسن به ولا يليق به ولا ينبغى له (٦) يبذر حبه : يلقيه فى الارض للزراعة

وَبثُّ[1] الأخلاقِ الفاضلةِ في نفوسِهم، وتنحيةُ الضرائبِ[2] الفاسدةِ عن مواردِ قلوبِهم، ليتكوّنَ منهم مجموعٌ فاضلٌ تنهضُ به الأمةُ، ويستدُّ[3] به ساعدُ الوطنِ، ويشتدُّ رُكنُه.

فإنْ أهملَ الرجلُ ما وجبَ عليه، أو جاوزتِ المرأةُ ما خُلقتْ له أو قصّرتْ عنه، فسدَ نظامُ الأسرةِ[4]، وتثلّمَ[5] رُكنُ الحياةِ البيتيّةِ وكانَ من جرّاءِ[6] ذلكَ الفتُّ في عضدِ[7] الأمةِ، والكسرُ في ساعدِ الوطنِ. لأنّ صلاحَ الأمةِ ونهوضَ الوطنِ متوقّفانِ على صلاحِ الأسرِ.

ولا ريبَ أنّ سعادةَ النشءِ، الذينَ هُم عِمادُ الأمةِ، أكثرُ ما تكونُ بالمرأةِ، فهيَ إنْ شاءتْ أفسدتْ أخلاقَهم وإنْ شاءتْ أصلحتْها. لأنّ بيدِها زمامَ تربيتِهم وتهذيبِهم لذلكَ وجبَ أنْ تكونَ المرأةُ محترمةَ الجانبِ، رفيعةَ

---

(١) البث: النشر (٢) التنحية: الازالة والابعاد. والضرائب: الطبائع. والمفرد ضريبة (٣) يستد: يكون سديداً قوياً (٤) الاسرة: رهط الرجل وأهل بيته. سموا بالاسرة وهى الدرع الحصينة لانه يتقوى بهم. وجمعها أسر (٥) تثلم: تشقق (٦) من جراء ذلك: من اجل ذلك (٧) الفت فى العضد والكسر فى الساعد: كناية عن اضعاف القوة وتفريق الاعوان

المَنْزِلَةِ ، مُتَعَلِّمَةً ، مُتَرَبِّيَةً ، مُتَخَلِّقَةً بِالْأَخْلَاقِ الجَمِيلَةِ ، صَالِحَةً لِإِدَارَةِ المَنْزِلِ ، عالِمَةً بِمَا وَجَبَ عَلَيْهَا نَحْوَ الْعَالَمِ الصَّغِيرِ « وَهُوَ البَيْتُ »

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ جَمَاهِيرَ[1] نِسَاءِ الشَّرْقِ الْيَوْمَ ، وَقَبْلَ بِضْعِ[2] مِئَاتٍ مِنَ السِّنِينَ ، قَدْ أُهْمِلَتْ كَالسَّوَائِمِ[3] . فَقَدْ ظَنَّ الرِّجَالُ أَنَّ المَرْأَةَ آلَةٌ بِأَيْدِيهِمْ يُدِيرُونَهَا كَيْفَ شَاؤُوا ، زَاعِمِينَ أَنَّهَا لَمْ تُخْلَقْ إِلاَّ لِتَكُونَ أَسِيراً أَوْ مَمْلُوكَةً . وَهَضَمُوا مَالَهَا مِنَ الْحُقُوقِ الشَّرْعِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ ، وَحَرَمُوهَا التَّعْلِيمَ وَالتَّرْبِيَةَ . فَسَاءَتْ بِذَلِكَ الْحَيَاةُ الْبَيْتِيَّةُ ، وَفَسَدَتِ الْأُسْرَةُ ، وَانْحَطَّتِ الْجَمَاعَاتُ بِانْحِطَاطِ الْأَفْرَادِ .

وَقَدْ شَعَرَ الشَّرْقُ الْيَوْمَ بِذَلِكَ الضَّعْفِ وَالنَّقْصِ ، فَنَهَضَ فِيهِ بَعْضُ مَنْ هَدَاهُمُ اللهُ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ، وَانْصَرَفَتْ هِمَمُهُمْ إِلَى تَعْلِيمِ الْبَنَاتِ وَتَهْذِيبِهِنَّ . لِأَنَّهُمْ اعْتَقَدُوا جِدَّ

(١) الجماهير : جمع جمهور وهو معظم الشيء وأكثريته . وأصل معناه : الرمل الكثير المتراكم الواسع (٢) البضع : ما بين الثلاث الى التسع . فان قلت : جاءنى بضعة رجال جاز أن يكون الجاؤون ثلاثة او تسعة أو ما بينهما . وهي تذكر مع المعدود المؤنث وتؤنث مع المعدود المذكر ، كما هو الشأن فى العدد من الثلاثة الى التسعة (٣) السوائم : الابل التى لا تعلف فى مكان مبيتها وانما تترك ترعى مما تنبته الارض من المرعى المباح

الاعتقادِ أنَّ المرْأةَ رُكْنُ الحياةِ الاجتماعيةِ الرَّكِينُ[١]، وَسَنَدُ نُهُوضِ الامةِ الأقْوَى . وَلَكِنَّ هذَا التنبُّهَ ضعيفٌ فَعَسَى أَنْ يَقْوَى بِكُمْ أَيُّهَا النَّاشِئُونَ الكِرَام ، فإنّ لِلنَّاشِئَاتِ عَلَيكُمْ حُقُوقاً عَظِيمَة ، لِأَنَّهُنَّ خَالاتُكُمْ . والخالةُ كالأُمّ أَوْ هِيَ الأُمُّ ، وَمَنْ لاَ يَوَدُّ لِأُمِّهِ الحَيَاةَ السَّعِيدَةَ !

إنَّ مَاتَرَوْنَهُ من انْحِطَاطِ الجماعاتِ هُوَ نَاشِئٌ من انْحِطاطِ المَرْأةِ وجَهْلِها وَفَسَادِ تَرْبِيَتِهَا . فَعَلِّمُوا البَنَاتِ ، تَسْتَحْوِذُوا[٢] على البَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ[٣] .

أَلاَ إنّ تَبْذِيرَ المَرْأَةِ وإِسْرَافَهَا وَحَيَدَانَهَا[٤] عنْ جادَّةِ[٥] الاقْتِصَادِ فى اللَّبُوس[٦] ، حَتى نَهَكَتْ ثَرْوَةَ الرَّجُلِ[٧] ، وجَرّت على الهيئَةِ الاجْتماعيةِ الوَيلاتِ[٨] — هُوَ لِأَنَّهَا لم تَتَعَلَّمِ العِلْمَ المُفِيدَ ، وَلَم تتربَّ التربيةَ الصحيحةَ .

---

(١) الركين : القوى (٢) تستحوذوا : تستولوا (٣) الباقيات الصالحات : الاعمال الصالحة الى يبقى أثرها الصالح وتعود بالثواب على فاعلها (٤) الحيدان : الميل والعدول (٥) الجادة : وسط الطريق ومعظمه (٦) اللبوس بفتح اللام : كل ما يلبس (٧) نهكت ثروته : نقصتها أو أبادتها . يقال : نهك الضرع اذا استوفى جميع ما فيه ونهك الحمى فلاناً اذا اضنته ونقصت لحمه . ونهك ماء الاناء اذا شرب جميع ما فيه (٨) الويلات : المصائب . والمفرد ويلة .

فعليكم ، مَعشرَ النَّاشين ، أَنْ تُرَبُّوا بنَاتِكُمْ ، متى صِرْتُمْ أَرْبابَ بيُوتٍ ، تَرْبية فَاضِلةً ، وَتُعَلِّمُوهُمْ تعليماً مُفيداً ، يَنْهَضِ الوَطنُ وَتَشْرُفِ الأُمةُ .

٤٢

اعقل وتوكل

مَا رَأَيْتُ أَقَلَّ عقلاً ولا أضعفَ مُنَّةً [١] ، مِمَّنْ يُقْدِمُ على الأمرِ قبلَ أَنْ يستَعِدَّ لَهُ .

بلَى ، أشَدُّ حُمْقاً وأَكْثرُ ضَعْفاً ، مَنْ يَخُوضُ ميْدانَ العَمَلِ قَبْلَ أَنْ يأخُذَ لَهُ عدَّتَهُ ، وَهُوَ يَعلمُ أَنَ مَنْ عَمِلَ عَمَلَهُ كانتْ عاقِبَةُ أمْرِهِ الخَسارَ والبَوارَ [٢] .

وَليْسَ أَقَلَّ بَلَهاً مَنْ يَترُكُ الأُمورَ اتِّكالاً على الحظِّ وَالبَخْتِ وَهُبُوبِ رِياحِ المَقادِيرِ ، دُونَ أَنْ يَسْعَى فيما يُدْنِي [٣] له الشَّاسِعَ [٤] ويُسَهِّلُ الصَّعْبَ !

---

(١) المنة : القوة (٢) البوار : الهلاك (٣) يدنى : يقرب (٤) الساشع : البعيد

الإخفاقُ [١] فى الطَّلَبِ ناتجٌ عَنْ أَحَدِ أمْرَيْنِ ، هُما الطَّرفَانِ المُفْسِدَانِ لِكُلِّ مَشْرُوعٍ : الْجُبْنِ وَالتَّهَوُّرِ .

فالْجُبْنُ يَصْدِفُهُ [٢] عن العَمَلِ ويَدعُهُ [٣] مُتَّكِئاً على عَصا المَقادِيرِ . وَإِنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ لِكُلِّ شَىْءٍ سَبَباً . وَسببُ النَّجَاحِ فى الأَمْرِ السَّعْىُ إِلَيْهِ مِنْ أَبْوَابِهِ المُوصِلَةِ .

وَالتَّهَوُّرُ يَدْفَعُهُ نَحْوَ غايتِهِ قبلَ التَّرَوِّى فى الأَسْبَابِ المُوصِلَةِ إِلَيهَا . وَاخْتِيَارِ أَنْجَحِ الوَسَائلِ لِلحُصُولِ عَلَيْها وَكثِيراً مَا تكونُ الْعَاقِبَةُ شَرًّا وَوَبالاً [٤] . وَمَنْ تأمَّلَ فى الْعَوَاقِبِ أَمِنَ مِنَ المصائِبِ .

وَالسَّلامَةُ مِنْ ذلِكَ أَنْ يَتَرَيَّثَ [٥] قبلَ الإِقْدَامِ ، ولاَ يَنْدَفِعَ فى العَمَلِ إِلاَّ بَعْدَ أَنْ يَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهُ أَنَّهُ لاَ يَفْشَلُ فيهِ ، وليسَ مَعْنَى هذا أَنْ يُحجِمَ لِأَوَّلِ صَدْمَةٍ . أَوْ تُؤَخِّرَهُ شُبْهَةٌ تَعْرِضُ لهُ ، فيَتَّخِذَهَا حُجَّةً لِلإِحْجَامِ [٦] . فإِنَّ هذَا هُوَ الْجُبْنُ بِعينِهِ .

---

(١) الاخفاق : الفشل وعدم النجاح (٢) يصدفه : يصرفه (٣) يدعه : يتركه
(٤) الوبال : سوء العاقبة ، والوخامة ، والشدة (٥) يتريث : يتمهل .
(٦) الاحجام : التأخر

كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ يُقْدِمُ عَلَى الأَعْمَالِ العَظِيمَةِ ، فَلا يَلْبَثُ أَنْ يَعْتَوِرَ(١) إِقْدَامَهُ الإِخْفَاقُ . وَلِذَلِكَ أَسْبَابٌ ، مِنْهَا إِهْمَالُهُ الأُهْبَةَ(٢) وَعَدَمِ اتِّخَاذِ العُدَّةِ ، وَقَدْ وَرَدَ فِي أَمْثَالِ العَرَبِ : « عِنْدَ النِّطَاحِ يُغْلَبُ الكَبْشُ الأَجَمُّ(٣) » . وَهُوَ مَثَلٌ يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ يُمَارِسُ الأُمُورَ بِغَيْرِ عُدَّةٍ فَيَخِيبُ .

وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ يُهْمِلُ الأَمْرَ اتِّكَالاً عَلَى أَنَّ القَدَرَ يَحْفَظُهُ وَكَانَ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَحْفَظَهُ ، ثُمَّ يَكِلَهُ(٤) إِلَى عَيْنِ العِنَايَةِ تَرْعَاهُ(٥) . وَقَدْ قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم : « أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ » فَقَالَ لَهُ : « إِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ »(٦)

وَمِنْ أَمْثَالِهِمْ « أَنْ تَرِدَ المَاءَ بِمَاءٍ أَكْيَسُ(٧) » . يَعْنُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ الرَّجُلُ الأَمْرَ بِالحَزْمِ وَالوَثِيقَةِ . وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ : « اِشْتَرِ لِنَفْسِكَ وَلِلسُّوقِ » يُرِيدُونَ بِذَلِكَ أَنْ يَأْخُذَ المَرْءُ الحِيطَةَ(٨) لِنَفْسِهِ قَبْلَ الإِقْدَامِ عَلَى العَمَلِ ، وَأَنْ يَسْتَشِيرَ

(١) يعتور : يصيب . اعتوره الامر . نزل به مرة بعدمرة (٢) الاهبة : العدة (٣) الاجم : الذي لاقرن له (٤) يكله : يسلمه (٥) ترعاه : تحفظه وتتعهده (٦) اعقلها : اربطها . والعقل : الربط . ومنه سمى العقل المعروف لانه يربط الانسان أن يأتى مايضره (٧) اكيس : اعقل . والكيس : العقل والفطنة وحسن التأنى فى الامور (٨) الحيطة : الاحتياط

مَنْ يَثِق بِهِمْ لِيرْشُدُوه إلى مافيهِ الخيرُ

وَمنَ النَّاس مَنْ إذَا تَمكَّنَ مِنْ ناصيَةِ[١] الأمرِ عقَدَهُ بأنْشُوطَةٍ[٢] ، حَتّى إذا أفْلَتَ مِنْ يَدِهِ نَدِمَ على ذَلِك نَدامَةَ الْـكُسَعِي[٣] ، وَهَيْهَاتَ[٤] أن تُفِيدَهُ الندامَةُ .

أَلاَ إنّ مَنْ كانَ كـذَلِكَ فَهُوَ مِمَّنْ عُلِمُوا قَليلا وليْسَ لهمْ مَعقُولٌ[٥] . لِأنّ العَقْلَ يَرْبأُ[٦] بالمَرْءِ أَنْ يَرِدَ مَوارِدَ الإهْمالِ وَالاتّـكالِ . فالعاقلُ مَنْ لايَرِدُ حتى يَعْرِفَ الصَّدَرَ[٧] فَهُوَ يُفاضِلُ بَينَ الضَّرَرَيْنِ لِيَرْتَـكِبَ أَخفَّهُما . فإنّ في الشَّرِّ خِيارًا . وَليْسَ الْعاقلُ مَنْ يَعرِفُ الخيْرَ وَالشّرّ ، وَإنما هُوَ مَنْ يَعْرِفُ خَيرَ الشّرَّيْنِ . فَإِنَّ بَعْضَ الشرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضٍ .

فإِلَيْكَ ، أَيُّهَا النَّاشئُ ، يُساقُ الحديثُ :

إحْذَرْ أنْ تُباشِرَ عَملاً قَبْلَ الاسْتِعْدَادِ لَهُ . وَلاَ تَترُكْ عَملاً مِنْ أَعْمالِكَ اتِّـكالاً عَلى مَا سيَجِيءُ بِهِ الْقَدَرُ . فَالعَاقِلُ مَنْ عَقَلَ وَتَوَكَّلْ .

---

(١) الناصية : مقدم الرأس (٢) الانشوطة : عقدة يسهل حلها (٣) الـكسعي : رجل يضرب به المثل في الندامة (٤) هيهات : اسم فعل ماض بمعنى بعد ، وهى مثلثة التاء (٥) المعقول : العقل . (٦) يربأ بالعاقل : يرفعه (٧) الصدر : الرجوع عن الماء بعد وروده .

٤٣

الاعتماد على النفس

لاَ شَيْءَ أَضَرُّ بِالإِنْسَانِ مِنْ إِهْمَالِهِ شُؤُونَ نَفْسِهِ، مُعْتَمِدًا عَلَى مَنْ يَقُومُ لَهُ بِهَا، هٰذَا إِنْ تَحَقَّقَ أَنَّ مَنْ يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، يُلَبِّيهِ إِنْ دَعَاهُ مِنْ غَيْرِ تَرَيُّثٍ[1] وَلاَ بُطْءٍ، أَمَّا إِنْ كَانَ نَصْرُهُ إِيَّاهُ أَمْرًا مَشْكُوكًا فِيهِ، فَاعْتِمَادُهُ عَلَيْهِ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ.

جَاءَ فِي أَمْثَالِ الْعَرَبِ: «عَمُّكَ خُرْجُكَ[2]» يُقَالُ ذَلِكَ لِلْمُتَّكِلِ عَلَى غَيْرِهِ، وَذَلِكَ أَنَّ رَجُلاً أَرَادَ السَّفَرَ مَعَ عَمِّهِ، فَقَالَ لِأَهْلِهِ: «اتَّخِذُوا لِي طَعَامًا وَاجْعَلُوهُ فِي خُرْجٍ، أُصِيبُ مِنْهُ إِذَا احْتَجْتُ إِلَيْهِ» فَقَالُوا لَهُ: «عَمُّكَ خُرْجُكَ» أَيِ اتَّكِلْ عَلَيْهِ فِي مَطْعَمِكَ.

الْمُعْتَمِدُ عَلَى غَيْرِهِ يَكُونُ ضَعِيفَ الإِرَادَةِ، بَلِيدَ الْحَزْمِ، خَامِلَ النَّفْسِ، وَمَا سَرَى هٰذَا الدَّاءُ فِي أُمَّةٍ إِلاَّ انْحَلَّ عِقْدُ

(١) التريث: التمهل (٢) الخرج: معروف وجمعه خرجة

اجتماعِهَا ، وَفسَدَ نِظامُ عُمرَانِهَا ، حَتّى تُصبِحَ فى مُؤخّرَةِ الأُمَمِ ، فالاتّكالُ على غيرِ النّفْسِ مَدْعَاةُ الانقِرَاضِ ، لِأَنهُ يُلبِسُ الإنسَانَ رِدَاءَ الضِّعَةِ(١) والضّعفِ ، وَيَصْرِفُهُ عَنِ النظرِ فيما يَقودُهُ إلَى حصُونِ القُوَّةِ والمَنَعَةِ(٢) .

يَنشأُ الطِّفلُ مُعْتَمِداً فِى كلِّ شأْنٍ منْ شؤُونِ نفْسِهِ على أَبَوَيْهِ ، إلى أَنْ يَبلُغَ أَشُدَّهُ(٣) ، ثمّ يَدْخُلُ غِمَارَ الحَياةِ(٤) ، وهوَ لاَ يَعرِفُ الاتّكَاءَ على عَصَا نفْسِهِ مَعْنًى : لأنهُ لمْ يَتعَوّدْ ذَلِكَ فى نَشأَتِهِ الأُولَى — وَلِكُلِّ امْرِئٍ منْ دَهْرِهِ مَا تَعَوَّدَ — فَيَزِيدُ بِذَلِكَ الأُمةَ بَلاءً عَلَى بَلاَئِها ، وخِذْلاَناً على خِذْلاَنِها .

مَتَى نَشأَ الوَلَدُ فَلْيُعَوِّدْهُ أَبَوَاهُ الاعْتمادَ عَلى نَفْسِهِ ، فى كلِّ أَمْرٍ منْ أُمُورِهِ ، حَتى إذَا شَبَّ كانَ رَجُلاً يَخْدُمُ الأُمةَ خِدْمَةَ الرّجُلِ القَوِيِّ القَادِرِ ، وَمَتى كَثُرَ مَجْمُوعُ الشُّبّانِ المُتّكِئِينَ عَلَى أَعضَادِ(٥) أنفُسِهِمْ تَكَوّنَتْ مِنهمْ أُمةٌ صَالِحَةٌ لأَنْ تَكُونَ وَارِثَةَ الأَرْضِ .

---

(١) الضعة : الانحطاط والخسة (٢) المنعة : العز ، والقوة ، والمعقل يمتنع به ، والعشيرة لانها تمنعه فلا يقدر عليه من يريده من الاعداء (٣) يبلغ اشده : يشب ويتقوى (٤) غمار الحياة : شدائدها (٥) الاعضاد : جمع عضد وهو الساعد

نَحْنُ فى حَاجَةٍ إِلَى شُبَّانٍ جُبِلوا على الاَسْتِقْلاَلِ فى الفِكْرِ والاَعتمادِ عَلَى النَّفْسِ ، وَما تأخَّرْنا إلاَّ بَعْدَ أَنْ ضَعفَ فِينَا هٰذانِ الْخُلُقانِ ، وَما تَرَقَّى الْغَرْبِيُّونَ ، وَبَلَغُوا الْغَايَةَ الْقُصْوَى[1] مِنَ المدَنِيَّةِ والْعُمْرَانِ والسُّلْطانِ[2] ، إلاَّ بعْدَ أنْ رَبَّوْا نَشْأَهُمْ[3] عَلَيْهِما .

ولَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ يَنْشأَ الوَلَدُ مُنْفَرِدًا بِرَأْيِهِ ، مُسْتَبِدًّا بِفِكْرِهِ ، لاَيَسْتَشِيرُ أَهْلَ الْعَقْلِ والْعِلْمِ ، وإنما هُوَ أَنْ لاَ يترُكَ التَّفَكُّرَ والْعَمَلَ مُعْتَمِدًا على أَنَّ غيرَهُ يَتَفَكَّرُ أَوْ يَعْمَلُ ، فإِنْ رَأَى أَنَّ فِكْرَ غيرِهِ أَضْمَنُ لِنَجَاحِ الْعَمَلِ مِنْ فِكْرِهِ ، انْقَادَ لهُ وتَمَسَّكَ بِعُرَاهُ[4] ، وإلاَّ مَضَى فِيما يُفَكِّرُ فيهِ ، وأَخْرَجَ عَمَلَهُ إلى حَيِّزِ[5] الوُجُودِ .

فتَعَوَّدْ ، أَيُّها النَّاشِئُ ، الاَعتمادَ على نَفْسِكَ ، والاَسْتِقْلاَلَ فى رَأْيِكَ ، علَى نحْوِ ما شَرَحْتُ لكَ ، تَكُنْ منَ الْمُفْلِحِينَ .

واحْذَرْ أنْ تَنْقَادَ لِرَأْيٍ يَدْفَعُكَ فى الهَاوِيَةِ ، أَوْ تُذْعِنَ[6]

---

(١) القصوى : البعدى ، مؤنث الاقصى (٢) السلطان : السلطة والقدرة (٣) النشأ بفتح الشين والنشْ بسكونها : جمع ناشئ (٤) العرى : جمع عروة وهي كل مايوثق به ويعول عليه ، وأصلها : مقبض الدلو والكوز وما يدخل فيه الزر من القميص ونحوه (٥) الحيز : المكان والجهة (٦) تذعن : تخضع وتطيع

لَمنْ لاَ يَحْفِزُكَ(١) إلَى مَنْهَجِ(٢) السَّدَادِ(٣).

ولاَ تَتَّبِعْ أَمْرَ مَنْ يُؤَمِّنُكَ منَ المَخُوفِ لِيُوَرِّطَكَ(٤) فيهِ بَلِ اتَّبِعْ أَمْرَ مَنْ يُخَوِّفُكَ عَوَاقِبَ إسَاءَتِكَ لِتَحْذَرَهَا ، فإِنَّ مَنْ يُخَوِّفُكَ حتى تَلْقَى الأَمْنَ أَشْفَقُ عليكَ مِمَّنْ يُؤَمِّنُكَ حتى تَلْقَى الخَوْفَ ، وقد جاءَ فِي أَمْثالهمْ : « أَمْرَ مُبْكِيَاتِكَ ، لاَ أَمْرَ مُضْحِكَاتِكَ » أَيِ الْزَمْ مَنْ يُبْكِيكَ لِيُنْجِيَكَ ، لاَ مَنْ يُضْحِكُكَ لِيُرْدِيَكَ(٥) ، ومَنْ خالَفَ في هذا الأَمْرِ ، وخَالَفَ النَّصِيحَ(٦) عنْهُ ، سَقَطَ العَشَاءُ بهِ عَلى سِرْحَانٍ(٧) ؛ فكَانَتْ عاقِبَتُهُ الخُسْرَانَ.

إنَّ هذا هوَ الحَقُّ ، فلاَ تَكُنْ منَ المُمْتَرِينَ(٨) ، فَاتَّبِعْ مَا يُلْقَى إلَيْكَ ، يُبَارِكِ اللهُ عليكَ .

---

(١) يحفزك : يدفعك (٢) المنهج : الطريق الواضح (٣) السداد : الصواب
(٤) يورطك : يوقعك فيما لا تتخلص منه . وأصل معناه : يوقعك في الورطة . وهي الهوة الغامضة ، والهلكة ، والشدة ، وكل أمر شاق تعسر النجاة منه .
(٥) يرديك : يهلكك (٦) خالفني عن الامر : ولى عنه وأنا أريده . وخالفني الى الامر : قصده وأنا مول عنه (٧) السرحان : الذئب . والكلام مثل لمن ذهب في طلب أمر فكانت عاقبته الهلاك (٨) الممترين : الشاكين . امترى في الامر : شك فيه وارتاب

٤٤

التربية

إنَّ هؤُلاءِ الأَطفَالَ سَيَكُونُونَ فى المُستَقبَلِ رِجَالاً ، فإِذَا تَعوّدُوا الأَخْلاقَ الصَّالِحَةَ التى تُعْلِى شأْنَهمْ ، وَحصّلوا منَ العُلومِ مايَنفَعُونَ بهِ وطَنَهم ، كانوا أَساساً مَكِيناً[١] لنَهْضَةِ الأُمّةِ . وهذا أَمْرٌ لايَختَلِفُ فيهِ اثْنانِ . وإنِ اسْتَعَادُوا[٢] سافِلَ الأخْلاق ، وَهَجَرُوا العِلمَ الذِى هُوَ سَبَبٌ لِحَيَاةِ الأُمَمِ ، كانوا وَيْلاً على الأُمّةِ ، وَشَرًّا على البِلادِ التى يَقْطُنونَهَا[٣] .

وَقَدْ ذَكَرْتُ لكَ ، أَيُّهَا الناشِئُ ، فيما مَضَى مِن العِظَاتِ جُزْأً صالحاً مِنَ الأَخْلاقِ حَسَنِهَا وقَبِيحِها ، وأَوْضَحْتُ لكَ مايَجِبُ عَليكَ التَّخَلُّقُ بهِ ، وكَشَفْتُ عَنِ الأَخلاقِ الفَاسِدَةِ التى يَنْبغِى لكَ أَنْ تَنفِرَ مِنْهَا نِفرَةَ الصَّحيحِ مِنَ الأَجْرَبِ .

---

(١) مكيناً : قوياً (٢) استعادوا : تعودوا (٣) يقطنونها : يسكنونها

فَاخْتَرْ بَعْدَ ذلكَ ما تَرَاهُ لكَ نافِعاً . وَمَا إِخَالُكَ[١] مُخْتاراً إلاّ ما أَرشدتُكَ إلى اخْتِيارِهِ ، لِأَنَّكَ تَعلمُ جِدَّ العلمِ أَنّى لكَ ناصحٌ أَمينٌ .

التَّرْبِيَةُ ، أَيُّهَا القَوْمُ ، أَمرٌ عظيمُ الخَطَرِ[٢] ، كَبيرُ القِيمَةِ ، وَالطِّفْلُ كما قَالَ الإمَامُ الغزاليُّ ، أَمَانَةٌ عِنْدَ وَالدَيْهِ وَقلبُهُ الطَّاهِرُ جَوْهَرَةٌ نَفِيسَةٌ خَالِيَةٌ عَنْ كلِّ نَقْشٍ وَصُورةٍ فإِنْ عُوِّدَ الخيرَ وعُلِّمَهُ نشأَ عَليْهِ ،وَسَعِدَ فى الدُّنيا وَالآخرَةِ ، وَشَارَكَهُ فى ثوابِهِ أَبَوَاهُ وكلُّ مُعلِّمٍ وَمُؤَدِّبٍ . وإنْ عُوِّدَ الشَّرَّ وَأُهْمِلَ شَقِيَ وَهلَكَ . وكانَ الوِزْرُ[٣] فى رَقَبَةِ وَلِيِّهِ وَالقَيِّمِ عليْهِ[٤] .

التربيَةُ هِيَ غَرْسُ الأَخلاقِ الفَاضِلَةِ فى نُفُوسِ النَّاشِئِينَ وَسَقْيُهَا بِماءِ الإِرْشَادِ والنَّصِيحَةِ ، حَتّى تُصْبِحَ مَلَكَةً[٥] منْ مَلَكَاتِ النفْسِ ثُمّ تكُونَ ثَمَرَاتُهَا الفَضِيلَةَ والخيرَ وَحُبَّ العَمَلِ لِنَفْعِ الوطَنِ .

تَجِبُ تَرْبِيَةُ الطِّفْلِ علَى الشَّجَاعَةِ ، والإِقْدَامِ ، والكَرَم

---

(١) اخالك : اظنك (٢) الخطر : الشرف وارتفاع القدر (٣) الوزر : الذنب
(٤) ولى الطفل والقيم عليه : من يتعهده ويقوم بشؤونه (٥) ملكة : صفة راسخة .

والصبر ، والإخلاص فى العمل ، وتقديم المصلحة العامة وشرف النفس ، والجرأة[1] الأدبية ، والدين الخالص من الشوائب[2] والمدنية المنزهة عن الفساد ، والحرية فى القول والعمل ، وحب الوطن . وعلينا أن نربى فيه ملكة الارادة والصدق ، وإعانة البائسين[3] ، والمشروعات النافعة ، وأن نعوده القيام بالواجب . إلى غير ذلك من الأخلاق الشريفة وأن نباعد بينه وبين أضداد هذه الأخلاق

ولكن الحال اليوم عندنا على غير ما شرحناه :

فالطفل وهو فى اللفائف يخوفه أبواه بالغيلان و « البعابع » إرهاباً[4] له ، ليتخلصا من صراخه . وما دريا[5] أن نفس الطفل كالشمعة اللينة قابلة لكل نقش ، أو كناقل الهيئة « الفوتوغراف » ينطبع فى زجاجته كل صورة . فإذا ما نشأ عاودته تلك النقوش والصور التى طبعها فى مخيلته[6] أبواه . حتى إذا رأى غير شىء ظنه شيئاً . فكانت حياته

---

(١) الجرأة : الشجاعة (٢) الشوائب : الاخلاط ، والعيوب ، والادناس (٣) البائسين : جمع بائس وهو من اشتدت حاجته (٤) ارهاباً : تخويفاً (٥) دريا : علما (٦) المخيلة : القوة التى تخيل الأشياء وتصورها وهى مرآة العقل

بِمَا جَنَيَاهُ عَلَيْهِ حَيَاةَ خَوْفٍ وَجُبْنٍ وَأَوْهَامٍ .

فإذا جَاوزَ الطِّفلُ دَوْرَ الطُّفُولِيَةِ إلَى دَوْرِ غيرِهِ ، فكانَ دارجاً[1] ، فحفراً[2] فيافعاً[3] ، أَخَذَا يُربِّيانِهِ تَرْبِيَةَ الحيوَانات العُجْمِ ، بالانتهَارِ تارةً ، وبالضَّرْبِ المبرِّحِ[4] تارةً أُخرَى .

ولا تَسَلْ عمّا يَسْمَعهُ مِنْ أبوَيْهِ من بَذَاءَةِ الكلامِ[5] والكذبِ وَالنِّفاقِ ، بَلْهَ[6] ما يَكتَسِبهُ مِنْ سَيِّءِ الأخلاقِ

وكثيراً ما تكُونُ حَيَاتهُ المَدْرَسيةُ لَيْسَتْ خيراً مِنْ حَياتِهِ البيتيّةِ ، خُصُوصاً إنْ كانَ الأُسْتاذُ أو المُرَبِّي مِمَّنْ غَلُظَتْ طِباعُهُمْ ، وخَشُنَتْ أخلاقُهمْ ، وفسَدَتْ ضَمائرُهُمْ ، وإذا اتَّفقَ أنهُ دُفِعَ إلَى مَدْرَسَةٍ كامِلةٍ ، فإنهُ يُضَيِّعُ فى بَيْتِهِ ما كَسَبَهُ فى مَدْرَسَتِهِ

ومَتَى شَبَّ النَّاشِئُ كانتْ حَيَاتُهُ فى أُمَّتِهِ صُورَةً مُكبَّرَةً عَنْ حَيَاتِهِ فى بَيْتِهِ وَمَدْرَسَتِهِ ، فإمَّا أَنْ تَحْيَا بِهِ الأُمَّةُ حَيَاةَ السَّعَادَةِ ، إنْ كانَ قدْ تَرَبَّى تَرْبِيَةً صَحِيحَةً ، وإمَّا أنْ تَحْيَا

---

(١) الدارج : الصبي الذى دب ونما (٢) الحفر : الصبى الذى سقطت رواضعه وهى أسنانه التى تنبت وهو في الرضاع (٣) اليافع : من قارب العشرين من عمره . او هو من قارب البلوغ (٤) الضرب المبرح : الذى يؤذى الجسم (٥) بذاءة الكلام : فحشه وقبحه (٦) بله : اسم فعل امر بمعنى دع واترك .

حَياةَ الشَّقاءِ ، بِمَا يَجْنيهِ عليْها ، إنْ ترَبَّى ترْبيةً فاسِقةً .

ربِّى ، أَيَّتُها الأُمةُ ، النَّابتَةَ تكُنْ لكِ عوْنًا وساعِدًا ، وتنْهَضُ بكِ منْ كَبْوَةِ[1] الذُّلِّ والخُمول .

وأَنتُمْ ، أَيُّها النَّاشِئُونَ ، تَعوَّدُوا الخُلُقَ الصَّالِحَ ، وأقدِمُوا على العِلْمِ النَّافِعِ ، فَمَيْدانُ العَمَلِ أَمامَكُمْ ، فاستَعِدُّوا لِخَوْضِ غِمارِه[2] اليومَ الاستِعْدادُ لخِدْمةِ الأُمَّةِ ، وهُنالكَ ، بعْدَ انصِرامِ[3] زَمَنِ الصِّبا ، يكونُ السِّباقُ ، وسنرَى مَنْ يكونُ الفائزَ ، فمَنْ جَدَّ اليَوْمَ نَالَ في الغَدِ ، ومَهْمَا يَفعَلِ النَّاشِئُ في هذهِ السِّنِّ فسَوْفَ يُلاقيهِ في زَمَنِ الشَّبابِ .

فمَا أعدَدْتَ أَيُّها النَّابتُ لِغَدِكَ ؟ وأيَّ عمَلٍ تعمَلُ الآنَ ، لِتكونَ أُمَّتُكَ سَعيدَةً بكَ في المُستَقبَلِ ؟

— أعدَدْتُ هِمةً ونَشاطًا ، وعِلمًا وأخلاقًا ، وغيرَةً وحَمِيَّةً ، ومَحبَّةً وطَنيةً .

— بارَكَ اللهُ عليْكَ ، وحقَّقَ آمالَنا فيكَ ، فَبِكَ يَعْمُرُ الوَطَنُ ، وتحْيَا الأُمةُ .

---

(١) الكبوة : السقطة (٢) الغمار : جمع غمر وهو الماء الكثير البعيد القعر
(٣) انصرام : انقطاع وذهاب .

٤٥
خاتمة العظات

السلامُ عليكَ ، أيها الناشئُ ، ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ .

وبعدُ فإنّ صديقكَ صاحبَ العظاتِ ، يُودّعكَ وداعَ مُحبٍّ لكَ ، راغبٍ في نجاحكَ ، ويرجوكَ أنْ لا تنبذَ [1] عظاته ظهريًّا ، فإنّ روحَ المُطالعةِ أنْ تعملَ بما تقرأُ ، وما ضرَّ هذا الشرقَ إلاّ عدمُ العملِ بما يَعلمُ .

إنّ الأُمةَ تُناديكَ ، فليكنْ جوابُها العملَ لما يُحييها ، والسّعيَ في إصلاحِ شؤونها ، واعلمْ أنكَ لا تحيا حياةً طيبةً إلا بحياتها ، وقوّةِ بأسها [2] ، واستبحارِ عُمرانها [3] ، وبسطةِ سُلطانها [4] ، فاحزمْ واعملْ ، فإنّ العملَ سعادةُ الحياةِ :

إذا ما شئتَ أنْ تحيا عزيزًا مَهيبَ البأسِ معروضَ القناةِ [5]

(١) تنبذ : تطرح (٢) البأس : الشدة والقوة (٣) استبحار : اتساع وانبساط
(٤) السلطان : القوة والسلطة والسيطرة (٥) مهيب : مخوف . معروض القناة: تحمل قناتك بالعرض . والقناة الرمح ، وعرض القناة اى حملها بالعرض . كناية عن العزة والامتناع

فلاَ تَرْجُ الحياَةَ بِغيرِ حَزْمٍ ... يَفلُّ السّيْفَ مَحْدُودَ الشّباَةِ (١)

وَيتركُكَ فى صَميمِ الدّهرِ جُرْحاً ... يُحَيّرُ دَاؤهُ نُطُسَ الأُساَةِ (٢)

فَهَلْ مِنْ نَهْضَةٍ يا نَشْءُ نَدْنِى ... بهاَ تِلْكَ الأَمَانِى النّائيَاتِ (٣)

وَهَلْ ، نَجْدَةٍ مِنكم ، فَنَسمُو ... إِلَى أَعلى النُّجُومِ الزّاهِراتِ (٤)

وَهَلْ مِنْ همّةٍ وَثَباتِ جأْشٍ ... نَهُدُّ بِهِ الجِبَالَ الرّاسياتِ (٥)

فَقَدْ طَالَ الخُمُولُ وَنَحْنُ نلهُو ... عن الخُلُقِ الأَبِى بالمُخْزِياتِ (٦)

فَكَمْ قَدْ قَامَ فِيناَ مِنْ هُدَاةٍ ... وَلَكِنْ لاَ نُنَهْنَهُ بالعِظَاتِ (٧)

فَهُبُّوا ، أَيُّهَا النّاشِئُونَ ، إِلَى المَجْدِ ، وسيروا فى سَبِيلِ العِزِّ فإِنِى :

أَرَى المَجدَ الذِى نَبْغِى عَتِيدًا ... أَقامَ لِطالِبِيهِ بالوَصيدِ (٨)

---

(١) يفل السيف : يثلمه أى يحدث فيه شقوقا • محدود : مشحوذ مسنون • الشباة: حد السيف والسكين ونحوهما ، وجمعها شباً وشبوات (٢) الصميم: العظم الذى به قوام العضو • النطس بضم النون والطاء : الاطباء الحداق، الاساة: الاطباء والمفرد آس والانثى آسية وجمعها آسيات وأواس (٣) ندنى : نقرب • الامانى: جمع أمنية وهى مايتمناه الانسان . النائيات : البعيدات (٤) النجدة : القوة ، والشدة والمعونة • الزاهرات : المتلالئات بالانوار (٥) الجأش : النفس (٦) الابى : الممتنع مما يعيب • المخزيات : الاعمال التى تخزى صاحبها أى توقعه فى الخزى وهو الهوان والعقوبة والنواحة (٧) الهداة : جمع هاد • لا ننهنه : لا نزجر (٨) عتيداً : مهيأ حاضرا • الوصيد : فناء الدار ، وعتبتها

فهبّوا نحوه ودعوا التوانى   وسيروا سيرة الرجل الرشيد[1]

أيعجبكم بأن نبقى رقودا   عن العلياء نرسف فى القيود[2]

نصحت لكم، وفى هذا بلاغ   لقوم راغبين عن الجمود[3]

(١) دعوا : اتركوا . التوانى : التقصير والتمهل (٢) رقوداً : نياماً . نرسف : نمشى مشية المقيد (٣) بلاغ : كفاية .

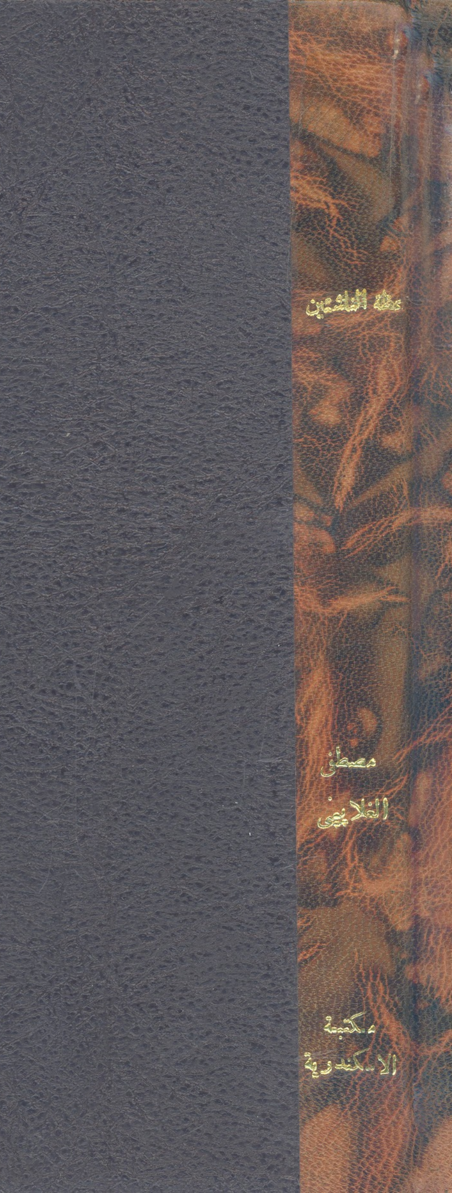
ان ماورد من الشعر فى هذه العظة هو لصاحب العظات

مضامين الكتاب

الخطأ وصوابه

الخطأ	صوابه	الصفحة	السطر
تربغ	تزيغ	٩	١ (من الحاشية)
من	لامن	١٠	٣
فيدعْ	فيدعَ	١٦	١٠
تبلغُ	تبلغْ	١٧	٤
البها	البهائم	١٨	٤
الحمَق	الحُمْق	٣٣	٦
اسمة	السمة	٣٤	٥ (من الحاشية)
المعَريين	المَعَريين	٣٧	١١
جهُورية	جهْوَرية	٤٤	١١
الترقية	لِترقيةِ	٥٣	٩
لمعامل	المعامل	٥٣	١٢
يمد	نمد	٥٣	١٣
يجب	تجب	٥٤	١ (من الحاشية)
قَ مُها	قَدَمُها	٥٩	٨
ن	لمن	٥٩	٨ (من الحاشية)
يُظهر	يَظهر	٦٤	٢
هُدَف	هَدَف	٧٢	٤
الشكا	الشكائم	٧٦	٢
يَفَتّ	يُفتّ	٧٨	٩
وأخنى	وأخنى	٨٢	٤ (من الحاشية)
يَذْعوا	يَدَعوا	٨٤	١٠
تنو	تنوير	٨٤	١٠

الخطأ	صوابه	الصفحة	السطر
جُمة	جَمّة	٨٥	٧
تُتم	تَتم	٩١	٦
فيها	فيهاٖ	٩٣	١٤
طَفيلى	طفيلى	٩٩	١
أو وجٍب	أى وجٍب	١٠٣	٦ (من الحاشية)
يلا	بخيلا	١١٤	١٣
الملل والسآمةِ	الملَلَ والسآمةَ	١١٩	٧
عليه	عليها	١٢٥	٦
الآخر	الأخرى	١٢٥	٧
كلَّها	كلّها	١٣٧	١٠
استدلوا	استبدلوا	١٣٩	٥
بدينهم	بدينها	١٥٠	١١
يجب	يحب	١٥٢	٣
احقُّ	احقّ	١٥٤	١
قُسراً	قَسراً	١٥٤	٥
بزلت	نزلت	١٥٦	٣ (من الحاشية)
الملُل	الملَل	١٥٩	١
مَنزع	مِنزع	١٦٢	١٤
لم يبق فى قوس الرجاء ع : لم يبق امنزل ولا رجاء	لم يبق فى قوس الرجاء منزع : لم يبق أمل ولا رجاء	١٦٢	٥ (من الحاشية)
الى اقامة	لاقامة	١٦٦	٤
ونهكى لحمى	ونهكت الحمى	١٧٢	٥ (من الحاشية)
وتعلموهم	وتعلموهنّ	١٧٣	٢
اقدامُه	اقدامَه	١٧٥	٢
وعدمَ	وعدمُ	١٧٥	٣


عظة الناشئين
مصطفى
الغلاييني
مكتبة
الاسكندرية